

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مصطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ - ١٩٥٣

دار الفكر العربي
طبع في مصر

مطبعة لإعتاد بمصر



الشاعر معروف الرصافي في أخريات حياته

١٨٧٥ - ١٩٤٥

رهين البيت في عيش كفاف

بعُدْم مات معروف الرصافي

١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٤١٢

أمثل الشاعر « المعروف » يبق

فقسم واندب مآثره وارخ

١٣٦٥ هـ

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافي

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافي البغدادي » سنة ١٩١٠ م ، نشرتها « المكتبة الأهلية ببيروت » في جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عني بترتيبه وتبويبه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلاييني » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشعار الطبعة الأولى في أربعة أبواب ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفي سنة ١٩٣٢ ، أي بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافي » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » في مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهي تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيماً للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر باباً ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيات ، والمراثي ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحريات ، والمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافي ، كتبها الأستاذ الكبير « الشيخ عبد القادر المغربي » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى في الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان في حياة الشاعر ، ولكننا لا ندرى مقدار مشاركته في الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافي» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة في سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارئ ، جزءان في مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربي بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديقي الأستاذ سعيد جودة السحار ، صاحب مطبعة « دار الكتاب العربي » أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التي يسرنا أن نهدّيها إلى قراء العربية .

تتماز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولها : غزارة مادة الشعر الذي تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التي لم تنشر قبل في كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر في الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأثخف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة في موضع واحد من شعر «الرصافي» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافي ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحته إمضاؤه «الرصافي» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التي عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية، فهي وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف والمسح والنشويه . ذلك إلى أن فيها مجالاً لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه للقصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سنوحها بعقله ، ثم تصرفه في المعاني بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هذه القصائد التي بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التي كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحياناً ؛ ولكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافي» تحتها ، فلم يبق شك في نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات في أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التي لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت في مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا في فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التي لم تشرح في الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع في هذا الشرح ، بل قاربنا بينه وبين الشرح الذي وجدناه في الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفي شعر «الرصافي» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام الشداة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذبوع المعاجم في عصرنا ، لا يجعل للقارئ عذراً في ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارئ لا يتقدم في دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه في البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعاني ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التي يمد بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشبع نهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هذه الطبعة ضبط المشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضروري لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لما يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا في الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكاً وسطاً بين الإفراط والتفريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثاني للقوافي ، لتسهيل المراجعة والبحث في الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافي » في هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان في الشعر ؛ وقد ظهر في شعره الكوني والفلسفي نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفي عن دقة وقوة في تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف في الشعر العربي . أما شعره الاجتماعي والسياسي ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التي تدل على أنه كان سياسياً ووطنياً ، بل كان إنساناً من الطراز الأول في جيله ، يتمنى الخير لبلائده وقومه ، بل للعرب جميعاً ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عندما يرى البؤس والضعف في شتى مظاهره .

على أن للرصافي مزايا أخرى في أساوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخيم الجزل ، واللفظ المونق العذب ، ينساب رنينه في روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها في أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومعدنها ونجارها .

ما أجدر شباب العربية باستيعاب ديوان « الرصافي » قراءة ، والتوفّر عليه

مبحثاً ودراسة ، فقد أتاحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافي » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن في خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد داراً ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلاً من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن في كل باب من أبواب ديوانه مجالاً لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة ، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية .

مصطفى السقا

القاهرة في } ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨
} ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهدى إلى الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقريره :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر المناضى عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسباباً لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لزحزحة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقابها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركافة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قروناً طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما ينتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثالهم ، والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغنى ، وحسن الشعر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الركب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزمته ، ويذكون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبدّ النابغين ، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفًا الرصافي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم ما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه خلوا من الخشو مملوءا من الدرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على معرّي فأكسوه لفظاً قد من دُررٍ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليفة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحافى القول منحي المصلحين ، المتفطنين لموضع النداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحد من الشعراء المعروفين . اهـ

هذا ما قلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طبعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه النياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتنب البلاد سراها
ويشبه أن يكون شاعرنا ملء الحياة الشعرية وتكاليها المنصبة . وسئم ممارسة
النظم ، وأن يابه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف
بها لبت بما يراد منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافي ؛ فإنه ذاب الأفاذ من عياقرة أهل الفن
والأدب ، والمقدّمين في صناعتي النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن في ممارسة
فنيهم أو أدبيهم ، سئموا التكلف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولاً ، أو نظموا شعراً ،
أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عتاء معه ، وسيلا لا وعورة
فيه ، وجليلاً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أنطول فرانس ، أنه قال : « إنني
في أول نشأتي كنت أنضح عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالي الفخم ، وأما الآن فإني
أفر منه فراراً » .

وهذا القول يذكرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح في نفرته من التكلف
للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأننا طول فرانس ، ولم يعد يعبأ من تزيين النثر
إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافي » فإنه لم يعد يعبأ من تزيين الشعر إلا بالبيان
أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان في الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير
البيان في النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية
« الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدي أممهم ، فإذا بعدوا
عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها
بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، وبعيد الاستعارات والكنائيات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام
القراء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول : إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ،
أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذي حب الرصافي وشعره إلى النشء العربي الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، ويعبر بما يقول عما يحسون ويشعرون .

ونحن في حالتنا الحاضرة المملوءة بحيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، في حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة في نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً ييناً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء في بيانهم ، وبلغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقدوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الحمية في نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديماً : أدباً فياضاً بالصنعة ، براعاً بترايين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، وإنما الأدب أصبح عاملاً من عوامل تكوين الأمم ، وإبلاغها رشدها ، وإثباتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هي أتم وأكمل في هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهي « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ « مكرم عبيد » في خطابه في القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تفي بالعرض ، ولا تنقذ الأمة من ربة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة في اللفظ والأسلوب ، وبين الوضوح في المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المثل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً في كل جانب من شعر الرصافي ؛ ولا يحتاج القارئ إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان في شعر الرصافي ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهي أيضاً من أكبر المزايا التي تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا في صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافي صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولته ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصاء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تغم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتنبوا المكان الأرفع من سلاتهم . وأت حذائق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يروون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كد أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرصافى فى مزيتى السهولة ومنمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة متقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنيات غامضة ؛ ولو عمدت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنتك ، وانقادت طائفة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظماً منشوراً ، أو نثراً موزوناً ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظماً يروق . انسجامه فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً

ومثله قوله :

فإني ما أطلعت شمسَ حقيقةٍ لمستمع إلا لتغرّب في السمع
ولست أبالي بعد إفهام سامعي أن كان بخفض اللفظ ماقلت أم رافع

خذ مثلاً على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدأى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافى بالبحترى فى هذا ، فكاننا شاعرى ألقاظ ، وناشرى ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبي ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بالفاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضمّن شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميخ إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلو في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المنبئ ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحياناً في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيَّدُ إلا قليلاً ما شاء فيَّ المفنَّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي به غير تبيات الحقيقة مقصدُ
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيلهُ وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعددٍ دون ما أنا ناشد ولدرٍ قدرٍ دون ما أنا منشدُ
وكم جنبنتي عزة النفس منهلأً يطيب به لكن مع الدُّل مَوردُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة أنوح بها حيناً وحيناً أغردُ
ولي بين شدقي المهرتين صارمٌ يسل على الأيام طوراً ويُعمدُ
ولا عجب أن عابني الشاعر الذي يقول سخيف الشعر وهو مقلدُ
فإن ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر تنقصه في الشعر حمادٌ عجردُ
تعودتُ تصرِّحي بكل حقيقة والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة » و « تصرُّحي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر منبئ القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظمه فيها كان يجري على مثال سابق ، وبرناهج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجود أولم يكثر منها المعاصرون ؛ وهذا بشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فتصانده « تجاه اللامهية » ، و « من أين من أين » ، و « نحن على منطاد » ، و « الأرض » ، و « ألكنى يا ضياء » ، و « معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفا منطبقاً على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة للمادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رنتجن ، وآراء « دارون » في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعي والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعيّة عالة
ياكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلىّ النعيم فيهم فتبكي أعين السعي من نعيم البطاله
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال في الإصلاح الإسلامي ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجود في الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظمين .

والشواهد على شعره الاجتماعي لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن واد البنات فقد قبرنا
جميع نساء قبل المات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا
بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل في بطلالة
كأننا يهود ، كل أيامنا سبت
وقوله في الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم
على النذل شبوا في حجور إماء
وهان عليهم حين هانت نسائهم
تحملُ جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيلُ القارئ على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . في كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق في جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته في التعبيرين : التعبير اللغوي الفصيح ، والتعبير العامي الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلهسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده في وصف « غروب الشمس » ، و « راقصة للملهي » ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الأستانة » . أما قصيدته في الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه في استعمال فصيحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبي العلاء المعريّ وحذقه في ذلك ، على أن لقصيدته « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحيه أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها في تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أُجيد استعمالها إجادة الأستاذ الرصافي لها .

ولم تذكر في مزايا الرصافي متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتهار أمره ، وأشد ما تتجلى براعته حينما تبني القوافي على نواذر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة » و « الفراديسا ، والطواويسا » ، و « المدملك ، والمترهوك » ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وهويزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، ويصف في شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا في ديوانه شيء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو بمعنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه في نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلا وهنّ في النفس ؛ ومخادعة للجُمهور ، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه في قصيدته التي عنوانها « حرية الفكر » :

وَجَرَدَتْ شعري من ثياب رِيائِهِ فلم أكسه إلاّ معانيه انْعَرًا
أُضْمِنه معنى الحَقِيقَةِ عاريا فيحسبه جهالها مَنْطِقًا هَجْرًا
ويحمّله الغاوى على غير وجهه فيوسعني شَمًا ؛ وينظرني شَرًا

رؤيدك ؛ إن الكفر ما أنت قائل وإن صريح العرف ما خلته نكرا
 هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً فتضرب للأنظار من دونه سترا
 إذا كان في عري الجسوم قباحة فأحسن شيء في الحقيقة أن تعري
 غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولاً جريئاً لا نواقفه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرد
 ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و « المعري »
 و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإنني كذلك وجدت في شعر الرُّصافي
 ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباري :

وغاية جهدي أنني قد علمتهُ حكماً تعالى عن ركوب المظالم
 وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذي يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
 على أننا نمضي إلى أمر ربنا كما أننا آتون من ذلك الأمر
 وقوله : اقرأ كتاب الكون تلق بتمته آيات ربك فصلت تفصيلاً
 سبحان من جعل العوالم أنجماً يسبحن عر ضافى الأثير وطولاً !
 وقوله : رماني القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شك مرئياً
 فن ذا منكم قد شق قلبي وهل كشفت لكم في الغيوب
 فعند الله لي معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
 يقيني شر فريتكم يقيني بأن الله مطلع رقيب

وفي قصيدة « حرية الفكر » و « سياسة لا حماسة » و « تنبيه النيام » و « إلى
 الأمة العربية » وغيرها نبرات حادة . ونبرات صاخبة . أثار فيها حفاظ شبان الوطن ،
 وشدد من عزائمهم في سبيل الذود عن حرية أوطانهم . وألا يتخذعوا بأحاييل
 السياسة التي تلتقي أمامهم . ولا يبذور المواعيد التي تنثر حوالهم . وفي قصيدة
 « ما هكذا » وفي « أليمة نابغية » فقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساعوا إلى وطنهم . وقد
 قال في قصيدته التي جعل عنوانها « تنبيه النيام » :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميـدها

وأعجب من ذا أنهم يرهّبونها وأموالها منهم . ومنهم جنودها
ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري .
وللرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد
والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن يستفزّ القلوب بالأحقاد
وهذا من قول المتنبي :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادى فيه وأن تتفانى
ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد
وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافي » أحب أن يقتبس بيتي المتنبي ودريد ،
ويدخلهما في شعره ، فاقبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .
ومن لطيف قول « معروف » ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبي » يستنهضه
من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال النبي في بيت المقدس :

حنانك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوي مطاويك مفضال
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة أصيب بها قلب العلي فهو مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كمال » في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر
السلطان عثمان في « بروسه » ، ثم نفي من أجلهما ، وهما :

أويان أوتق . أويان أي حضرت عثمان ذي همت

أوياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بي كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لخواي نصرت ملت

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتها في شعره ، فقد وقع له منها الكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعاً من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في مامةٍ تبسمت الدنيا تبسمَ ناصرٍ
وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها

وقوله في فتنك الأيام بالناس :

ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهلة خنجرياً
وقوله : أيها المولون في مصر كهلاً إن إيلامكم لنا إيلام
وقوله : يقيني شر فريتكم يقيني بأن الله مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحوض على التبرع للمصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبساً :

ياقومٌ هذى سبيل العرف واضحةً فليمض فيها بكم وخذ وإرقال
ومن تك الحال فيها لا تساعدهُ «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذي يرسل اللفظ جزافاً لكي يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
إنما غاييتي من الشعر معنى واضحٌ يأمن اللبيب التباسه

وله في خلال أبياته نكت منثورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أما والله لو كنا قروداً لما رضيت بحالنا القروداً
وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النساء أفنحن ننقص عن رجال الصين
وقوله : كم نشربُ الظن فلا نرتوي ونأكل الخدس فلا نشبع
وقوله يخاطب الكائنات العاوية :

وقالوا الأرض بنتك غير ممين فهل أبناء بنتك يصدقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسى كل عبدٍ مذئبل فقد كرهت حتى الطريق المعبدا

وقوله فى أن شر به لتبغ ضارٌ كشرب الآخرين للخمر :

إنى لأمتصُّ جمرًا نَفَّ فى ورَقٍ إذ يشربون لهيبا مِلىء كاساتِ
وقوله : أمرٌ فتَنظرُ الأبصارُ شُررا إلى كأنما قد مرَّ ذيب
وقونه : وأتركُ ما قد تشبهى النفسَ نيله لما تشبهه قلةٌ فى دراهمى

وقونه فى الذين ارتقوا فى الحضارة ، وتركونا فى الحضيض :

وعلوا بحيثُ إذا شخصنا نحوهم من تحبهم ضحكوا علينا من علٍ
وقوله فى رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفا وتسومنا سوء العذاب الأهول
هذا ونحن مجدِّلون تجاهها كالنار مرتعدا تجاه الخيطل
وقوله : دَع الأناسى وانسبى لغيرهم إن شئت للشاء أو إن شئت للبقرِ
فإن فى البشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر

وقوله فى وصف أهل هذا الزمان :

لا يفضبون لأمر عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عصبِ
وليس تندى من النكراء أوجههم كأنما القوم منجورون من خشبِ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذلٍّ ومسكنة تلقى الذبابَ على آناهم يسم

وقوله فى خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سماك ولو مناما تحاموا ذكره بسوى التهجى
وسماك : أى اسمك :

أما استخراج المعانى الدقيقة ، والمعانى المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافر ،
وخرج من ميدانها بجدٍ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأى حسن لشعر غير مبتكر؟
وبقوله يصف شاعريته :

على أن لي طبعاً لبيطاً يوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونته
ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجمالتها من قبيل الإبداع والابتكار،
لما تضمنته من جمال الأسلوب، وحسن التنسيق، والتفنن في إيراد الأغراض.

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها في وصفه الحياة الكونية، وكرورها عوداً على
بدء : انتهاء ثم ابتداء : اندثار ثم بناء، وفي وصفه العوالم العلوية، وهدوء الليل،
وراحة الموت، والغرور والكبر، واليأس والشقاء؛ واقراً إذا شئت «المطلقة»
و «أم اليتيم»، و «اليتيم في العيد» وغيرها، تجده أمثلة لما ذكرنا. ويشبه أن يكون
من معانيه المبتكرة، قوله في أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروح^ه ألتخنتنا والموت مثل الضماد
وقوله : تنظمتنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمن إلى شر
وقوله : إن يكن أعمد الردى منه في القبر حساماً فذكره مسلول
وقوله : والليب الذي تعلم إتياناً ن المعالي من خسة الأوغاد
وقوله : حدود^ه جرى ماء الشبية فوقها ففيه عقول الناظرين من العرقى
وقوله : قد يحسب الإنسان آماله^ه والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسي : « والموت خزبان ينظر » .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لىكن علينا خفي المنبع
وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمر^ك إن الدهر تغلى خطوبه^ه وإن عويل الصارخين نسيش
وقوله : كم كذب الدهر في فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه
وقوله في مخادعة الدهر :

كأن^ه ليالى الدهر غضبي على الورى فتنظر^ه شزراً بالنعجوم الشوارى

ولو لم يجئنا كل يوم مواربا لما كان فجره كاذباً قبل صادق
وقوله : وهو من ملحه :

يا قومُ قد هـرَمَ الزمانُ من التمدادى فى انقلابه
فلذاك عندَ المهاجرا ت يسيل شىءٌ من لعابه
وقوله : وحبّ الذى عاداك إن رمت قتله
فإنى رأيت الحبَّ أقتل للعدا

وقوله فى الفنون الجميلة وإسعادها الحياة :

إن الذى جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياة بروقا
وقوله فى إسعاد العلم للبشر :
ألغزَ الدهرُ فى الحقائق لكن أفهم العلمُ أهله ألغازه
وقوله فى رثاء شيخه الألوسى :

أما العراق فأمسى الرفدان به سطرين للدمع فى خديه قد سالا
وقوله فى أنين « أمّ اليتيم » :
أرى فحمةَ الظالماء عند أنينها فأعجبُ منها كيف لم تتضرم
وقوله فى وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذ والكوى
وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخراً
ويوشك أن يمزق منخريه
وقوله : وإن فتى الدهر من يدعى
وقوله : وإنى لأبصر فى بيروت قاتبةً
فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
غدا يتشمم الحداث الجرافا
عطاسٌ يملأ الدنيا رعافا
فتأتى أعاديه بالشاهد
للشُرِّ موشكة أن تخرج القوبا

وقوله يصف تراكم الكروب عليه :

يقلّ كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رعى كراباً رأى تحته كراباً
وليس هذا فى الحسن بأدنى من قول أبى الطيب :

« فصرتُ إذا أصابتنى سهامٌ تكسرتِ النصال على النصالِ »

وقال في وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغيهيب تكاثف حتى خلته قد تججرا
وكاد دُجَاهُ يمكنُ الكفُّ منه فلو سار سارٍ في دُجَاهِ نَعَثَا
وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :
رجلٌ قد تنكب الحق قوساً ومن البُنطل ظلٌ يرمى سهاماً

وقوله في المتعلم الذي لا يخصى به ، ل يشارك في كل علم :

هبهُ أبدى من العلوم نُجُوماً في ليالٍ من المشا كل دُهمٍ
أو ليس البدرَ التمام وإن كان وحيداً يربو على ألفِ نجمٍ
وقوله في امرأة مجلبة بالسواد حزناً :

«فكانت لها سود الجلايب حلية» ولا عجب أن الدُّجى من حلي البدر
كان تلاميح الأسي في جبينها بقايا ظلام الليل في غرّة الفجر

والرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية
لاخيالية ، كقصيدة « النقر والسقام » ، و « المطلقة » ، و « اليتيم في العيد » ، وغيرها .
وأدباؤنا المواعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافي
قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافي » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم « الشعر القصصي » ،
كإلياذة هوميروس ، وشاهنامه الفردوسي ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة
مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقن فيها بسرد أساطير الأمة
في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجاً كل ذلك بأخبار ألفتها .
ويقال بالاختصار : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصي » مضروباً على غرار
إلياذة « هوميروس » المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافي ولا في شعر غيره من
شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إلياذة ، أو « ملحمة » من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير « أحمد شوقي بك » عمل على سدّ ثُلمة في أدبنا القوميّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فجدير بشاعر العراق الكبير « معروف الرصافي » أن يسد ثلثةً أخرى ، فيضع ملحمةً عربية في عشرة آلاف بيت أو أكثر: يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كالبلاّت والعزّي ، ومائة الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافي في الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم في الإسلام .

وإن للرصافيّ من قصة « عنزة » ، و « بني هلال » ، وفتوح الشام المنسوبة للواقديّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعد على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مدهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلاله « فيصل الأول » ملك العراق ، أن يجعل الرصافيّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد لجلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافيّ على الإجابة في إلباذا العرب الجديدة ، ما أوتي من سهولة شعر ، واتقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة في نظم القصص ، وسلامة ذوق في اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» . وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغي أن تكونا أول ما يشترط في «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، وينشد لها للاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم . ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل في إنعاش ما خمل من ذكر العرب ، وخذ من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلامة والمستقبل» ربما كانت نموذجاً حسناً لإجابة شاعرنا «معروف» في ما يتغنيه منه، ومن نظم إلباذا عربية . فليراجعها القارئ ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافيّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . « وغى العيش » ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجلبية . وقوله « خنا الطبع » وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخرنا الدهر : نوائبه ،
وذلك مذ قال :

وكم رام إسكاتي أناس أبي لهم خنا الطبع إلا أن يروا إلى حسدا
وقوله : (هزّة سرورية) وقوله (بقظة نهوضية) سببة إلى النهوض ، مذ قال :
أرى بعد نوم طال في الشرق يقظةً نهوضيةً فيها طموحٌ إلى المجد
وله غير ذلك من التعابير الحديثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ،
ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن
كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نطلّ لأغراضنا نعارضُ من دون أدنى سببٍ
وقوله في أبيات أخرى « يستوجبون احتراماً » و « استوجب العطف » « ناخفين
في الشبابة » « عيش بسيط » « جهولا يتعففص » « ولو من أجلها ضربت عنقي » .

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم نزلت وقت عندنا ؟
وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العالم وأغضى عن خوضه في السياسة
قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلكاسه »
لو أردنا إفاضةً في هجائها لكتبنا لكم به كراسه
وقوله : قد يكنه مدارس عامرات هـ هو فيها المدرس المسئول
نما قد ذكرت بعض مزايا هـ وإلا فشرحهم يطول
وقوله : إذا ما دتمنا الدهر يوماً وأهله فإنيك من تلك المذمات مستغنى

ويوشك أن تكون قصيدة « يا محب الشرق » التي خاطب بها المستر (كراين)
كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذة في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهني لأجمع
منها شيئاً ، فلم يقع لي إلا التليل .

فالعامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح في شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض في شعره ناشئاً من كلمة استعملها في غير المؤلف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المالُ الفضائل للورى وليس لهم مما افتراه نصيب
أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عرّاة منها ، فأراد
بيفترى : يحدث ويوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب في القول .
ومثل ذلك أيضاً قوله « فتاةٌ راعٍ نضرتها الشحوبُ » أواد براع . شوّه ،
والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جَلتِ الطبيعة في رُباهِ بدائعاً تكسو الكهولَ غضاضة الشبان
أراد بالغضاضة . النضارة والطاراة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر
بما تستعمل كلمة « الغضاضة » في معنى الذلة والمنقضة ، لحقته غضاضة ، وهذا الأمر
عليه فيه غضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرضُ سرّت سيركٍ مثنى ذا يتاجين في زمانٍ أحادٍ
إنما يكثُر في استعمال « مثنى ، وأحادٍ » وأخواتها ، أن يقال . جاءوا مثنى ،
وأحادٍ أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، ويظهر أن كلمة « أحادٍ » غير موفقة في شعر
كبار شعرائنا ، أليس المتنبى ، يقول .

« أحادٍ أم سداسٍ في أحادٍ ليلتنا المنوطةُ بالتنادِ »

ومن مواضع المراجعة في شعر الرصافي قوله على لسان (فاطمة) لمن يحنز أخاها
الفقير ، في قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تُهملوه دونكم أدمعى بها غسلوه
ثم بالتوب ضافياً كفنوه وادفنوه لكن بقلبي ادفنوه
لا تواروا جبينه بالتراب

فقوله «ثم بالتوب» أليس صوابه «بالشعر» ، ونعنى به شعرها .
وقوله في قصيدة «تنبيه النيام» :

إذا جاهل منكم مشى نحو سحبة مشى غيركم من غير قصد يريد
كانكم المعزى مهاوين عند ما نزا فنزت فوق الجبال عتودها

أليست «الجبال» سبق قلم ، وصوابه «الدَّحَال» جمع «دَحَل» وهو كما قال
الأصمعيّ . «هوة تكون في الأرض ، وفي أسافل الأودية فيها ضيق ثم يتسع» .
فالعنود . أى الجدى إذا في الدَّحَل مهاوت وراءه المعزى ، فهلكت . ويضرب
الفرنسيون المثل بخروف «بانورج Panurge» ، وهو بطل إحدى روايات الكاتب
الفرنسي «رابله» (Rabelais) ، فإن «بانورج» هذا كان في سفينة مع راعي غنم ،
فلم يبعه خروفاً إلا بثمن عظيم ، فاشتراه بعد مساومة عنيفة ، وأراد الانتقام منه ،
فقذف خروفه الذى اشتراه من الراعى في البحر ، فهماوت وراءه خرفان الراعى
المسكين ، فهلكت كلها .

وهذه الكلمات وأمثالها في ديوان الرصافى من تحريف الطبع في غالب الظن ،
كمثل قوله «نقاب الحسن» وهو يصف المطلقة الحزينة :

وقد خلب العقول لها جبين تلوخ على أسرته الذكوب
ألا إن الجلال إذا علاه «نقاب الحسن» منظره عجيب

فإنها محرفة عن «نقاب الحزن» كما هي كذلك في الطبعة الأولى من الديوان .
ومع أن الرصافى لا يتخرج من استعمال الكلمات المولدة والمعربة ، فإنك تراها
لميلة جداً في شعره ، من ذلك كلمة «احتار ، يختار» فإنه استعملها ، وهي غير قاموسية
لم تذكر في القواميس .

ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارِع في أحد الفنون ، كالنحت والتصوير
والتمثيل ؛ وهي في اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذي يعدو فنونا ، أي ضرو بامن العدو،
واستعملها إخواننا المصريون في معنى البارِع في الفن . وإن من يتسامح في استعمال
أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمونه بإفساد اللغة . وإحياء التقييح .
وإماتة الفصيح .

ولا يصح أن يُستعمل الرصافي بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل في شعره قليل جداً
كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

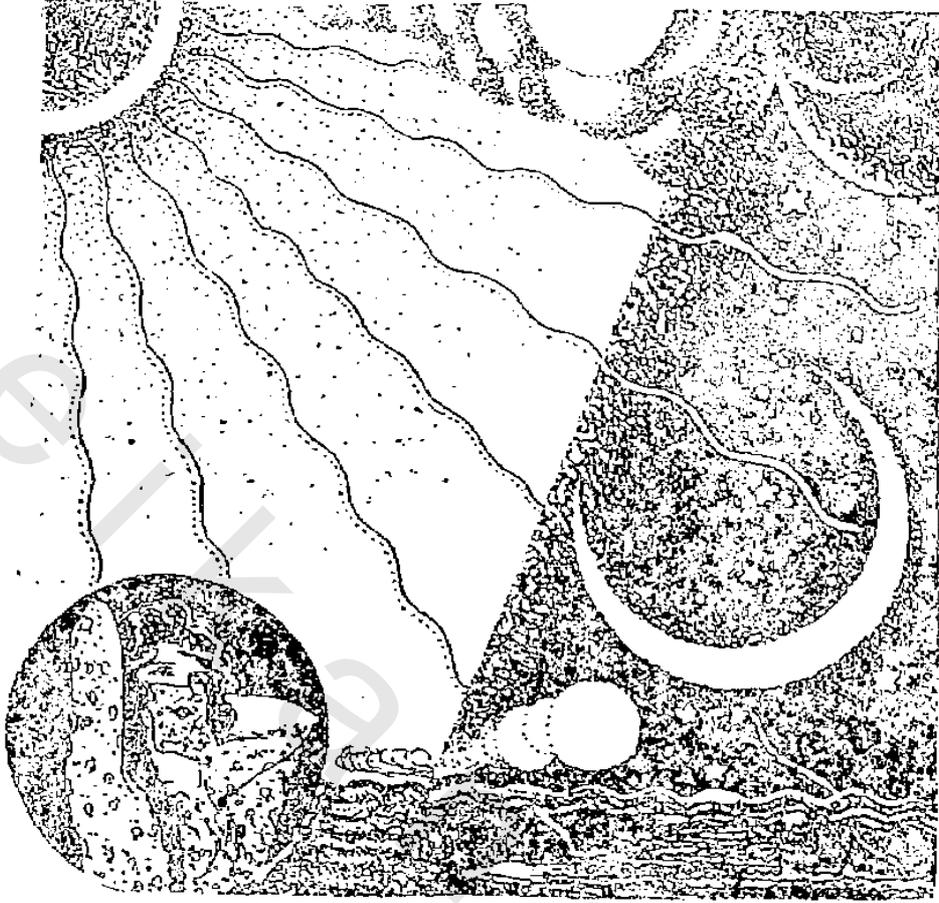
من ذلك كلمات (مكوثد) أي (أرْعَش) من الكبير . (الخشام) الألف .
(آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذي لا يُطاق .
(شحا بقمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع .
(مخلبة الشرب) . ماء فيه حمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذي تجد منه في
القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه
أصلاً . وفي استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشر^ه اللغة . وإحياء لغريبتها . وهو
طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .

* * *

هذه كلمة في الرصافي وشعره . أسوقها بين يدي ديوانه . وأنا خجل من تفاهتها .
وقلة فائدتها .



في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجب . . .

جمالك يا وجه الفضاء عجبٌ وصدرك يا أبا الانتهاء رحيبٌ
وعينك في أمّ النجوم كبيرة تضيء على أن الضياء لهيب (١)
وما زلت تعضيها فنخطيء قصدنا وتفتحها برآقة فنصيب (٢)
فيحمرّ منها في الغديّة مطلع ويصفر منها في العشيّ مغيب
ويخلفها البدر المنير حفيدها وعنما إذا جنّ الظلام ينوب (٣)

(١) لما أنبت للفضاء وجها وصدرها في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والباصرة . أم النجوم : المجرة ، و«على» في البيت للمصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أي طبق جفنيها ، والضمير من تعضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليلٍ كأنَّ البدر فيه مَلِيحَةٌ أغازها والنَّيرَاتُ رَقِيبٌ
سريتُ به والبحرُ رهوٌ بجاني ورددنُ النَّسيمَ الغضُّ رَطِيبٌ^(١)
فشهدت فيه الحسنَ أزهرَ مشرقاً له في العُلى وجهٌ أغرٌ مَهِيبٌ
ورحت وأهل الحى في قبضة الكرى وفي الليل صمتٌ بالسكونِ مَشُوبٌ^(٢)
فكنت كأنى أسمع الصمت سارياً له بين أحشاء انفضاء ديبٌ^(٣)
ولو أنَّ صمت الليل لم يك مُطرباً لَمَاهزَّ أعطافِ النَّسيمِ هبوبٌ

* * *

ألا إنَّ وجه البحر بالتور ضاحكٌ طليق وثغر الماء فيه شَنِيبٌ^(٤)
ترقق منساباً به الماء والسنى فلم أدر أى اللامعين يسب^(٥)
وللبدر نورٌ يمنح البحر روثاً فبيدو كأن الماء فيه ضريبٌ^(٦)
إذا جش البحر النَّسيمُ تهللت أساريرٌ فيها للضياء وثوبٌ^(٧)
وقفت ولألاء السنى يستخفى فنطرب نفسى والكريم طروب

* * *

أردد بين البدر والبحر ناظري فيصعد طرفى مرة ويصوب

- (١) سريت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم في قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوباً ، أى مخلوطاً بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاح في الليل فلم يسمع صوتاً ولا حركة ، أدرك أن في الليل صمتاً ، ولا غرابة في ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فهنا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شبيب ، أى فيه شبيب ، وهو ماء ورقة في الأسنان .
(٥) ترقق . أى جرى جرياً سهلاً ، ومنساباً أى متدفقاً في جريه ، والسنى : النور . ويسب : يجرى ذاهباً كل مذهب .

- (٦) يمنح : يعطى . وروثاً أى حسناً وإشراقاً . والضريب : انجليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلالأت . والأسارير : الخطوط التى تكون في جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال لهن تلالأت . باب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواتبة بين تلك الأسارير .

تأملت في حسن العوالم مؤمناً
 كأنى وعُلوىّ العوالم عاشق
 فقام له مستشرفاً ويمينه
 ولما رأيت الكون في الأصل واحداً
 ألا إن بطننا واحداً أنتج الورى
 وإن فضاء شاسعاً قد تضاربت
 وإن اختلاف الأدميين سيرة
 وأعجب ما في الكائنات ابن آدم
 ينتمى فكل سوء وهو حليفه
 نجاش بصدري الشعر وهو نسيب^(١)
 أطل من الأهل عليه حبيب
 تشد ضلوعاً تحتين وجيب^(٢)
 عجبت لأن الخلق فيه ضروب
 كثيرين في أخلاقهم لرغيب^(٣)
 بأبعاده أيدي القوى لرهب
 وهم قد تساووا صورةً لعجيب
 فما غيره في الكائنات مريب
 ويحمد قول الصدق وهو كذوب

* * *

رأيت الورى كلاً يراقب غيره
 ومن أجل هذا قد ترى كل فاعل
 فكم تحل في جمع القوم يتقى
 ولو باح كل بالذى هو كاتم
 وليس يجد المرء إلا تكلفاً
 ويجنب المرء العيوب لأنهم
 رياء قديم في الورى شقيت به
 فكل عليه من سواء رقيب
 إلى الناس في كل الفعان ينيب^(٤)
 به ثعلب عند أخلاء وذيب^(٥)
 لما كان في هذا الأنام أديب
 وذلك لأن الطبع فيه لعوب
 لدى عائبه لا لديه عيوب
 قبائل منهم جنة وشعوب

- (١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو في البيت منصوب على الضرفية . وجاش : بمعنى حاج . والنسيب : هو الشعر الرقيق في النساء .
 (٢) مستشرفاً : أى متصبها رافعاً بصره باسطة كفه فوق حاجبه كالمستظل ، وكذلك يفعل الناظر إذا نظر إلى شيء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفقان القلب واضطرابه .
 (٣) رغيب : أى واسع ، يقال هو رغيب البطن ، أى واسع الجوف .
 (٤) ينيب . يرجع أى لما كان كل من الناس رقيباً على غيره مترصداً لسواه ، صار كل واحد منهم ينيب في أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه بذلك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتبويه ، كما قسر ذلك في البيت الذى يليه .
 (٥) الباء في قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلها في قولك : لقيت يزيد أسداً .

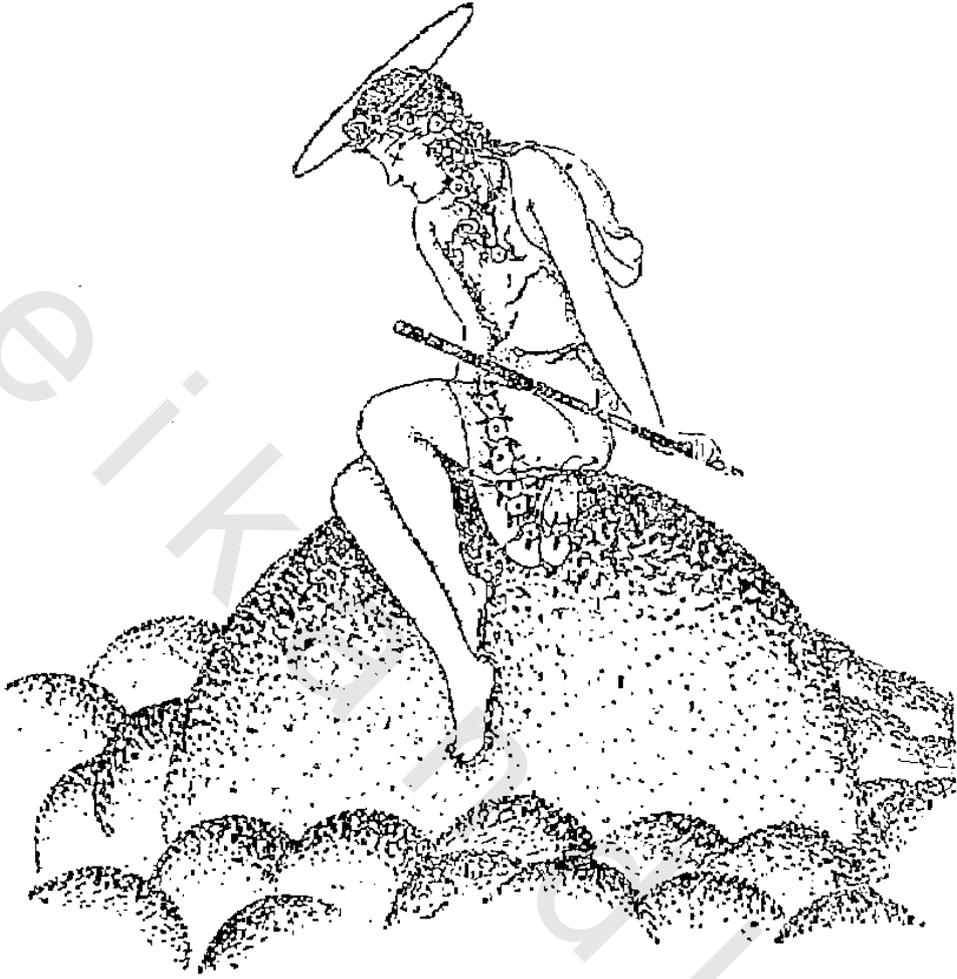
ورُبَّهٖ أَخْلَاقٍ يَرَاهَا خَيْشَةَۢمَةً أَنَاسٌ وَعِنْدَ الْآخِرِينَ تَطْيِيبٌ
وَحِلْمٌ الْفَتَى عِنْدَ الضَّعِيفِ فَضِيلَةٌ وَإِكْفَافٌ عِنْدَ الْقَوِيِّ مَعْيِبٌ

• • •

وقد يفتري المالُ الفضائلَ للورى
وللفقر بين الناس وجهٌ تبيّنتُ
لقد أحجم الثرى فسموه حازماً
وإن يتواضع معدم فو صاغر
وذو العدم ثرثارٌ بكثرتِ كلامه
ولناس عادات كثير تقودهم
وهنَّ إذا ما يأكلون أكيلهم
أبوا أن يمجدوا ضلّةً عن طريقها
هى الداء أعيا الأولين فهل له
وليس لهم ممّا افتراه نصيب^(١)
به حسنات المرء وهى ذنوب
وأحجم ذو فقرٍ فقيل هيبوب
وإن يتواضع ذو الغنى فنجيب
وذو الوُجد منطبق به ولبيب
فكل امرئ منهم لهنّ جنيب
وهنّ إذا ما يشربون شريب
وإن مسّم من أجلهنّ لغوب
على عقمه فى الآخرين طيب ؟

(١) يفتري المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضاً تفتريه أموالهم . ومعنى قوله « وليس له ممّا افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

قرأتُ وما غير الطبيعة من سفرٍ صحائف تحوى كل فن من الشعر^(١)
أرى غرر الأشعار تبدو نضيدةً على صفحات الكون سطرًا على سطر^(٢)
وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه بهرًا للسامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضه مصائب لكن ضربه حفرة القبر^(٣)
تنظمننا الأيام شعرًا وإنما ترد المنايا ما نظمن إلى النثر^(٤)

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .
(٣) العروض في علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير
من الشطر الثاني . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .
(٤) النثر : التفريق .

فَنَّا طَوِيلٌ مُسَهَّبٌ بِحَرِّ عَمْرِهِ وَمِنَّا قَصِيرٌ الْبَحْرِ مُخْتَصِرٌ الْعَمْرِ (١)
وَهَذَا مَدِيحٌ صَيِّغٌ مِنْ أَطِيبِ الثَّنَا وَذَلِكَ هِجَاءٌ صَيِّغٌ مِنْ مَنْطِقِ هُجْرِ (٢)

• • •

وَرَبِّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتَهُمْ بِمَنْهَلٍ دَمَعٌ لَا يَنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ (٣)
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقَفَّةَ عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دَرَكِلِينَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ (٤)
فَمَا سَالَ فِيضُ الدَّمْعِ حَتَّى قَرْنَتْهُ إِلَى زَفَرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ عِيودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الظُّهْرِ
رَضَيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلِيِّ حُلَلًا لَكُمْ وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحَمْرِ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُؤَذِي الْحَشَايَا جَنُوبَكُمْ فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجَنُوبُ عَلَى الْعَفْرِ (٥)
إِلَّا يَا قُبُورًا زَرْتَهَا غَيْرِ عَارِفٍ بِهَا سَا كُنَّ الصَّحْرَاءُ مِنْ سَا كُنَّ الْقَصْرِ (٦)
لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوِيكَ وَإِنِّه لِيَجْتَارَ فِي مَثْوَى ذَوِيكَ أَوْلُو الْفِكْرِ (٧)
قَلَّتْ وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّيْ مَشِيرَةٌ أَلَا إِنْ هَذَا الشَّعْرُ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ (٨)

* * *

وَلَيْلٍ غَدَا فِي الْجَنَاحِينَ بَيْتُهُ أَسَامِرٌ فِي ظِلْمَائِهِ مِنْ وَقَعِ النَّسْرِ (٩)
وَأَقْلَعَ مِنْ سَفَنِ الْخَيْسَالِ مَرَاسِيًّا فَتَجْرِي مِنَ الظَّلَامَاءِ لُجُجٌ خَضِرٌ (١٠)

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : القبيح من الكلام .

(٣) انهل الدمع : سال . لا ينهته : لا يكف .

(٤) الأجداث : القبور . درس المسكان : انحنى . والطلال : ما بقى من آثار الديار .

(٥) الحشايا : جمع حشية وهي الفراش المحشو . العفر : التراب .

(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشيء فيها .

(٧) المثوى : المقام . (٨) أفجع : أوجع .

(٩) غدا في الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ،

يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفي البيت تورية لأنحنى .

(١٠) لوجج : جمع لجة ؛ وهي في الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ،

والخضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر .

أرى القبة الزرقاء فوق كأنها
 ولولا خروقي في الدجى من نجومه
 خليلي ما أبهى وأبهج في الرؤى
 إذا ما نجوم الغرب ليلا تغوّرت
 تحولت من حسن الكواكب في الدجى
 إلى أن رأيت الليل ولت جنوده
 فيالك من ليل قرأت بوجهه
 فقلت وطرفي شاخص لنجومه

رؤاى من الديباج رُصّع بالدر^(١)
 قبضت على الظلماء بالأتمل العشر^(٢)
 نجومًا بأجواز الدجى لم تزل تسرى^(٣)
 بدت أنجم في الشرقى أخرى على الإثر^(٤)
 وقبح ظلام الليل في العرف والنكر^(٥)
 على الدّم يقفوا إثرها الصبح بالشقر^(٦)
 نظم البها في نثر أنجمه الزهر
 ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

• • •

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى
 فأطربني والديك مشج صياحه
 ومما ازدهى نفسى وزاد ارتياحها
 ففقت وقام الناس كل لشأنه
 وقد طلعت شمس النهار كأنها

وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر^(٧)
 ترنم عصفور يزقزق في وكر^(٨)
 هبوب نسيم سجّسج طيب النشر^(٩)
 كأننا حجيج البيت في ساعة النفر^(١٠)
 مليك من الأضواء في عسكر مجر^(١١)

- (١) القبة الزرقاء : السماء . الرواى : سقف فى مقدم البيت . أو هو الحيمة .
 (٢) الدجى : الليل . وأراد بالأتمل الأصابع ؛ وهى فى الأصل رءوسها .
 (٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أوساط الليل . (٤) تغوّرت : غابت .
 (٥) تجوّرت : كذا بالجم ؛ كما فى الأصل ؛ ولم أجد هذه الصيغة فى مادة (جال) . ولو روى
 بالخاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .
 (٦) الدّم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر .
 والشقرة فى الخيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر .
 أشعة الشمس مجازاً .
 (٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل
 ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .
 (٩) ازدهى نفسى : استفرها . ريح سجّسج : لينة الهواء . معتدلة النشر : الرأحة .
 (١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت النبىء الحرام فى مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج
 إذا اندفعوا من منى إلى مكة . (١١) المجر : الجيش العظيم .

بدأت من وراء الأفق ترفل للعلی
غدت ترسل الأنوار حتى كأنها
إلى أن جلت في نورها رونق الضحی
وأهدت حياة في الشعاع جديدة
فقلت مشيرًا نحوها بحفاوة
روبيدًا رويدًا في غلائلها الحر (١)
تُسيل على وجه الثرى ذائب التبر (٢)
صقيلا وفو، بحر الفضاء غدت تجرى (٣)
إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
ألا إن هذا الشعر من أبداع الشعر (٤)

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى
من اللاء يملكن القلوب بكلمة
تهادت تريني البدر محذقة بها
فليله ما قد هيجن لي من صباية
تصافح إحداهن في المشى ترهبها
مررن وقد أقصرت خطوى تأدبًا
فطأطأت للتسليم منهن أرؤسًا
فألقيت كفي فوق صدرى مسامًا
وأرسلت قلبي خدفن مشيعًا
وقلت وكفي نحوهن مشيرة
أجاب ألا ليك يا بيضة الخدر (٥)
ويحيين ميئت الوجد بالنظر الشزر (٦)
أوانس إحدائق الكواكب بالبدر (٧)
ألفت بها طي الضلوع على الجمر (٨)
فنحرت إلى نحرٍ وخصرٍ إلى خصر (٩)
وأجمعت أمرى في محافظة الصبر
عليها أكاليل ضفرن من الشعر
وأطرقت نحو الأرض منحني الظهر
فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
ألا إن هذا الشعر من أجمل الشعر

(١) ترفل : تجر ذيلها وتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابها ، وفردتها غلالة ، وهي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .

(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلا : مجلوا .

(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالأكرام .

(٥) أراد بيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة في خدرها ، نازح الهوى : نائية وذاهبة .

(٦) اللاء : اللاتي . الوجد : الحب . النظر الشزر : هو نظر فيه لإعراض ، أو نظر الغضبان . مؤخر العين ، أو النظر عن عين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت .

(٧) أحدق بالشئ : أحاط به . (٨) هيجن : الطي : مصدر طوى .

(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنمها ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث . النحر : موضع القلافة من العنق .

- ومائدة نسج الدمقس غطاؤها
رقي من أعاليها الفتراف منبرا
وفي وسط الندادى سراج منور
فراح ياذن العلم ينطق بقولا
فطورا خطيبا يخزن القلب وعظه
يقوه فصيحاً بالأغما وهو أبكم
أمين أبي التدليس في القول حاكياً
تراه إذا لقتته القول حافظاً
فيالك من صنع به كل عاقل
فقلت وقد تمت شقاشق هدره
- (١) بمجلس شبان هم أنجب العصر
(٢) محاطاً بأحباب شطارفة غر
(٣) فتحسبه بديراً وهم هالة البدر
عرفنا به أن البيان من البحر
(٤) وطوراً يسر السمع بالعزف والزر
(٥) ويسمع الخان الغنا وهو ذو وقر
(٦) قسمه يروى الحديث كما يجري
(٧) تمر الليالى وهو منه على ذكر
(٨) أقر لأديسون بالفضل والفخر
(٩) ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر

o o o

- وأصيد مأثور الكارم في الورى
يروح ويغدو في طيالة الغنى
تخونه ريب الزمان فأولعت
- (١٠) يريك إذا يلفاك وجه فتى حر
(١١) ويقضى حقوق الجد من ماله الوقر
(١٢) ياخالقها ديباجتيه يد الفقر

- (١) الدمقس : الديباج والحزير الأبيض .
(٢) العطارفة : السادة .
(٣) الهالة : دائرة القمر ، كاطفاوة لنارة الشمس .
(٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وهي آلات الطرب .
(٥) اللانا : اللغات ، وهي جمع لامة . الوقر : الصبر ، وهو ذهب النجم .
(٦) التدليس في الحديث : هو أن لا يذكر الحديث في حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو
أعلى من حديثه ، يوهم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
(٧) الذكر ، بضم الذا : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفتراف »
(٩) تمت شقاشق هدره : سكت . والشقاشق في الأصل : لغة البعير ، ونيل شىء كالرثة
بخرجه من فيه إذا حاج ، ورنال التصريح : حذرت شقاشقته .
(١٠) الأصيد : الرجل الذى لا يلفت من زهوه وخيلانه .
(١١) طيالة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوقر : الكثير .
(١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديداً . الإخلاق : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه .
ديباجتيه : خديه . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلقت به يد الفقر ، فوضعت من شرفه ، وذلت
خديه بهد أن كانا مصرعين .

فأصبح في طَرْقِ التصعلك حائرًا
 كأن لم يَرُحْ في موكب العز راكبًا
 ولم تزدحم صَيْدُ الرجال ببابه
 فظل كئيب النفس ينظر للغنى
 إلى أن قضى في علة العدم نَحْبَهُ
 فرُحْتُ ولم يُحْفَلْ بتشييع نعشه
 وقلت وأيدي الناس تحثو ترابه
 يحول من الإملاق في سَمَلِ طِمْرٍ^(١)
 عِتاق المذاكبي مالك النهى والأمر^(٢)
 ولم يَغْمَرِ العافين بالنائل الغمر^(٣)
 بعين مُقَلِّ كان في عيشة المُثْرَى^(٤)
 فُجِزَهُ من ما لهم طالبو الأجر^(٥)
 أشيعه في حامله إلى القبر
 ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر^(٦)

* * *

ونأحمة تبكي الغداة وحيدها
 عزاه إلى إحدى الجنائيات حاكم
 فويل له من حاكم صبَّ قلبه
 من الروم أما وجهه فشوه
 أضرَّ بعفِّ الذيل حتى أمضه
 تحطَّفه في مخاب الجور غيلةً
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة
 بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهر^(٧)
 عليه قضى بظُلًا بها وهو لا يدري^(٨)
 من الجور مطبوعًا على قالب الغدر
 وقاح وأما قلبه فمن الصخر^(٩)
 ولم يلتفت منه إلى واضح العذر^(١٠)
 فنجَّ به من مظلم السجن في القعر
 فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى^(١١)

(١) التصعلك : الافتقار . الاملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .

(٢) المذاكي : الخيل التي تم سننها وكتلت قوتها .

(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر : يبالغ في الاحسان . العافين : الفقراء . النائل
 الغمر : العطاء الكثير

(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثرى : الغنى ، (٥) العدم : الفقر .

(٦) تحثو ترابه : تصبه . (٧) الشجو : الحزن .

(٨) عزاه : نسبه . (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث ،

(١٠) عف : عفيف .

(١١) الخلب : هو في الأصل بظفر كل سبع من الماشى والطائر . غيلة ، يقال قتله غيلة : أى

خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .

(١٢) تنوء به : ثقله . الأقياد : جمع قيد .

تفاديه والسجان يكثر زجرها
بُنَى أَظُنَّ السَّجْنَ مَسَّكَ ضَرْه
بُنَى اسْتَعْنِ بِالصَّبْرِ مَا أَنْتَ جَانِيًا
فَجِئْتَ أُعَاطِيهَا الْعِزَاءَ وَأَدْمَعِي
عجوز له من خلف عالية الجُدْر (١)
بُنَى بِنَفْسِي حَلَّ مَا أَصَابَكَ مِنْ ضُرِّ
وهل يخذل الله البريء من الوزر (٢)
كأدمعيا تنهل مني على النحر
ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر (٣)

تجاه اللانهاية

أبعد الدهر في الفضاء مَكْرَه
إن أم النجوم بنت زمانٍ
في فضاء لو سافر البرق فيه
ولو الشمس ضوَعَتْ أَلْفَ ضِعْفٍ
ولو الفكر غاص فيه دُنْغًا
سعة تحسب المجرة فيها
يقف الفكر دونها مُكْوِنًا
لو أضفنا إلى الفضاء فضاء
إن تكن هذه المجرة نهرًا
أو تكن أرضنا من الشمس جزءًا
إن تسائل عنا فنحن هباء
صادفتنا أشعة من حياة
كل من جاوز الأشعة منا
فعلام الخقود يضم حتمًا

عالقًا في مَكْرَهٍ بِالْمَجْرَه
لم تزل حادثاته مستمرة
ألف قرن لما أتى مُسْتَقْرَه
لم تكن في أثره غير ذرَه
لم يكن بالغًا يد الدهر قعرَه
حَلَقَةٌ أَثْقِيَتْ بِصَحْرَاءَ قَفْرَه
مقشعرا وتأخذ العقل حَيْرَه
مثله لم تزد ولا قيد شعره
مستفيضًا فشمسنا منه قطره
فهي سِقْطٌ مِنْ جَمْرَه مَسْتَحْرَه
ذُرٌّ مِنْ صِنْعَةِ الْقَوَى بِمَذْرَه
فظهرنا وهل لأول مره
فهو هاوٍ في ظلمة مكفهره
وعلام الجهول يظهر كبره

(١) الجدر : جمع جدار .

(٢) الوزر : الذنب .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعلى موجه . العبرة : الدمعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتباهي ؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء؟
أم من وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء؟
خرجت من ظلمة لأخرى	فما أمانى وما نورانى؟
ما زلت من حيرة بأمرى	معاين اليأس والرجاء
إن طريق النجاة وعر	يكبر به الطرف ذوالنجاء ^(١)
يا قوم هل في الزمان نطس	يهدي إلى ناجح الدواء ^(٢)
لأى أمر ذه الياالى	تأنى وتمضى على الولاء؟ ^(٣)
فتطلع الشمس في صباح	وتقرب الشمس في مساء
أرى ضياء يروق عيني	ولست أدري كنه الضياء ^(٤)
وما اهتزاز الأثير إلا	علاية نزرة الجلاء ^(٥)
نحن على رغم ما علمنا	نعيش في غيبب الماء ^(٦)
نشرب ماء الظنون عباً	فلم نعد منه بارقواء ^(٧)
تأنى علينا مشاهدات	نروح منهن في مرآ ^(٨)

(١) الطرف : الكرم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطيب الخاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متتابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . والشطر الثانى من البيت فيه استعمان فاعلن على وزن مفعولن وقد درج على ذلك بعض الشعراء فى مخلم البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفى هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير فى اصطلاح العلم : شىء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلاية : هى ما يتعمل به ويتلقى . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيبب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس .

(٨) المرآ : الخلاف والجذل .

وكم نرى فعل فاعلات من القوى وهي في الخفاء^(١)
يا ويلة الحس إنه عن حقيقة الأمر في غطاء
فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجهاد عرك يتهم الحس بالخطاء^(٢)

يا قوة الجذب أطلتيني من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شكالي اطرت كالنور في الفضاء^(٣)
أنت عماد السماء لكن خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها بعضاً ببعض ربط اعتناء
فدرون في الجود جاريات كأنها السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا بأننا من بنى السماء
لو كنت في المشتري لبانت أرضى سماء بلا امتراء^(٤)
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وإنما نحن فوق نجم نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري أي ارتقاء للروح يبقى أي ارتقاء
وأنت يا كهر باء سرر بدا وما زال في غشاء^(٥)
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت أيماً انطواء^(٦)
أضأت إن شئت كل داج لنا وأدريت كل ناء^(٧)
فأنت للكائنات روح إن كانت الروح للبقاء

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجهاد : ذراته ، وذرات كل شيء ، على ما حققه العلم ، في حراك مستمر ، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطاء .

(٣) الشكال : الوثاق يقيد به . (٤) المشتري : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء . (٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدريت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقةً صحيحةً الأداء^(١)
فقال والقول منه ظن ما تكون إلا بالكهربية

o o o

وليلةً بثها أنادي نجومها أبعد النداء
أخذ منهن بالتداني ففكرًا ويأخذن بالتناهي
فأثنى باكيًا بشعري ويطرب الليل من بكائي
وزيما كرت بعد وهن فكري فألني بعض الشفاء^(٢)
فأرجع القهقري أغني وما سوى الشعر من غناء
أقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في إزائي^(٣)
يأبها الأنجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
أما كفائك السني جمالًا حتى تجلت بالسناء^(٤)
يا أنجم النعش فاصدقيني أمات ذو النعش بانطفاء^(٥)
إني إذا كنت في حداد إليك أهدي حسن العزاء
وأنت يانسر من كلال وقعت أم طليبة الغذاء^(٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد مقتبى القضاء^(٧)
كان أم النجوم سيف سل على الليل ذو مضاء^(٨)
رُصع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء^(٩)
كان نجم السها أديب في أرض بغداد ذو ثواء^(١٠)

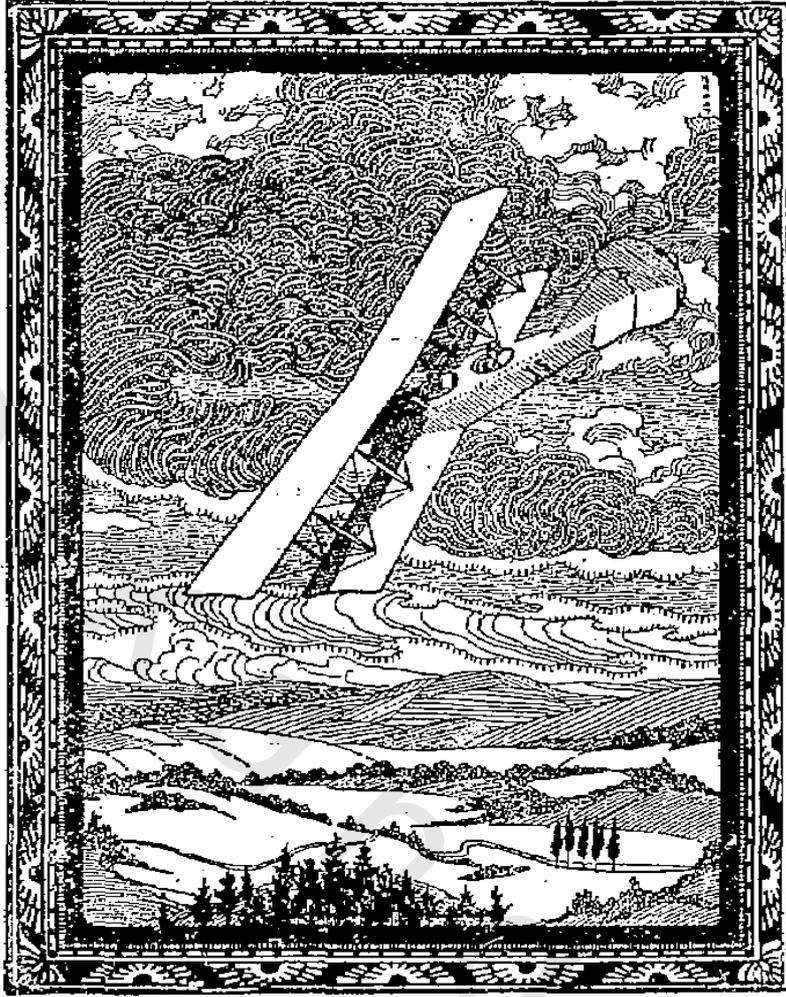
- (١) تقاضاك : طلبك .
(٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . إزائي : مقابلي .
(٤) الشفاء : النضوء . السناء : الرنعة .
(٥) أنجم النعش : هي الأنجم التي تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو البيت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) ذو مضاء : جاد قاطع .
(٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر .
(١٠) السها : نجم خفي تمتحن الأبصار برويته . الثواء : الإقامة .

كأن خط الشباب مدلٍ لأسفل البئر بالرشاء (١)
كأنما أنجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء (٢)

برئت للعوت من حياة ما نكبت مهيع الشقاء (٣)
لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حومة البلاء
يأيتها المترف المهينا يمرح في ثوب كبرياء (٤)
مهلاً أخوا الكبر بعض كبر ألت تقنى بعض الحياء
أنت ابن فقر إلى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء (٥)

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله في البئر . الرشاء : الحبل .
(٢) القفاز : لباس اليد ، وها قفازان . الفصوص : جمع ، فص يفتح الفاء وضمها وكسرهما ، وهو ما يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
(٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نجاه وأبعده عنها . المهيع : الطريق .
(٤) المترف : المتعم .
(٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على منطادٍ جائل في شواسع الأبعادِ (١)
 طائر في الفضاء عرضاً وطولاً يجتاح من القوى غير بادِ (٢)
 أيها الأرض سرت سيرك مثنى ذا نتاجين في زمان أحادِ (٣)
 فتقلبت في نهار وليل ذا مُضِلٌّ وذاك للناس هاد

(١) المنطاد : هو ما يصار به في الفضاء ، وهو ما يسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .
 (٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها في الزمان الواحد دورتين ، نتيجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تنمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تنمها في سنة كاملة .

في بلادٍ يَكُونُ سيركُ تأويباً من أته سُرِّي في بلاد^(١)
 فيك دفعٌ وفيك يا أرض جذب لكِ ذا سائقٍ وذا لكِ حادي؟^(٢)
 فلكِ دائر على الشمس طوراً في اقترابٍ وتارةً في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت من الآراء إلا على خلاف السداد
 لبقاء تَقَلْنَا الأرض في تسيارها أم تقلنا لنفاد؟^(٣)
 نحن في عالمٍ تَقَصَّفُ فيه عارض النائبات بالإرعاد^(٤)
 شأنا العجز فيه نوجد أنى قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جَدر الحياة عنا فحَلْنَا أنها كالأصمِّ في الأعداد^(٥)
 شغلتنا الدنيا بلهو ولعب فغفلنا والموت بالمِرصاد
 ضلَّ من رام راحةً في حياة نحن منها في معركٍ وجلاد^(٦)
 إنما هذه الحياة جروحٌ أضحمتنا والموت مثل الضماد^(٧)
 كلُّ أمر يهون إن أطلقت أر واحنا أوثقتُ بالأجساد
 لا تلمني إذا جَزَعَتْ فإني ما ملكت الخيار في إيجادي
 طال عتبي على عِدات الليالي مئتما طال مَظَلُّها بمرادي^(٨)
 كدَّرت عيشي الخواذح حتى لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^(٩)

(١) التأويب : السير جميع النهار . السرى : السير في الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهاري في بلاد هو في الوقت نفسه سير ليلى في بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضئاً وهو ما يقابل نور الشمس ، النصف الآخر يكون مظلماً وهو ما لا يقابلها ، ويتناثر ما تنبعث الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادي : من حدا الدابة إذا غنى لها لتجود في السير . (٣) تقلنا : تحملنا .

(٤) العارض في الأصل : السحاب الذي يتعرض في الأفق . النائبات : المصائب .

(٥) حلنا : ظننا . الأصم في اصطلاح احسائيين : هو العمد الذي لا يؤخذ جذره ، بمعنى أنه لا يكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالجمه والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أننا جعلنا أصل الحياة ، فقلنا لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذي لا جفونه .

(٦) الجلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيف .

(٧) أضحمتنا : أضعفتنا وأضعفتنا : الضماد : العصابة التي يربط بها موضع الجروح .

(٨) عِدات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلّ في الأمور على الأشكال إلا تفحص الأضداد
فاعتبر بالسفيه نمن حلياً وتعرف بالغى طرق الرشاد
والليب الذي تعلم إتيا ن المعالي في خسة الأوغاد^(١)
أيها الغرّ لا تغرك دنيا ك يكون مصيره لفساد
خفّ من غاص في الغرور كما في لجة الماء خفّ ثقل الجراد^(٢)
يا خليلي والخليل المواسى منكما من يقوم في إسعادي^(٣)
خاب قوم أتوا وغى العيش عزلاً من سلاحى تعاون واتحاد^(٤)
قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بحبل وداد
لو علمنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأداة من حُساد
فتناع الحياة أحقر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
أنا والله لا أريد بأن أو قع شراً ولو على من يعادى
إنّ لى إن سمعت أنّة محزو ن أنيناً مرجعاً في فؤادى
إن نفسى عن همها ذات شغل بهموم العباد كلّ العباد
لا أحب التسيّم إلا إذا هبّ على كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجدّ في العلى والجهاد
عصر حكم البخار والكهربائيّة و«الماكنات» والمنطاد
بُنيت فيه للعلوم المباني وأقيمت للبحث فيها النوادي
فاض فيض العلوم بالرغم ممن ضربوا دونهم بالأسداد^(٥)
إن للعلم فى الممالك سيراً مثل سير الضياء فى الأبعاد

(٢) خفّ : من خفة العقل

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو التميم ،

(٣) المواسى : المعين .

(٤) وغى العيش : شدته ، والوغى فى الأصل : أصوات الحارين فى الحرب . عزلاً : جمع أعزل ،

(٥) الأسداد : جمع سد .

وهو الذى لاسلاح معه .

أطلع الغربُ شمسَه فحبا الشرِّ قى اقتباسًا من نورها الوقاد
إن للعلم دولةً خضعت دو ن علاها عوالم الأضداد
ما استفاد الفتى وإن ملك الأر ضن بأعلى من علمه المستفاد
لا تسابق في حلبة العزِّ ذا العلم هم فما للهجين شأؤ الجواد (١)
إن أموات أمة العلم أحياء حياة الأرواح والأجساد
وكأين في الناس من ذي خول صار بالعلم كعبة القصاد

ربَّ يوم وردت دجلةً فيه موردًا خاليًا عن الوراد
حيث ينصب في سكوت عميق ماؤها لائمًا ضفاف الوادى
وهبوب النسيم يكتب في الما ء سطورًا متهزَّة في أطراد
يمجى بعضها ويظمر بعض فهى تنساب بين خاف وباد (٢)
وتنَّ المياه لى بخرير كأنين السقيم للعواد (٣)
قمت فى وجهها أردد طرفى ساكتًا والضمير مئى ينادى
واقفاً تحت سرحة ناح فيها طائر فوق غصنها المياد (٤)
منشدًا فى النواح شعراً غريزيًا حزينًا كأنه إنشادى
جاوبته أفنانهم بأنين من حفيف الأوراق والأعواد (٥)
أيهما الطائر المرجع فوق ال غصن هل أنت نأح أم شاد
بين ماء جار ولحن شجى منك يا طائر استطار فؤادى
يامياها جرت بدجلة تجتا ز مرورًا بجانبى بغداد
إن نفسى إلى الحقيقة عطشى أفتشفين غلاة من صاد (٦)

(١) الهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .

(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .

(٤) المرححة : الشجرة العظيمة . المياد : المتمايل .

(٥) أفنانها : أغصانها . الحفيف : صوت أوراق الشجر .

(٦) الغلاة : العطش ، العادى : العطشان .

كنتِ تجرين والرُّصافة والكر
أيها الماء أين تجرى ضياعاً
فمتى تفتن النفوس فيحيا
لو زرعنا بك البقاع خبواً
أفيدري خليج فارسَ ماذا
أنت والله عسجد ولجين
فاجرٍ يا ماء إن جرّيت رويداً
علمنا نستفيق من رقدة الفقـر
سلكتك السما ينابيع في الأر
فتفجرت في السفوح عيوناً
وإذا ما انتهيت في جريانٍ
هكذا دار دائر الكون من حيا

نخ خلاً من رائجٍ أو غاد
وحواليك قاحلات البوادي؟^(١)
بك سقياً موات هذى البلاد
لحصدنا النضار يوم الحصاد^(٢)
فـهـ منك بالغ بازدراد
لو أتينا الأمور باستعداد^(٣)
بأناةٍ ومهلةٍ واتآد^(٤)
ففتنى بفيضك المزاد
ض أمدتك أيماً إمداد
نبعت من مخازن الأطواد^(٥)
عدت للبدء في متون الغوادي^(٦)
ث انتهى عاد راجعاً للمبادى

كلمة معتبر

أقوى مصيفُ القوم والمربعُ
سارت بنا الأرض إلى غاية
ونحن كالماء جرى نابعاً
فالدار قفر بعدهم بلقع^(٧)
لنا وللأرض هي المرجع
لكن علينا خفي المنبع

(١) أرض قاحلة : لآبات فيها .

(٢) النضار : الذهب .

(٤) الأناة والمهلة والأتآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأني .

(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٦) التون : جمع متن ، وهو جانب الشيء . الغوادي : السحاب الذي يكون فيه المطر . يقول ، إن الماء بعد ما ينتهي جريانه يرجع كما كان في بادىء الأمر سحاباً بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطراً ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيأجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب

تعود ظهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالمطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفاً ، والمربع : مكانها ربيعاً . البلقع : الأرض الخالية من السكان .

يخون فيها القول منطيقه كما تخون البطل الأدرع^(١)
ما أقدر الموت فمن هوله لم ينج لا كسرى ولا تبع^(٢)
يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
وياطبيب القوم لا تؤذهم إن دواء الموت لا ينجع^(٣)
لا بد للغرور من مندم بالعض تدعى عنده الأصبع
وما عسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست إذن تنفع^(٤)
يا برقع الخلقه وأها لما فيك وأها منك يا برقع
قد زاغت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع
وأنيس في الإمكان عند النهى أبداع مما خلق المبدع

الكنى يا ضياء

أجدك يا كواكب لا ثرينا بيانًا منك يُخبرنا اليقين^(٥)
كأن العالم العلوي سفرًا نطالعه ولسنا مفصحين
نحاول منه إعراب المعاني بتأويل فترجع معجمينا^(٦)
كواكب في المجرة عائمات حكمت في بحر فسحتها السفينا^(٧)
سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا

(١) المنطيق : البليغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم القرس . وتبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي للحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزير لمصر .

(٣) لا ينجع : لا يؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع لروح . والحشرجة : الفرغرة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرهما ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة . ومعناها أجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استخلاف بالجد ، أي البيخت والخط ، وبكسرهما معناها استخلاف بالجد . أي الحقيقة والاجتهاد . والجد الذي هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) المجرة : مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر . وإنما يندثر ضوءها كأنه بقعة بضياء . حكمت : أشبهت . السفين : جمع سفينة .

شموس في السماء علت وجلت
سوايح في الفضاء لها شئون
وما ارتجفت بجنح الليل إلا
لعل لها بهذا الجو شأنًا
تلوح على الدجى متالئات
وأنى يدرك الرأى مداها
تود الغايات إذا رأتها
تقلده على اللبسات منها
فظنوا في حقيقة الظنونا
ولما يعلموا تلك الشئونا
لتضحك فيه مما يزعمونا
سوى ما نحن فيه مرجوننا^(١)
فتبهج في تلالئها العيونا
وإن ألقى لها نظراً شفوننا^(٢)
لو انتظمت لها عقداً ثميننا
وتطرح الدماغ والبرينا^(٣)

ألكنى يا ضياء إلى الدرارى
لعلك راجع منها جواباً
فقل ، إنى تحير فيك فكرى
فيا أم النجوم وأنت أم
وهل فيك الحياة لها وجود
وهل بك مثل هذى الأرض أرض
رسالة مسير فيها الجفونا^(٤)
يزيل عماية التحيرينا
كذلك تحير المتفكروننا
أيولد فيك كالأرض البنونا^(٥)
فيمكن للردى بك أن يكونا

وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقاً وخلقاً
وهل هم في الديانة من خلاف
نصارى أو يهود ومسلمونا

(١) مرجون : فائون بما لا أعلم .

(٢) مداها : غايتها . شفن شفوننا : رفيع طرفه اظرا لشيء . كالنعب أو كالسكاره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللبسات : جمع لبة وهي النجر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدماغ : جمع دملج ، وهو حلى يلبس فى المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (يضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألكنى إلى فلان : أى كن رسولاً إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً
وهل حُصيت بك الأيام حتى
وهل بالهوت نحن إذا خرجنا
فتبقي عندك الأرواح منّا
فأحبب بالنون إذن وأحبب
بها إن كان سَلَمَك المنونا^(٢)
فقوق الأرض نحن معذبونا
تألف من تعاقبها السنونا^(١)
عن الأجساد نحوك مرتقونا^(١)
تُصان فلا ترى جَنَفًا وهونًا^(٢)
فمنحن نخاله بعداً شَطونًا^(٤)
فهل أبعاده بك يتهيننا
إليك استشرف المتشرفونا^(٥)
علينا أم بعدت لتخذعينا
يحل بك الغناء فتذهيننا
فهل صدقوا أو ارتكبوا الجونا^(٦)
فهل أبناء بنتك يصدقونا^(٧)
أثير في القضاء أبنى السكونا^(٨)
بعلم ككيانك المترصدونا^(٩)
ولا (غاليل) أنبأنا اليقيننا^(١٠)
أبانك يا تجوم تجذبينا^(١١)

o o o

أيني ما وراءك يا درارى
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً
وصغرك ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد
وقالوا ما لعدتك انتهاء
وقالوا الأرض بنتك غير ميين
وقالوا إن والدك المفدى
ترصدك الأنام وما أتانا
(فهرشل) ما شفى منّا غليلا
و (كبير) قد هدى أو كاد لنا

- (١) مرتقون = مرتفعون .
(٢) يقول : أيتها البجرة ، هل نحن نرتفع إليك إذا منا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان ساعداً للوصول إليك .
(٣) تصان : تحفظ . جنفا : ظلم .
(٤) بئر شطون : بعيدة القمر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . اشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٧) الأبن : الكذب .
(٨) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء أعطف من الهواء .
(٩) الكيان : الطبيعة .
(١٠) هرشل وغاليل وكبير : علماء فلكيون .
(١١) أبانك ؟ أظهرتك .

إلى كم نحن نلّبس فيك لبساً ومن جرّك ندرع الضنونا^(١)
أعل النجم في إحدى الليالي سبعت للورى نوراً مينا
تقوم له الموائف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

الأرض

خبيراً في الأرض أوحته السما لأولى العلم برسئلي الفكر
أن هذى الأرض كانت أولاً ما ترى بحراً بها أو جبلاً
أوسهولاً أو رُبّاً أو سُبلاً أو رياضاً زهرها الغض نماً^(٢)
من سحاب جادها بالمطر
إنما كانت كتلك الأخوات من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هي إحدى النيرات كنّ من قبل عليها سدماً^(٣)
كتلة واحدة في النظر
ثم بعد انفصلت من ذا السديم قطع منها صغير وجسيم
ضمن أفلاكها الدور تديم فاستقر الكل فيها أجماً
حول غير الشمس لم تستدر^(٤)
أولاً « نبتون » منه انفصلا ثم « أورانس » يهدى زحلاً^(٥)

(١) من جرّك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .
(٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أي كانت النجوم التي هي في العالم الشمسي حول الشمس بمنزلة الغيوم .

(٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التي يتألف منها النظام الشمسي ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطاً مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى في القرآن الكريم :
« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما » .

(٥) نبتون : هو النجم السيار الذي لم يعرف في القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يسكن معروفاً من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضاً هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التي ذكرها بعد أورانس هي السبعة السيارة الأصلية ، التي تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهي تدور حول الشمس .

ثم للمشـتري مريـخ تـلا ثم هـدى الأـرض فالزـهرة ما

بعدها غير أخيها الأشهر^(١)

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقرب سيار غدا

وهي سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض ذات انتظما

خلفها المريخ ثم المشـتري

أرضنا كانت لظى مشتعلة مذ من الشمس غدت منفصلة

لم تزل في دورها منتقلة كثرة فيها اللهب احتدما

وهي ترمي في انفضا بالشرر

كان فيح النار منها مصعدا وهجا في الجو عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينقدا فوقها منه بخار ديم^(٢)

هاطلات بالحيا المنهر^(٣)

بقيت حيناً وهذا أمرها وهي بالإشعاع يخبو حرها^(٤)

وانثى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدم^(٥)

واستمرت بطنها في سُـعـر^(٦)

ثم قد صار على مر الزمان قشرها يغلظ أنا بعد آن

بيد أن النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرماً

بصدوع مُدهشات البصر^(٧)

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ؛ وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) اليم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ، والراد به هنا المطر مطلقاً .

(٣) الحيا : المطر . النهر : السائل ، أي أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينقذ سحاباً ماطراً .

(٤) يخبو : يخبو : يخبو ويسكن .

(٥) يحاكي : يشابه . الأدم : البشرة وهي ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتأتيه لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير في استمرت عائداً إلى الأرض . فتكون جملة بطنها في سعر ، في موضع الحال من الضمير . السعر :

الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسعر في الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصَتْ أَطْرَافَ هَاتِيكَ الصَّدُوعَ بِجِبَالٍ شَمَخَتْ مِنْهَا الْقُرُوعُ
 وَهِيَ فِي الْعَيْنِ أَشْكَالُ تَرُوعٍ تَقْدِفُ الْأَفْوَاحَ مِنْهَا جَمْعًا (١)
 صَارَ مَتِينٌ رُكَامُ الْحَجَرِ (٢)
 حَصَلَتْ مِنْ قَدْفِ هَاتِيكَ الْمَوَادِّ حَيْثُ يَحْمَدُنَ جِبَالٌ وَوَهَادٌ (٣)
 وَرِكَازٌ وَصَخُورٌ وَجَمَادٌ بَعْضُهَا دَقٌّ وَبَعْضٌ عَظْمًا (٤)
 وَهُوَ صَلْبُ الْجِسْمِ صَعْبُ الْمَكْسِرِ
 وَهَنَّاكَ أَنْعَمْتَ فِيهَا الْغَيُومُ مِنْ بَحَارٍ كَانَتْ فِي الْجَوِّ يَوْمَ
 رَدَّهَ الْبَرْدُ مِيَاهًا فِي التَّنْخُومِ فَجَرَى السَّيْلُ عَلَيْهَا مَفْعِلًا (٥)
 كُلُّ غُورٍ فَوْقَهَا مَنَحْدِرٌ (٦)
 عَمَّا السَّيْلُ فَغَطَى حِينَ سَالَ سَطْحَهَا بِحُتْرَفًا مِنْهَا الرَّمَالُ
 فَطَمَّ الْمَاءَ وَاسْكَنَ الْجِبَالَ شَخَصَتْ فِي الْمَاءِ لَمَّا أَنْ طَمَّ (٧)
 وَعَلَتْ كَالسَّقَنِ فَوْقَ الْأَبْحَرِ
 غَمَّرَ الْمَاءُ بِهَا مَا غَمَّرَا ثُمَّ خَلَّى بَعْضُهَا مَنَحْسِرًا (٨)
 مَحْدَثًا فِي السَّطْحِ مِنْهَا جُزُرًا أَنْزَلَ الْمَاءُ بِهَا مَا حَطَّمَا (٩)
 مِنْ طَقْمَالٍ وَحُتَاتٍ الْمَدَرِ (١٠)

- (١) ترُوع : تخفيف . اللحم : جمع حمة . وهي ما تقذفه البراكين عند ثورانها .
 (٢) الركام : الشيء المتراكم بفضه فوق بعض . (٣) الوهاد : الأماكن المنخفضة .
 (٤) الركاك : المعدن . دق : صغر . (٥) التخوم : الفواصل بين الأرضين . مفعبا : مالمثا .
 (٦) الغور : هو ما منحدر من الأرض ، متى تسطعت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ،
 فتصاعد تلك الرطوبة بخاراً في الجو ، وبتى بلغ الطبقة الباردة من الهواء يتجلل ويتساقط مطراً ،
 وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم : « ألم تر أن الله يرزق سبحاناً ثم يؤلف
 بينه . ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاله » . الودق : المطر .
 (٧) طمما : ارتفع . (٨) منحسرا : منكشفا .
 (٩) الجزر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .
 (١٠) الطقال : بفتح الطاء وضمها هو الطين اليابس . الحتات ، بضم الحاء : هو ما تنثر من كل
 شيء . المدر : التراب المتبلد .

بسيول الماء كم فيها ارتكم^(١) من رمال رسبت فيها أكم^(١)
ولكم خدّت أخاديد وكم^(٢) قد بنت من طبقات علما^(٢)
نصدت فيه صفيح المرمر^(٣)
ثم صارت وهي من قبل موات^(٤) تصلح الأقطار منها للحياة^(٤)
فانبهرت تذبّت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسا^(٥)
وارتقت فيها لنوع البشر^(٦)
فغدت إذ ذاك تزهو بالرياض^(٧) وبها الأدواح تنمو في الغياض^(٧)
ثم ترميها أكف الانقراض^(٨) بانحطام حيث تسمي فخما
حجريا بمسرور الأعصر
من حطام الخلق في الأرض هضاب^(٨) كوتهن أكف الانقلاب^(٨)
ما تراب الأرض والله تراب^(٩) إنما ذاك حطام قداما
من جوم باليات الكسر
كم على الأرض رفات باليات^(٩) من جوم طحنتها الدائرات^(٩)

- (١) ارتكم الشيء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشيء في الماء : وصل إلى أسفله .
أكم : جمع أكمة . وهي التل .
(٢) خدّت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل في الأرض . العلم : الجبل .
(٣) نصدت الشيء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارتها .
(٤) الأرض الموات : هي الحراب . أوالتي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : النواحي
والجهات ، مفردا قطر .
(٥) النسيم : جمع نسمة وهي نفس الروح ، وأراد بالنسيم الأرواح أنفسها .
(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد
اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء
الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب .
(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .
(٨) الحطام : ماتكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ماتكسر من عظامها
وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض .
(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكر ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجمع صفته وأثما .

فاحتفِر في الأرض تلك الطبقات تجد الأقباض فيها ربما^(١)

هي للأحياء أو للشجر

كل وجه الأرض للخلق قبورٌ خفف الوطاء على تلك الصدور

والعيون النجل منهم والثغور إنما أنت ستفنى مثلما^(٢)

قد فنوا والموت دامى الظفر

ظلت الأرض على كره الدهور تُبحر الأجيل فيها والبحور^(٣)

فوقها تُجبلُ والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكما

بجبال السمك المستحجر

علماء الأرض لم تبحر ترى حيوان البر لما دنا^(٤)

منه في الأبحر أبقى أثرا وكذا في البر ألقى العالما

أثرا من حيوان الأبحر

كل ما في الأرض من فقرٍ وبيدٍ وجبال شهقت فوق الصعيد^(٥)

عن زهاء الربع منها لا يزيدٌ وسوى ذلك منها انكنا

تحت ماء البحر لم ينحسر

في صعيد الأبحر المنعمين مثل ما يوجد فوق اليابس

من جبال ناتئات الأروس ووهاد تستنزل القدما^(٦)

ورباً مختلفات القدر^(٧)

(١) الأقباض : الأبنية المنهدمة . الرسم : ما بلى من العظم ، مفردها رمة . وأراد بها الشاعر

ما هو أعظم . (٢) النجل : العيون الواسعة الحسنة .

(٣) تبخر الأجيل : أي تصيرها بحرا . والأجيل : جمع جبل . تجبل : تصير جبالا - يعرض

للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه

الفواعل تنوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في

البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رؤوس

الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار .

(٤) دنرا : بني واحي .

(٥) البيد : جمع بيداء ، وهي الفلاة لآماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

(٦) ناتئات : مرتفات . تستنزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض .

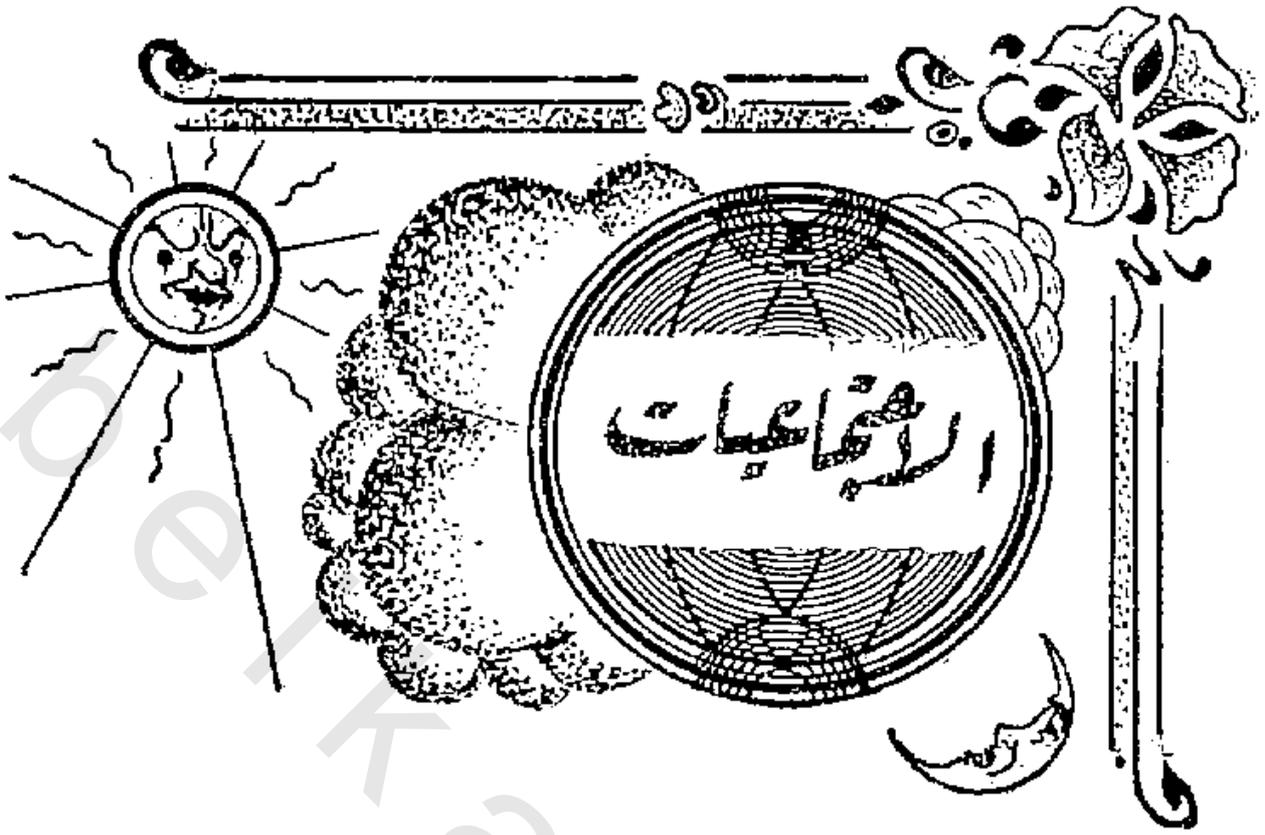
ما ترى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكي الجحيم^(١)
ومن الزلزال ذى الهول العظيم دلّ أن الأرض فيما قدما
ذات جرم ذاتب مستعر^(٢)
كل ما كان بحال السيلان فهو يغدو نكرة بالدوران
وكذاك الأرض في ماضى الزمان كروياً قد غدا ملتئماً
جرمها من سيلان العنصر
ثم إن الأرض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالولود^(٣)
قراً دار عليها بسعود وجلال في الليل عنها الظاماً
فهي بنت الشمس أم القمر^(٤)

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف نارا ودخانا وماء ووحلا ومواد ذاتية ، فيبدو منها إذ ذاك مجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفرد ما بركان ، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربي الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .

(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجرد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هي ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها متفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .



نحن والماضي

عهدتك شاعرَ العربَ المَجيِّدا
فنحن إليك بالأسماعِ نُصغِي
بشعر لا تزال تنوط منه
إذا أنشدته الحسناءُ تاهتُ
وأنت إذا قرعت به عبيداً
ولو تستهض الجبناء يوماً
ولو كررته للقوم ألقاً
وكم تهز أعطافُ المعالي
قلو أنشدتنا في الفخر شعراً
تذكرنا الأوائل كيف سادوا
وكيف تبوعوا الشرف المديداً^(٥)

فما لك لا تطارحنا النشيداً^(١)
فهل لك أن تفيد قنستفيداً
بمجد بدائع الدنيا عقوداً^(٢)
كأن قرطها دُرّاً فريداً^(٣)
رددت إلى الحرار به العبيداً^(٤)
به لتفحموا الهيجا أسوداً
لأقسم سامعوه بأن تعيداً
إذا ما قلت قافية شروداً
تذكرنا به العهد البعيدا
وكيف تبوعوا الشرف المديداً^(٥)

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا
أجل إن القبائل في معدٍ
وإن لهاشم في الدهر مجداً
إليّ إذ ارتحلت له القصيداً
علوا فتسمنوا المجد المجيداً^(٦)
بناه لها الذي هشم الثريدا

(١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أي لا تجاوبنا منشداً ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء :

إذا نظره وجاوبه .

(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .

(٣) تاهت : : كبرت . وقرطها : أي ألبستها قرطاً ، والقرط بالضم : هو الذي يعلق في

شحمة الأذن ، : درة أو نحوها .

(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .

(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أي الممدود الطويل .

(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسمنوا المجد : أي علوه . ومعد : هو معد بن عدنان :

أبو العرب .

وَمُنْذَرًا قَامَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ
وَأَنْهَضَهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْمُعَلَّى
فَأَصْبَحَ وَارِيًّا زَنْدَ الْمَعَالَى
فَمِهِمْ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا
وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا
وَأَرْجَحَهُمْ لَدَى الْجَلِيِّ حُلُومًا
وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي
وَمَا يُجِدِي افْتِخَارَكَ بِالْأَوْلَى

° ° °

أَرَى مُسْتَقْبِلَ الْأَيَّامِ أُولَى
فَمَا بَلَغَ الْمَقَاصِدَ غَيْرَ سَاعِ
فَوَجَّهْ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَ آتِ
وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرْنَا شَقِيًّا
تَقَدَّمَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطًا
وَأَسَّسَ فِي بِنَائِكَ كُلَّ مَجْدٍ
فَشَرَّ الْعَالَمِينَ ذُو خُمُولٍ
وَخَيْرَ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْرًا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجُوهَ الدَّهْرِ بِيضًا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) دُوخُوهَا : أى قهروها واستولوا على أهلها .

(٣) الجَلِيُّ : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .

(٤) الشَّوْطُ : الجرى مرة إلى القاية .

(٥) المجد الطريف : الحديث المكتسب . والتلید : القديم الموروث .

وقد عهدوا لنا بتراث ملك أضعنا في رعايته العموداً^(١)
وعاشوا سادة في كل أرض وعشنا في مواطننا عبيداً
إذا ما الجبل خيم في بلاد رأيت أسودها مسخت قروداً

معتك الحياة

هو الدهر لم يترك مشن غواره^(٢) على سابق من ليله أونهاه^(٣)
يشير غبار الحادثات بكره وهل نحن إلا من مثار غباره
وكم عبر مطوية في صروفه فهل من مجيل فيه طرف اعتباره
خليق إن الأرض غربال قدرة نجمت الأحياء بين إطراره^(٤)
تميد به كف الزمان تحركاً لمحو ضعيف أو لإثبات فاره^(٥)
فيمتد به الأقوى قرين ارتقائه كما يسقط الأوهى رهين اندثاره^(٥)
فلا عيش في الدنيا لمن لم يكن بها قديراً على دفع الأذى والمكاره

لعمرك ما هذى الدنيا بملبس لمن حيك من عجز نسيج شعاره
ولكن لمن أمسى بأيدٍ وقوة يجرّ على الأيام فضل إزاره^(٦)

- (١) قوله بتراث ملك ، التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، أى بتراث هو ملك ، فلاضافة بيانية .
(٢) الغوار : كالأغارة ، مصدر غاور العدو إذا غار عليهم . ومشن : مصدر ميسى بمعنى الشن . وشن الغارة تفرقها وصحبها من كل جهة . يقول : إن الدهر لا يقعد عن شن الاغارة بحوادثه المتتالية ، وهو على جوادن سابقين ، هما الليل والنهار .
(٣) يشير بهذا والذي بعده إلى قانون الاصطفاء الطبيعي ، وهو قانون بناء الأنسب ، فهو يعمل عمله في الأرض الدائرة حول الشمس ، فيضمحل في أثناء دورانها الضعيف من المخلوقات ، ويبقى بها القوى القادر على دفع كل ما يقاوم حياته فيها ، فهى في ذلك بمنزلة الغربال ، الذى يسقط عند تحريكه كل دقيق صغير ، ويبقى فيه ما هو كبير . وإطار الغربال : اللوح المحيط به
(٤) تميد به : أى تدور به وتتحرك . والفاره : المديح النشط ، والمراد به هنا : ما يقابل الضعيف ، وهو القوى .
(٥) الأوهى : الأضعف ، وهو مقابل للأقوى في الشطر الأول .
(٦) بأيد : أى بقوة ، فعطبت القوة عليه من قبيل عطف التفسير . والباء هنا للمصاحبة .

أرى الشمس تُخفى ضوءها كل تبارق
وما ذاك إلا أنها في تلهّب
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره
وما الليث نولا بأسه في عرينه
ومن غاور الأيام غير مدجج
ومن لم يهن صرف الزمان برحله
وما شرف الدرّ الثمين فريده
وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
يموج بنور ساطع وقد ناره
إذا لم يعُد بالليل غب اعتكاره
قويًا يكن شلواً أكيلاً لجاره^(١)
بأشرف من صبّ الفلا في وجاره
فلا يطمعن في مغنم من مغاره^(٢)
شبهه صروف الدهر في عقر داره^(٣)
إذا هو لم يبرح بطون محاره^(٤)

أرى كل ذي فقر لدى كل ذي غنى
ولم يعطه إلا اليسير وإنما
ويلبس من تذليله العزّ ضافياً
يشدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً
أجيراً له مستخدماً في عقاره^(٥)
على كده قامت صروح يساره
وينظره شزراً بعين احتقاره
وما الفقر إلا مكسر في عقاره
لنور الفتى يحلو ظلام افتقاره^(٦)
إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

== وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الأزار إنما هو فعل الجبايرة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أمسى قريبا ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب في الآيات المتقدمة مثلا لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التي لا تستطع النجوم طلوعاً تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوباً له . والشلو : المصو من الحجم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عقر الدار : وسطها . أي من لم يرحل الدرع نواب الدرع عنه ، نابه تلك النوائب وهو في وسط داره .

(٤) المحار : الصدق الذي يكون فيه الطؤل ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذا البيت وما بعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة التقير تجاه الغنى ، وعيش الناس من كد الأول .

(٦) يشير بهذه الآيات إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدي نفعا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة .

وما العلم إلا النور يجلو دُجى العمى
ولكن تزيغ العين عند انكساره^(١)
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً
وإن كان بجرّاً زاحراً من بحاره

سل الفلك الدوّار عن حرّكاته
وهل هو في هذا الفضاء مسافر
وهيئنا جبلنا بدأه من تقادم
فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى
وترفع كفت العلم مرخى ستاره
ألا ورى في زبد الزمان فنهتدى
بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر
وإن كان في راد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه
وإن ركبوا في السير متن بحاره

لعمرك إن الدهر يجرى لغاية
فإن شئت أن تحيا سعيداً فخاره
وها هو ذا يعدو فيبتدر المدى
وينهب أعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدّة
وخاب الذى فى جدّة لم يباره
ولمست حياة الناس إلا تجددًا
مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يُحْييه جرّيه
ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض
فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه
عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره
وهم فى مهاوى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدي بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انعكس شعاعه عند تقوّذه فى الأجسام الشفافة كالماء والهواء . تزوغ عين الرأى . أى تنحرف بسبب انعكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتعمير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنكسر . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساھین أن یأبہوا له وقد أصبحوا فی قبضۃ من إسارہ (١)
تراھم جمیعاً بین حیران واجم وآخر یطری ماضياً من فخارہ (٢)

أم الیتیم (*)

رمت مسمعی لیلاً بأنة مؤلم وباتت توالی فی الظلام أنینها
فألقت فؤادی بین أنیب ضیغم (٣) غیھفو بقلبی صوتها مثلاً هفت
وبت لها مرئی بنهشة أرقم (٤) إذا بعثت لی أنة عن توجع
بقلب فقیر القوم رنة درهم (٥) تقطع فی اللیل الأنین كأنها
بعثت إلیها أنة عن ترحم (٦) تقطع أحشائی بسیفٍ مثل (٦)
إذا اهتز فی جوف الظلام الحیم (٧) یهز نیاط القلب بالحزن صوتها
بلحن ضئیل فی الدجئة مبهم (٨) ترددہ والصمت فی اللیل سائد
تصیح إلی ذاك الأنین المجمع (٩) كأن نجوم اللیل عند ارتجافها
وما الشهب إلا أدمع النجم ترمی فیما خفقان النجم إلا لأجلها
أخا مدمع جارٍ ورأسٍ مہوم (١٠) لقد ترکنتی موجع القلب ساهراً
فأعجب منها کیف لم تنضم (١١) أرى فحمة الظماء عند أنینها
فأصبحت ظمان الجفون إلی الکرى

وإن كنت ریان الحشا من تألی (١٢)

وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من متردّم (١٣)

- (١) أن یأبہوا له : أى أن یفطنوا له . (٢) واجم : أى ساکت لشدة حزن أو غم .
(*) من الدیوان الأول .
(٢) الضیغم : الأسد .
(٣) یهفو : ینفق .
(٤) الأرقم : أخبث الحیات وأطلبها للناس .
(٥) مثل : مفعل مکسر الحد .
(٦) مثل : مفعل مکسر الحد .
(٧) النیاط : عرق غلیظ یطابه القلب إلی الوتین . والنیاط فی الأصل : ما یعلق علیه أى شیء .
(٨) الدجئة : الظلمة . (٩) تصیح : تستمع . جمجم الکلام : أى أم یبینه .
(١٠) هوم الرجل تهویماً وتهوم تهوماً : أى هز رأسه من العاس .
(١١) تنضم : تشتعل . (١٢) الکرى : العاس . (١٣) المتردّم : المرقع الذی یرقع

وبيت بكت فيه الحياة نحوسة
 به ألفت الأيام أثقال بؤسها
 كأنى أرى البنيان فيه مهدماً
 ولكن زلزال الخطوب هوى به
 دخلت به عند الصباح على التي
 فألقيت وجهاً خدد الدمع خده
 وجسا نحيفاً أنهكته همومه
 لقد جئمت فوق التراب وحوها
 تراه وما إن جاوز الخمس عمره
 بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا
 وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
 وقفت لديها والأسى في عيونها
 وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
 ولما تناهت في البكاء تضاحكت
 ولكن دموع العين أثناء ضحكها
 فقد جمعت ثغراً من الضحك مفعماً
 فتذرى دموعاً كالجمان تناثرت

- (١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كرهه .
 (٢) فاغرة : فاتحة .
 (٣) الدجى : الليل . الماظم : الحنظل وكل شئ مر .
 (٤) خدد : شقق .
 (٥) يرنو : يدم النظر .
 (٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
 (٧) التعة : هو الشرب بعد الشراب تباعا . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعمل نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير .
 (٨) الأيم التى ففدت زوجها .
 (٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيأت له .
 (١٠) سجم الدمع : سبال .
 (١١) مفعماً : مملووا . الحجر : مدار العين وبدان البرقع .
 (١٢) الجمان : الأؤلؤ .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها
فقلت وفي قلبي من الوجد رَعشةٌ
بكاءَ وفيها نظرة المتبسم
أجفونة يا ربَّ فأرحم وسلم

✽ ✽ ✽

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة
فقام إليها خائر الجسم فأنثت
أشارت إليه بالدماع أن قم^(١)
عليه فضمته بكف ومعصم^(٢)
وظلت له ترنو بعين تجوده
فقال لها لما رآني واقفاً
بفدَّ من الدمع الغزير وتوعم^(٣)
أرددُ فيه نظرة المتوسم^(٤)
وهل هو يأتينا مساءً بمطعم^(٥)
وأنفاسها يقذفن شُعلةً مضرم^(٦)
إلى الموت لا يرجي له يوم مقدم^(٧)
به في مهاوى الموت ضربة مسلم^(٨)
أنت عن حزازاتٍ إلى الدين تنتمي^(٩)
تخوض منها الأرمنيون بالدم^(١٠)
بنفسى من أتعاب عيش مذمم^(١١)
عن الموت أن يودى بأملك مريم^(١٢)
فإنك ترمين القواد بأسهم^(١٣)
من القوم في قتل النفوس الحرم^(١٤)
فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمي^(١٥)
ولكنه جهيلٌ وسوء تفهم^(١٦)
فهم أجزموا والدين ليس بمجرم^(١٧)
فأنت الذي أخرت أملك مريمًا^(١٨)
أمرهم مهلاً بعض ما تذكرينه^(١٩)
أمرهم إن الله لا شك ناقم^(٢٠)
أمرهم فيما تحكمن تبصرى^(٢١)
فليس بدين كل ما يفعلونه^(٢٢)
لئن ملئوا الأرض الفضاء جراًماً^(٢٣)

(١) المصمم : موضع الدوار من الساعد .
في بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المنفوس . (٤) غروبوها : دموعها .
(٥) ترامت به : أبعدهته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حق الأرمين .
وجبهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولكنهم في جنح ليل من العمى	تمشوا بمطموس العلامم مبهم (١)
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم	فكم مُنجدٍ في المخزيات ومُتهم (٢)
ولما رأيت اللوم لؤمًا تجاهها	سكتُ فلم أنبس ولم أنبرم (٣)
وأطرت نحو الأرض أطلب عفوها	ولا أنا بالجاني ولا بالمتيم (٤)
وظلت لها أبكى بعين قريحة	جرت من أفاقها عصاره عندم (٥)
بكيت وما أدرى أبكى تضجرًا	من القوم أم أبكى اشقوة مرهم (٥)

السجن في بغداد (*)

سكنًا ولم بسكن حراك التبدي	مواطن فيها اليوم أئمن من شد (٦)
عفا رسم معنى العزمها كما عفت	« نخولة أطلال بركة نهد » (٧)
بلاد أناخ الذل فيها بكل كل	على كل مفتول السباليين أصيد (٨)
معاهد عنها ضل سابق عزها	فهل هو من بعد الضلالة مهتد
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب	إلى أن محتها معهدا بعد معيد (٩)

(١) جنح الليل : طائفة منه . مطموس : أى بطريق مطموس . والعلامم : جمع علامة ، وهى شئ منصوب فى الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التى يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجد ، أى المكان المرتفع . والمتهم : قاصد تهامة أى المكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أتكلم . أنبرم : أنضجر .

(٤) الجاني : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلله وعبيده .

(٥) الأماقي : جمع مؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصعب بطيخه .

(٦) التبدي : التفريق . أئمن : أسعد .

(٧) عفا : عفى . الرسم : ما كان لاحقًا بالأرض من آثار الديار . المعنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . نخولة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . بركة : نهد : اسم موضع .

(٨) أناخ : المكان : أقام به . الكمكل : الصدر . (٨) السباليين : تسمية سبال ، والسبال : جمع سبلة ، وهى شجر انتشاريين . الأصيدة : الذى يرنح رأسه زهوا ونجيا .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وحلَّق في آفاقها الجور بازياً
وينقض أحياناً عليها فتارة
فيخطف أشلاء من القوم حيةً
ويرمى بها في قعر أظلم موحشٍ
هو السجن ما أدراك ما السجن إنه
بناءً محيط بالتعاسة والشقا
مطالاً عليها صائناً بالتهدُّد^(١)
يروح وفي بعض الأحيان يفتدى
ولم يقدر المقتول منها ولم يد^(٢)
به أين تسقط جذوة الروح تحمُّد^(٣)
جلاد البلايا في مضيق التجلد
لظلم برىء أو عقوبة معتد

* * *

زر السجن في بغداد زورة راحم
محل به تهفو القلوب من الأسي
مربع سورٍ قد أحاط بمثله
وقد وصلوا ما بين ثان وثالث
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحةً
ومن وسط السور الشمالي تنتهى
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
ثلاثون متراً في جدار يحيطها
لتشهد للأنكاد أجمع مشهد^(٤)
فإن زرته فاربط على القلب باليد^(٥)
محيط بأعلى منه شيد بقرمَد^(٦)
بمعقود سقف بالصخور مشيد
تمور بتيار من الخسف مزيد^(٧)
إليها بمسدود الرتاجين موصد^(٨)
مخاريق ضميم تخلط الجدد بالدد^(٩)
بسمك زهاء العشر في الجو مصعد

- (١) البازي : اسم فاعل من بزأ عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازي ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التي تسمى الصقور . صائناً : مصوناً .
(٢) أشلاء الإنسان : أعضاؤه . لم يقدر المقتول : لم يقتل قائله . لم يد : لم يعط الدية ، وهي مال يعطى لولى القتل بدل النفس .
(٣) جذوة الروح : شعلتها .
(٤) الأنكاد : جمع نكد ، وهو الرجل المشؤم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .
(٦) أي هو مربع سور . يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله . أي هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضاً أحاط بسور ثالث أعلى منه .
(٧) هو السور الذي تليه ساحة السجن . تشجيك : تمزك . تمور : تضطرب . الخسف : الإهانة والذل . مزيد : هائج .
(٨) الضمير في قوله إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .
(٩) المخاريق : ما يلعب به الصبيان من الحرق المقتولة . الضميم : الذل . الدد : الابهو .

تواصلت الأحزان في جنباتها
 تصعد من جوف المراحيض فوقها
 هناك يودُّ المرءُ لو قاءَ نفسه
 فقف وسطها وانظر حواليكِ دأراً
 مقابر بالأحياء غصت لحودها
 وقد غميت منها النوافذ والكوى
 تظن إذا صدرَ النهار دخلتها
 فلو كان للعباد فيها إقامة
 يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
 تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
 وحتى كأن القوم شدت رقابهم

بميت متى يبَل الأسي يتجدد
 بخاراً إذا تمرر به الريح تفسد
 وأطلقها من أمر عيش مُنكد^(١)
 إلى حُجَرٍ قامت على كل مقعد
 بخمس مئين أنفاس أو بأزيد
 فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود^(٢)
 كأنك في قطع من الليل أسود
 لصلوا بها ظهراً صلاة التهجد^(٣)
 فلم تحظ من وصل النسيم بموعد^(٤)
 على كل حيزوم صفايح جلمد^(٥)
 بجبل اختناق محكم الفتل محصد^(٦)

* * *

بها كل مخطوم الخشام مدلل
 يبيت بها والهلم ملء إهابه
 يميت بمكذوب العزاء نهاره
 ينوء بأعباء الهوان مقيداً

متى قيد مجرورا إلى الضيم ينقد^(٧)
 بليلة منبول الحشا غير مقصد^(٨)
 ويحيى الليالي غير نوم مُشرّد
 ويكفيه أن لو كان غير مقيد^(٩)

- (١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كالقلى .
 (٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شئ فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ . المرود : الليل الذى يكتحل به .
 (٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) القناء : الوصيد ، وهو ساحة أمام البيت .
 (٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفايح : الحجارة المراض . الجلمد : الصخر .
 (٦) محصد : محكم الفتل .
 (٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جمل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .
 (٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصد السهم ، أى أصابه فقتله .
 (٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أعماله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم كحرّ الساحة لتتوقد
فيرجع بعضٌ من حصير ظلاله ويجلس فيها جلسة المتعبد
وليت تقيمه الحر إلا تعلةً لنفس خات من صبرها المتبدد^(١)
وبالشوب بعض يستنظل وبعضهم

بنسج لعاب الشمس في التميظ يرتدى^(٢)
فمن كان منهم بالحصير مظلاً يعدونه ربّ الأطراف الممدد^(٣)
تراهم نهار الصيف سفعا كأنهم أنافئ أصلها الطمأة بموقد^(٤)
وجوه عليها للشحوب ملامح « تلوح كبنى الوشم في ظاهر اليد »^(٥)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقاً فلم يتميز مطلق عن مقيّد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذلّه مثل سيّد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث مهما يزدد الحر تزدد
تدور رموس القوم من شمّ ننتها فمن يك منهم عادم الشمّ يحسد
تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدّد
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة وما هو من دودٍ بها متولد^(٦)

• • •

الأربّ حرّ شاهد الحكم جائراً يقود بنا قودّ النّلول المعبّد^(٧)

- (١) التعة : ما يتعل به ، أى يتأهى .
- (٢) الفيظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .
- (٣) الأطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للعنوك والرؤساء خاصة .
- (٤) سفعا : وجوههم متغيرة مسودة : الأنافئ : أحجار يوضع عندها القدر ، مفردتها أنفية . أصلها : أحرقها . الطمأة : جمع طاه ، وهو الطباخ .
- (٥) الشحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة في الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .
- (٦) الحمأة : الطين الأسود المتين ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد في غير الحمأة ، ثم ألقى في الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد في الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .
- (٧) النّلول : البعير السهل القيادة . المعبّد : المذل .

فقال ولم يجهر ونحن بمنتدى (١)
 على أى حكم أم لأية حكمة
 فأدريت للنجوى فى نحو سمعه
 رعى الله حياً مستباحاً كأنه
 وما صاحب البيت الحثير بناؤه
 وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا
 فناموا عن الجلى ونمت كنومهم
 وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا
 وكمرت إيقاظاً فأعيا هبوبهم
 نهوضاً نهوضاً أيها القوم المعلى
 تقدمنا قوم فأبعد شوطهم
 وسد علينا الاعتساف طريقنا
 أفى كل يوم يزحف الدهر نحونا
 فياربّ نفس من كرب عزيمة

به غير مأمون الوشاية ينتدى (١)
 ببغداد ضاع الحق من غير منشد (٢)
 وقت لأن العدل لم يتبغدد (٣)
 من الذعر أسراب النعام المطرد (٤)
 بأفزع من رب البلاط المررد (٥)
 ولم ينهضوا للخصم نهضة ملبد (٦)
 سوى نوحه منى بشعر مغرد (٧)
 مشيت وإن يقعد أولئك أقعد
 وكيف وعزم القوم شارب مرقد (٨)
 لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
 وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
 فأجحف بالغورى والمنتجد (٩)
 يجند من الخطب الجليل مجند
 وياربّ خفف من عذاب مشدد

- (١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : نال ذلك القول ونحن فى نادى يجتمع فيه من لم نكن
 نأمن من تجسسه ووشايته .
- (٢) منشد : مصدر ميبى من نشد المضاعف : أى نادى وسأل عنه .
- (٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب ببغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك
 الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأبناء ، قائلاً : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن
 نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سرّاً : ذلك لأن العدل غير ببغدادى .
- (٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .
- (٥) المررد : الملبس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .
- (٨) أعيا : يريد أعيانى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استبقاظهم من الخمول ، وإسراعهم لى
 المعالى . انزقد : دواء يرقد شاربه أى يذمه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون لى المجد وهم شاربون
 من الخمول والاستياد ما أفدهم السداد .
- (٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ، لا يطبق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطنن من
 الأرض . المنتجد : قاصد النجد ، وهو المرتفع منها .

الدهر والحقيقة

- أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق (١)
يجر ذبول الخطب فوق طريقها
ولو لم يجثنا كل يوم موارباً
كأن ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسه
وقد تنطق الأيام بالحق أعجماً
وكم مدع فضل التمدن ما له
وكم عاقل قد عده الناس أحمقاً
وربّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام فى الناس أنها
وألطف جور الدهر جور نرى به
وما كان كذب القوم فى القول وحده
وأقبح مین فى الزمان خرافة^٢
- إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق^(١)
ليعقوّ منه ما به من سلائق^(٢)
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق^(٣)
ولكن لتصليهم جحيم الودائق^(٤)
وتسكت عن تبيانه كل ناطق
من الفضل إلا أكله بالملأعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق^(٥)
سوى ما روه من ذكاء اللقائق^(٦)
وتصغى إلى ذى الأكنة المتشادق^(٧)
تجوز عليهم باقتطاع العلائق
تدلّ معشوق وذلة عاشق
ولكنه فى كتبهم والمهراق^(٨)
تخطّ بها طرساً يراعة نامق

(١) غاسق : ظلام دامس .
(٢) سلائق جمع سليفة ، وهى الطيعة .
(٣) النظر الشزر ، ما كان يؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذر : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحق .
(٦) اللقائق : جمع لقل ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) الأكنة : الحبسة فى اللسان . المتشادق : المتفاح .
(٨) المهراق : الصحف . أخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الكتب الجلدة .
كالمعادن ونحوها .

ضلالاً على مر الجديدين لم تزل
فعدت عن الأيام إذ لم نجد بها
نفضت من الدنيا يدى لأننى
فما أنا وقاف بها عند منزل
ولا عذبتنى فى العذيب صباية
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولى عند إخوان الصفا أريجية
إذا ما عقدنا مجلس الأانس بانطالا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقاً
فأقرع بالكأس الروية جبهتى
أسابق ندمانى إلى السكر طائرا
فما هى إلا بعد شرب سويعة
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وأغنيتهم عن نقابهم فى شراهم
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خزعل
أمير نمته للمكارم والعلی

بغاربنا من أمره كالمشـارق
سوى لغطٍ يزرى بفضل المنطق
تعرفت منها ما بها من خلائق
ولا أنا بك من حبيب مفارق
ولا شاقنى برق لربع ببارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق^(١)
إلى كل خيلٍ فى الزمان موافق^(٢)
فبينى وبين السكر خمس دقائق^(٣)
بمستقطرٍ من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق^(٤)
بجنح من الأانس المضاعف خافق
وقد دب من رأسى الطلافى المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بمز طرى من نقول الحقائق
سوى شكرخلى أوسوى حمد خانق
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولاحق
ججاجح من كعب كرام المعارق^(٥)

(١) الغرائق : جمع غرائقة ، وهى الشابة الممتلئة .

(٢) أريجية : ارتياح .

(٣) الطلا : الحجر .

(٤) الروية : الملوحة .

(٥) نمته : نسبته . والججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد الكرم . والمعارق : جمع معرق .
وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طيُّ بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهبياً
ومنها :

أبا الأمراء الصيِّد جئتك شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإني صقر بغداد أنى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
إليك جنابات الزمان المماذق
رمت كل عظم فيَّ منها بعارق^(٢)
تقدّمني فيها فراح العقاقق^(٣)
شواهد أقلام بكفى نواقق
مديحاً كعقد المؤلّو المتناسق

(١) المؤئل : الثابت القديم .

(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) العقاقق : جمع عقق ، وهو طائر صغير ذو لونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ،

وصوته العميقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشئت في حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كتبت لنفسى عهد تحريرها شعراً وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهراً
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها جعلت الثريا فوق عنوانه طغراً (١)

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أبحر صغيرة ، والطغراء ، ويزال لها المطرة ؛ هي علامة توضع في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية الثوب .

وعلمته كي لا تناوله يد
لذالك جعلت الحق نصب مقاصدى
وجردت شعري من ثياب رياته
وأرسلته نظماً يروق انسجامه
فجاء مضيئاً ليسه كنهاره
أضمنه معنى الحقيقة عارياً
ويحمله الغاوى على غير وجهه
رويدك إن الكفر ما أنت قائل
هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً
وأن تبصر الأشياء بيضاً نواصعاً
إذا كان في عرى الجسوم قباحةً
فيلسها من مارست عينه عمى
أحب الفتى أن يستقل بنفسه
وأكره منه أن يكون مقادماً
وما هذه الأوطان إلا حدائق
وما حبها إلا لأجل تحرر
وما حسنها إلا بأن سماءها
إذا كان في الأوطان للناس غاية
فأوطانكم لن تستقل سياسةً

بمنبعث الأنوار من ذروة الشعري^(١)
وصيرت سرّ الرأى فى أمر جهرها
فلم أكسه إلا معانيه الغراً
فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً
وإن كان بعض القوم يزعمه كفراً
فيحسبه جهالةً منطوقاً هجراً^(٢)
فيوسعنى شتماً وينظرني شزراً^(٣)
وإن صريح العرف ماخلته نكراً^(٤)
فتصرب للأنظار من دونه ستراً
فتظهرها للناس قانيةً تحمراً
فأحسن شىء فى الحقيقة أن تعرى
ويبصرها من كابدت أذنه وقراً^(٥)
فيصبح فى أفكاره مطلقاً حراً
فيحشر فى الدنيا أسيراً مع الأسرى
بها تنبت الأفكار من أهلها زهراً
يكون إلى العلياء بالناس منجراً
تضاحك من أحرارها أنجماً زهراً
فخرية الأفكار غايتها الكبرى
إذا أتم لم تستقلوا بها فكراً

(١) ذروة الشىء : أعلاه . والشعري : كوكب نير . يطلع فى شدة الحر .

(٢) الهجر : الفحش فى الكلام .

(٣) الغاوى : الضال أو الجاهل . ويوسعنى شتماً : يبالغ فى شتمى . وينظرني شزراً : يرمقني باحتقار يؤخر عينه .

(٤) رويدك : تمهل ولا تعجل . والنكر : المنكر ، ضد العروف .

(٥) الوقر : نقل السمع .

إذا السيف لم يعضده رأى محرر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرًا بموطنه الفتى
أحرّيتي إني اتخذتك قبلة
وأمسك منها الركن مستملاً له
إذا كنت في فقرٍ اتخذتك مؤنساً
وإن نابى خطب ضممتك لائماً
وإن لامنى قوم عليك فإننى
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

فلا تأملن من حدّه ضربة بكر^(١)
أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ الفتى ميماً وموطنه قبرا
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجر^(٢)
وإن كنت في ليل جعلتكم لى بدرا
فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا
للمتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم فى الظلمات نورا
فكم وجد الدليل به اعتراضاً
تزيد به العقول هُدًى ورشداً
وتستعلى النفوس به شعورا

يبين فى الحياة لنا الامورا
وكم نبس الحزين به سرورا
وتستعلى النفوس به شعورا

* * *

إذا ما عتق موطنهم أناس^(٣)
فإن ثيابهم أكفان موتى
وحيق لثلبهم فى العيش ضنك
ولم يبنوا به للعلم دُورا^(٤)
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يدعوا بدنياهم ثبورا^(٤)

* * *

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التي لم يضربه قبلها مثلها .
(٢) الحجر ، بتجريك الجيم : هو الحجر الأسود الذى فى ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الحاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفى اللفظ تورية ، لأنه يطلق أيضا على العقل وهو المراد به فى البيت .

(٣) عتقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضحك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطالبوا الملاك فى الدنيا . يريد أن من قصر فى حق العلم استهدف للإهلاك .

أرى لبَّ العليِّ أدباً وعلماً بغيرها العليُّ أمست قشورا

* * *

أبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل السكيرا
فسيقياً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم علواً إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دجت الخطوب بجانبها طلعتم في دجتم — ابدورا^(١)
وأصبحتم بها للعزِّ حصناً وكنتم حولها للمجد سورا

* * *

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهلهما يمسى قديرا
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتى لم يحرز الخلق النصيرا
فإن عماد بيت المجد خلق حكى في أنف ناشقه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريرا
إذا ما العلم لابس حسن خلق فرج لأهله خيراً كثيراً
وما إن فاز أغزنا علوماً ولكن فاز أسامنا ضميرا

* * *

أبناء المدارس هل مُصيح^(٢) إلى من تسألون به خبيراً^(٢)
ألا هل تسمعون فإن عندي حديثاً عن مواطنكم خطيرا
ورأياً في تعاونكم صواباً وقلباً من تحاذلكم كسيرا
قد انقلب الزمان بنا فأمست بغاث القوم تحقر النسورا^(٣)

(١) دجت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيح : مستمع .

(٣) البغات ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلب الأيام حتى حمدنا من زعازعها. الدَّبوراً^(١)
وكم من فأرة عمياء أمست تسمى عندنا أسداً هصوراً^(٢)
فكيف تروم في الأوطان عزاً وقد ساءت بساكنها مصيراً
ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من خطب ظهيراً^(٣)
ألسنا الناظرين عقود مجد بزین من العصور بها النجورا
إذا لجج الخطوب طمت بنينا عليها من عزائنا جسورا
لنبتدر العبور إلى المعالي بحيث نطاول الشعري العبورا^(٤)

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المكوراً^(٥)
تنفض من غبار الجهل واهرع إلى تلك المدارس مستجيراً^(٦)
فهنَّ أمانٌ من خشى الليالي وهن ضمان من طلب الظهورا

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروبُ فتاة راع نضرتها الشحوب^(٧)
منزّهة عن الفحشاء حود من الخفريات آنسة عروب^(٨)

- (١) الزعازع : جمع زعزع ، وهي الريح الشديدة . والدبور : هي الريح التي تأتي من الجنوب ، وهي مكروهة عند العرب .
(٢) الهصور : الشديد الاقتراس .
(٣) ظهيراً : وعونا ومساعداً .
(٤) الشعري : كوكب مضيء يطلع في الحر ، وهما شعريان : العبور والغيماء .
(٥) المكور : الشديد المكر .
(٦) أهرع : أسرع .
(٧) راع : شوه ، وراع في الأصل : بمعنى أفرع وأخاف . نضرتها : روتها وحسنها .
(٨) الحود : المرأة الشابة . الخفريات : جمع خفرة ، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء . الآنسة : التي يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتعجبة إلى زوجها .

نواراً تستجدُّ بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب (١)
صفاء ماء الشباب بوجنتيها فحامت حول رونقه القلوب
ولكنَّ الشوائب أدرَكته فعاد وصفوه ككدر مشوب (٢)
ذوى منها الجمال الغض وجرأ وكاد يحفَّ ناصحه ارطيب (٣)
أصابت من شبيبتها الليلي ولم يدرك ذوابها المشيب (٤)
وقد خلب العقول لها جبين تلوح على أسرته النكوب (٥)
ألا إن الجمال إذا علاه تقاب الحسن منظره عجيب

* * *

حليمة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه نهبها الكروب
رعى ورعت فلم ترَ قط منه ولم يرَ قط منها ما يريب
توثق حبل ودَّها حضوراً ولم ينكث توثقه المغيب (٦)
فغاضب زوجها الخلطة يوماً بأمر للخلاف به نشوب (٧)
فاقسم بالطلاق لهم يميناً وتلك ألية خطأ وخوب (٨)
وطلقها على جهلي ثلاثاً كذلك يجعل الرجل الغضوب (٩)
وأفتى بالطلاق طلاقاً بتّ ذو فنيا يعصمهم عصب (١٠)

(١) النوار : المرأة النور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجا للغزدي ، فطافها ثم قدم ، وفي البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التي تغير الشيء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهي مقدم الرأس ، أو هي الطارة .

(٥) الأسرة : هي خطوط في الجبهة والكف ، وفي كل شيء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة . النكوب : جمع نكب ، وهي المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : يفتقر . (٧) النشوب : نشب الشيء نشوبا ، بمعنى علق .

(٨) ألية : قسم . الحوب : الذنب . الحلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الحالف به مذنباً .

(٩) عصب : شديد .

(١٠) بانث : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . التام : الصيب — جهل الناس الحكمة

من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألقاظ السكتب التي درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح

فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس في حرج عظيم .

فبات عنه لم تأتِ الدنيا ولم يعلق بها اللام المعيب
فظلت وهي باكية تنادى بصوتٍ منه ترنجف القلوب

* * *

لماذا يا نجيب صرمت حبلِي
ومالك قد جفوت جفاءً قالِ
أبْنُ ذَنْبِي إِلَى فِدْتِكَ نَفْسِي
أَمَا عَاهَدْتَنِي بِاللَّهِ أَنْ لَا
لَنْ فَارَقْتَنِي وَصَدَدْتَ عَنِّي
وَمَا أَدْمَاءُ تَرْتَعُ حَوْلَ رَوْضِي
فَمَا لَفَتَتْ إِلَيْهِ الْجَيْدُ حَتَّى
فَرَّاحَتْ مِنْ تَحْرِقِهَا عَلَيْهِ
تَشْمُ الْأَرْضُ تَطْلُبُ مِنْهُ رِيحًا
وَتَمْرَعُ فِي الْفَلَاةِ لَغَيْرِ وَجْهِ
بِأَجْزَعٍ مِنْ فُوَادِي يَوْمَ قَالُوا
وهل أذنبت عندك يا نجيب (١)
وصرتَ إذا دعوتُكَ لَا تَجِيبُ (٢)
فإني عنــــه بعدئذٍ أتوب
يفرق بيننا إلا شعوب (٣)
قلبي لا يفارقه الوجيب (٤)
ويرتع خلفها رشاً ريب (٥)
تخطفه بأزمته ذيب (٦)
بدا ما لها فيه طيب
وتنحب والبغام هو النحب (٧)
وأونةً لمصرعه تنوب (٨)
برغم منك فارقك الحبيب (٩)

* * *

- (١) صرمت : قطعت .
(٢) قال : مبعض .
(٣) شعوب : اسم للموت .
(٤) الوجيب : الخفان .
(٥) الأدماء : الظبية المشرب لونها بيضا . الرشاً : ولد الظبية الذي قد تحرك ومشى .
ريب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الأزمتان : التابان .
(٧) تنحب : تكي وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الظبية إلى ولدها بأرخم ما يكون
من صوتها .
(٨) تمرع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تنوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجور وخبر لقوله وما أدماء في بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة :
إن هذه الظبية التي صفتها كيت وكيت ليست بأشد جزعاً واضطراباً مني حين بلغني أنك طلقتي .
فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وأغضى
نجيبةً أقصرى عنى فإنى
وما والله هجرك باختياري
فليس يزول حبك من فؤادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلى عنى الكواكب وهى تسرى
فكم غالبتها بهواك سهداً
خذى من نور رنتجن شعاعاً
وألقيه بصدري وانظرينى
وما المكبول ألقى فى خضم
فراح يغطه التيار غطاً
بأهلك يابنة الأجداد نمتى

وقال ودمع عينيه سَكوب .
كفانى من لظى الندم اللهب
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لى يطيب
هوئى كالروح فى له ديب
بجُح الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مطلع رقيب
به العين تذكشف الغيوب (١)
ترى قلبى الجريح به ندوب (٢)
به الأمواج تصعد أو تصوب (٣)
إلى أن تمّ فيه له الرسوب (٤)
إذا أنا لم يعد بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لموقعيه
غلوتم فى دياتكم غلوأ
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حلت بامتكم كرب
وهى جبل الزواج ورق حتى
كخيطة من لعاب الشمس أدلت
عزقه من الأفواه نفث

بما فى الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرح الرحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به فى الجو هاجرة حلوب (٥)
ويقطعه من النسم والهبوب

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : العرق إلى القمر .

(٥) لعاب الشمس : شئء كأنه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل نسج العنكبوت .
أدلت : أرسات : الهاجرة : شدة الحر ، والهاجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا^(١)
ففي «إعلامه» للناس برشد^(٢) ومزدجر^(٣) لمن هو مستريب^(٤)
نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخبر الأريب^(٥)
وبين حكم دين الله لکن من الغالين لم تعه القلوب^(٦)
لعل الله يحدث بعد أمرنا لنا فيجيب منهم من يجيب

اليتيم في العيد*

أطل صباح العيد في الشرق يسمع^(١) ضجيجاً به الأفراح تمضي وترجع^(٢)
صباح به تبتدى المسرة شمسيها وليس لها إلا التوهم فطلع^(٣)
صباح به يختال بالوشى ذو الغنى ويعور^(٤) ذا الإعدام طمر^(٥) مرقع^(٥)
صباح به يكسو الغنى وليده ثيابا لها يبكي اليتيم المضيع^(٦)
صباح به تغدو الحلائل بالحلى وترفض^(٧) من عين الأرامل أدمع^(٦)
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه يحد المحزون حزنا فيجزع^(٧)
يرينا سرورا بين حزن وإنما به الحزن جد^(٨) والسرور تصنع^(٩)
فمن يؤساء الناس في يوم العيد نحو^(٧)س بها وجه المسرة أسقع^(٧)

- (١) ابن القيم : هو العلامة المحدث الفقيه المشهور .
(٢) يشير إلى كتاب «إعلام الموقعين» لابن القيم المذكور ؛ وهو من أفضل الكتب التي ألفها . ومزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .
(٣) أراد بشيخه الامام أحمد بن حنبل تسمية رحمه الله .
(٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لا تغلوا في دينكم » : لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تدبر معناه .
(*) من الديوان الأول .
(٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية بالحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه .
الإعدام : الفقر ، الطمر : الثوب البالي .
(٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسقع : أسود .

قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رمى نكنا سوداً به فهو أبقع^(١)

✽ ✽ ✽

خرجت بعد النحر صباحاً فلاح لي مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قد ذرّ شارقاً

تري النور سيالاً به يتدفق
هي الشمس حوّد قد أطلت مصيخةً

على الأرض من أفق العلى تنطلع^(٢)

كان تفاريق الأشعة حولها على الأفق مرخاة ذوائب أربع^(٣)
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
فرحت وراحت ترسل النور ساطعاً

وسرت وسارت في العلى تترفع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رسلٍ وذاك مسرع^(٤)

وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع^(٥)

وفي الحى مزمار أمشجى نعيه غدا الطبل في دردابه يتقعقع^(٦)

فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا^(٧)

لقد وقفوا والطبل يهتر صوته فتهتز بالأبدان سوق وأكرع^(٨)

تري تبعة الإطراب والطبل هادر تفيض وفي أصابعهم تميمع^(٩)

(١) نكنا : نقط سوداً . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الحوّد : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة . (٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيه : صوته . الدرداب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضح ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) مبيعة : كل شيء أوله . تميمع : تنميل .

فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

وقفت أُجبل الطرف فيهم فراغني
صبي صبيح الوجه أسمر شاحب
يرين حجاجيه اتساع جبينه
عليه دريس الثوب اليتيم رُدنه
يليح بوجهه للكاتبه فوقه
على كثر قرع الطبل تلقاه واجماً
كان هدير الطبل يقرع سمعه
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
ويرسل من عينه نظرة مجهش
له رجفة تنتابه وهو واقف
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد

هناك صبي بينهم مترعرع
نحيف المباني أدعج العين أنزع (١)
وفي عينه برق الفطانة يلمع (٢)
فيقطر فقر من حواشيه مُدقع (٣)
غباراً به هبت من اليتيم زعزع (٤)
كان لم يكن للطبل ثمّة مقرع (٥)
فلم يأنف رجعاً للجواب فيرجع
تكاد لها أحشاؤه تتقطع
وما هو بالبالي ولا العين تدمع (٦)
على جانب والجو بالبرد يلسع (٧)

فكان ابتسام القوم كالثلج قارساً
لدى حسرات منه كالجر تلزع (٨)

فلمّا شجاني حاله وأفرزني
وقفت وكلّي مجزع وتوجع (٩)

(١) شاحب : أى متغير اللون . أدعج العين : أسودها معسمة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر عن جانبي جبهته .

(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظام المحيط بالعين .

(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كآفته ياصق صاحبه .

بالدقاء ؛ وهي التراب .

(٥) واجماً : ساكناً عاجزاً عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف . ثمة : هناك .

(٦) المجهش : الهام بالبكاء التهيء له ؛ وماضيه أجهش .

(٧) تنتابه : تصيبه . (٨) البرد : الثوب المخطط . تلقع بالثوب : تلفت به .

(٩) شجاني : حزني .

ورحت أعاطيه الحنان بنظرة
وأفتح طرفي مُشَبَّعًا بتعطفٍ
هناك على مهل تقدمت نحوه
أيا بن أخى من أنت ما أسمعك ما الذى
فهبَّ أمامى من رقادٍ وجومه
وأعرض عني بعد نظرة يأسٍ
فَعَقَّبْتُهُ مُسْتَطَلَعًا طَلَعَ أمره
وبيناهُ ماشٍ حيث رُحْتُ خلفه
لمحت على بعد إشارة صاحب
فأومأت أن ذكرته مُوعِدًا لنا
وعدتُ فأبصرت الصبيَّ معرجًا
فلما أتيت الدار بعد دخوله
دنوت إلى باب الدَّوِيرَةِ مطرقًا
سمعت بكاءً ذا نشيجٍ مردِّدٍ
فخرت وعيني ترمق الباب خلسة
أأرجع أدراجى ولم أكُ عارقًا

* * *

فهرت عجوز في الطريق وخلفها فتاة يغشها إزار وبرقع^(٩)

- (١) عراك : أصابك . (٢) لم ينيس : لم يتكلم .
(٣) أقفوا الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبائله . (٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ونم يتكلم
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتخاب . (٩) يغشها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألتهما
فأدبتهما متى وقتت لها اسمي
فقلت وأنت أنة عن تنهد
أيا بني ما يعنك من نوح أيم
فقلت لها إني امرؤ لا يهمني
وإني وإن جارت علي مواطني
أبوزع متى عمرك الله بالذي
فقلت أعن هذي التي طال نخبها
ألا إنها سلمى تعيسة معشر
وصارعهم بالموت حتى أبادهم
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها
ولم يلبث المقدور أن غال زوجها
فرتب ابنها سعداً وقام بأمره
فأذهب عنه الخال دهر غشمشم
جرت هنة منها على خاله انطوى
فرج به في السجن بعد تجرم

عن الاسم ، قالت إنني أنا بوزع
حنانيك ما هذا الحنين الموجه
وفى الوجه منها للتعجب موضع
لها من رزايا الدهر قلب مفتح^(١)
سوى من له قلب كقلبي مروّع^(٢)
فوادى على قطانهم مؤزع^(٣)
سألت فقد كادت حشاي تمزع
سألت فعندي شرح ما تتوقع
من الصيد أقوت دارهم فهي بلقع^(٤)
من الدهر عجار شديداً مصرع^(٥)
خليل وأما الآخرون فودعوا
سعيداً فأودى وهي إذ ذاك مريض^(٦)
أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع^(٧)
بما يوجع الأيتام مغرماً ومولع^(٨)
بقلب رئيس الشرطة الخقد أجمع^(٩)
عليه بجرم ما له فيه م صنع^(١٠)

- (١) الأيم : هي من ففدت زوجها . مفتح : موجه .
(٢) مروع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطانهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة .
بلقع : خالية من السكان .
(٥) العجار : المصارع ؛ الذي لا يطاق جنبه في الصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلع : يقوى وتشد أضلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أي شيء ما وهي مؤنث المن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها
شيء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أي أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيتماعه موقعا به
ولكن غدر الحاقدين رمى به
فحق لسلمي أن تنوح فإنها
فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت
وما هو يا ابن القوم للجرم موقع^(١)
إلى السجن فهو اليوم في السجن مودع
من العيش سماً ناقعاً تتجرع^(٢)
ضحى العيد بيكيها اليتيم المضيع

* * *

فعدت وقلبي جازع متوجع
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه
وجئت إلى معيادنا عند صاحبي
فأطلعهم طلع اليتيم فأفتموا
فقلت دعوا التأفيف فالعار لاصق
أسنا الألى كانت قديماً بلادنا
فما بالننا نستقبل الضيم بالرضا
شربنا حميم الدل ملء بطوننا
فلو أن غير الحى يشرب مثلنا
نهوضاً إلى العز الصراح بعزيمة
وقلت وعيني ثرة الدمع تهمع^(٣)
يحدد للمحزون حزناً فيجزع
وقد ضمه والصحب نادٍ وجمع
وخبرتهم حال السجن فرجعوا^(٤)
بكم واتركوا الترجيع فالأمر أفضع
بأرجائها نور العدالة يسطع^(٥)
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع^(٦)
ولا نحن نشكوه ولا نحن نبيجع^(٧)
هواناً لأمسي قالسا يتهوع^(٨)
تخر لمرماها الطعاة وتركع

ألا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى

فإني على موقعي به لموقع^(٩)

- (١) موقعا : منزلا به ما يسوءه .
(٢) السم الناقع : البالغ انقائل .
(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . نعنو : نخضع .
(٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلس : خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القيء والتهوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر متى لمبتكر
دعوت غرّ القوافي وهي شاردة
وسلمتني عن طوع مقادتها
إذا أقت أقامت وهي من خدعي
عزّفت فيهن أقلامي ورحت بها
ملككن من رقة رِقّ النفوس هوى
سقيتهنّ المعاني فارتوين بها
كم تشرب لها الأسماع مصغيةً
طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
إني لأنزع المعنى الصحيح على
سل المنازل عني إذ نزلت بها
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعرُ إلا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة
وإعما هي أنفاس مُصعّدة
وهنّ إن شئت مني أدمع غرُّ
أبكي على أمة دار الزمان لها
كم خلد الدهر من أيامهم خيراً
ولست أدّكر الماضين مفتخرًا

ولست للشعر في حالٍ بمفتقر
فأقبلت تتمشي مشي معتذر
فرحت فيهنّ أجرى جرى مقتدر
وأينما سرت سارت تقتفي أثرى
أعرّف الناس سحر السمع والبصر
من حيث أطربن حتى قاسى الحجر
وكنّ فيها مكان الماء في الثمر
إذا تنوّشدين بين البدو والحضر
خلّوا من الحشو مملوءاً من العبر
غرّيت فأكسوه لفظاً قدّ من درر
بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشعر
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
وأئى حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله في شعرٍ بمفتخر
ترمي بها حسراتي طائر الشرر
أبكي بهن على أيامنا العرّار
قبلاً ودار عليها بعدُ بالغير (١)
زان الطروس وليس الخبر كالخبر
لكن أقيم بهم ذكري لمدّكر (٢)

(*) من الديوان الأول . (١) الغير : الحوادث . (٢) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون في عمه
لهني على العرب أمست من جمودهم
أين الجحاجيح ممن ينتمون إلى
قوم هم الشمس كانوا والورى قمر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً
أقول والبرق يسرى في مرآدهم
يأيها العرب هبوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم
مالي أراكم أقل الناس مقدرةً

بدارسٍ من هدى الماضين مندثر^(١)
حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر^(٢)
ولا كرامة لولا الشمس للقمر^(٣)
ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر
«ياساهر البرق أيقظ راقداً السمير»^(٤)
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر^(٥)
والعود ليس له صوت بلا وتر
يا أكثر الناس عداً غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدب العلم وعلم الأدب
شرف النفس ونفس الشرف
بهما يبلغ أعلى الرتب
كل رامٍ منهما في هدف

أيها السابح في بحر الفنون
أنت والله على رغم المنون
قرنك الحاضر من أرقى القرون
فإذا شئت بلوغ الأرب
فالمعالي أودعت في الكتب
غانصاً في لججها المنتظم
ذو وجودٍ قاتلٍ لِعَدَم
خضع السيف به للقم
فاغترف من بحره وارثف
كاللآلى أودعت في الصدف

- (١) العمه : الضلال . النارس : المنحى . مندثر : بال دارس .
(٢) الجحاجيح : السادة . الذؤابة : في الأصل معانها : الضفيرة فوق الناصية ، وذؤابنا الشرف : أعلاه .
(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .
(٤) المرآة : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمير : القوم يجتمعون للسامرة .
(٥) انجابت : انكشفت .
(*) هذه القصيدة أنشئت يوم افتتاح المنتدى الأدبي الذي أسسه شبان العرب في الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافي أن ينظم لهم قصيدة تشد في يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .
(.)

أنت يا جاهل من قبل الممات
أو ما تعلم في هذه الحياة
إذ لم تقضى للعلم رب الكائنات
وعلى الجهل قضى بالعطب
فافتكر إن شئت علم السبب
هل يكون النور مثل السدف^(٢)
ميت يمرح ما بين البيوت^(١)
أن رب العلم حي لا يموت
فهل في الناس دليل التلف

* * *

يارعى الله زماناً لو يدوم
أشرقت فيه من العلم النجوم
زمن قد ضحكت فيه العلوم
حيث منهم فقدت خير أب
يا عهود العلم ما شئت اندبى
يا عيون المجد ما شئت اذرفى
كان للدهر كأيام الصبا
ظن كل الناس أن لن تغرباً
ونراها اليوم تبكى العرباً
واغتدت من يتمها في شطف^(٣)

* * *

هل أتاك الدهر فيما قد أتى
حيث بالعزم أماطوا العنتا
فاسألنَّ الغرب عما تبنا
هل ترى نعمة من لم يجب
آه لو يرجع ماضى الحقب
بحديث العرب في الأندلس
وبنور العلم ليل الهوس^(٤)
في ربوع خلفوها دُرس
عن معالمهم ولم يعترف
آه لو عاد زمان الشرفى

* * *

(١) يمرح : يتبختر ويختال فرحاً ونشاطاً ، والجملة صفة لميت . والفرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقى ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة .
(٢) السدف : بفتح السين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدف كظلمة ؛ وزناً ومعنى .

(٣) الشطف : بالتحريك : ضيق العيش وببسه وشدته .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع في أمر شاق أو ألقى الشدة وهالك . والهوس : بفتح السين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سَأَلُ رُبًّا بِغَدَادِ عَمَا قَدْ مَضَى لِبْنِي الْعَبَّاسِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ
وَإِنِّي الشَّامَ عَمَا قَدْ أَضَا لِلْمَعَاوِيَيْنِ فِيهَا مِنْ فِخَارِ
كَمْ تَرَى لِلْمِجْدِ سَيْفًا مَمْتَضِي كَمْ تَرَى لِلْعِلْمِ فِيهَا مِنْ مَنَارِ
عَجَبِي يَا قَوْمَ كُلِّ الْعَجَبِ هَذِهِ الْآثَارُ لِمَ لَا نَقْتَفِي
آهَ مِنْ رَقْدَتِنَا وَاحْرَابِي آهَ مِنْ غَفْلَتِنَا وَاسْفِي^(١)

* * *

يَا أَبَا الضَّمِيمِ مِنْ عَلِيَا نِزَارِ أَيْنَ مِنْكُمْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الطَّبَاعِ
كُنْتُمْ كَالسَيْفِ مَشْحُودِ الْغِرَارِ وَالَّذِي حَلَّ حَاكِمَ لَنْ يِرَاعِ^(٢)
كَمْ إِلَى الْعِلْمِ أَقْتَمَ مِنْ مَنَارِ بِعَقُولِ هِيَ أَسْنَى مِنْ شِعَاعِ
قَطَّقْتَ أَبْوَاعَكُمْ عَنْ كَثَبِ كُلِّ مَجْدٍ شَاهِقِ الْمُقْتَطَفِ^(٣)
تِلْكَ وَاللَّهِ مَرَايَا الْعَرَبِ أَوْرَثُوهَا خَلْفًا عَنْ سَائِفِ

* * *

أَنْتِ يَا شَمْسُ عَلَى كُرِّ السَّنِينِ قَدْ تَقَلَّبْتَ طُلُوعًا فِي الْوَرَى
حَدِيثِنَا بِحَدِيثِ الْأَوَّلِينَ فَلَقَدْ شَاهَدْتَ تِلْكَ الْأَعْصِرَا
أَفْكَانُوا مِثْلَنَا مُخْتَلِفِينَ لَا يُعْيِثُونَ إِذَا خُطِبَ عَرَا^(٤)
إِنَّا يَا شَمْسُ فِي مُضْطَرَبِ قَدْ أَلْفَنَاهُ فَلِمَ نَأْتِفِ
إِنْ بَقِينَا هَكَذَا فَاحْتَجِي عَنِ بَنِي الْعَبْرَاءِ أَوْ فَاكْسِفِي

* * *

يَا بَنِي عَرَبٍ مَا هَذَا الْمَنَامُ أَوْ مَا أَسْفَرَ صَبِيحَ الْقَوْمِ

(١) واحرابي : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحين : الهلاك ، يقال واحربا
وواحري توجعا أو تأسفا وكذلك وا أسنى ووأسفا .

(٢) الفرار : بالكسر حد السيف ، ومشحود الفرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكشب : بفتحين : القرب ، يقال رماه من كشب ، وعن كشب : أى من قرب وتمكن

(٤) عرا يعرفون : أى عرض وألم . والخطب هنا : الأمر المكروه .

أينَ من كان بكم يرعى الذمامَ ويلبى دعوة الميْتَمِ (١)
أفلا ياندعكم منى الملامِ فأقد أَلْفَظَ جَمراً من فى
خارجاً عن نَفْسِي كاللَّيْبِ محرقاً مهجوة قباى الدنِفِ
أنا لولا فيض دمعى الأسكبِ لتحرقتُ بنارِ الأسِفِ

* * *

يا شباب القوم لولاكم لما ساغ لى العذب وما إن لذى
إنى أبصر منكم أنجما لامعات فى ظلام الأملِ
فاصبروا اليوم على حر الظما كى تنالوا الرى فى المستقبلِ
واتعبوا اليوم فَعُقْبِي التعبِ راحة مُشْبَعَة بالترفِ
لتقونا أسوأ المنقلبِ إذ بناء القوم هارى الجُرفِ

* * *

يا شباب القوم هُبُّوا للبرازِ فبكم يبسم ثغر الوطنِ
وارفلوا إما بثوب الإعتزازِ أو بثوب هو ثوب الكفنِ
وأعدوا العلم لا السيفَ الجرازِ إنه عُدَة هذا الزمنِ (٢)
بسواه العز لم يُكْتَسَبِ وهو المُنْصِفِ للمنتصفِ
إنه والله لا عن كذبِ شرف النفس ونفس الشرفِ

الدهر (*)

هل الدهرُ إلا أعجمى أخاطبهُ فما لى إلى فهم الحديث أجاذبهُ
أبئنى إلى وجه اللئيم بوجهه ويرتد مزوراً عن الحر جاذبه (٣)

(١) الميْتَم : بصيغة المفعول : المظلوم .

(٢) الجراز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .

(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتاً .

(٣) يئنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ؛ ومزوراً : منحرفاً .

أراه إذا طارحته الجدل لأعبا
ويضرب أطناب المنى لى هازلًا
وبيناه يبدي لى ابتسامه خادع
لقد أضحكت غير الحليم شؤونه
وما أنا ممن يا أميم يلاعبه (١)
وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
يقطب حتى لا تبين حواجبه (٢)
وأبكت سوى عين السفية نوائبه
شكايه دهر حاربتكم مصائبه
وأقلامكم وهو الأصم تعاتبه (٣)

• • •

هو الدهر لم يسلم من الغى أهله
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكب
طبائعهم شتى على أن بينهم
كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه (٤)
فتجتو على الأبصار منهم غياضه (٥)
عن الشر يقصيه وآخر جالبه
كريمًا تواليه ووعدًا تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوالبه (٦)
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

• • •

- (١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .
(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هي مختصرة من بالكافة ؛ والأصل بينا ؛ فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .
(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيوف قهراً بالقتل والجرح ، وأقم تقابلونه بالأقلام عتاباً ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .
(٤) حاطب ليل : مثل عندهم في التخليط ، ومنه قولهم : المكثار حاطب ليل ؛ أى يجمع بين الجيد والردىء ؛ أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى في الحطب الذى احتطبه وهو لا يدري . ففى البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لا يسهون من الوقوع فى الباطن كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع فى الشر ، وكما فى البيت : مثلها فى قول الشاعر :
كأ سيف محروم لم نخته مضاربه
(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم فى الريب . وضمير الفاعل فى رابهم يعود إلى الدهر .
(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لا يجب فى اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار فى جميع ما فى الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت فى هذا الفضاء كواكبه .

سببتُ زمانى بالنهى ونخصته
لم أستشر في الناس إلا تجاربي
فلا ترتكب قرب اللئام فإنهم
وما عجبى في الدهر إلا لواحد
وذلك أن العيش فيه مطيب
ولو كان في أعماله الدهر عاقلاً
ولو لم يكن في كل ما فيه خادعاً
بتجربتي حتى تجلت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبحر محمول على الهول راكبه
وإن كثرت في كل يوم عجائبه
من خبث بالخزيات مكاسبه
لما كان مثلي في الوري من يحاسبه
لأ أم فيه صادق الفجر كاذبه (١)

ألارب شيطان من الإنس قدغدا
فقلت له أخساً إنما أنت خائب
فولي على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه مني شهاب تسامح
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
ولكن أبي مني الخداع مهذب
يخاتلني خلساً وعيني تراقبه (٢)
وقبلك أعياء الجن ما أنت طالبه (٣)
ولله دري إني أنا غالبه (٤)
يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه (٥)
تطارده حتى تضيق مذاهبه
تعود فعل الخير مذ طرُّ شاربه

وذى سقه أغضيت عنه تكرُّماً
فصمت له بالنعل ضرباً فلم تزل
فدبت على رجلي غدرًا عقاربهُ
يداي به حتى اطمأنت غواربه (٦)

(١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر .
والعنى أن كل ما في الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .
(٢) يخاتلني : أى يخدعني عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشيء إذا أخذ . في الخاتلة ، وهو
في البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى الخاتلة .
(٣) أخساً : أى ابعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرده للكلب .
(٤) المعنى المراد من قوله « فولي على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،
(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفيح وعفوه عنه .
(٦) فلم تزل يداي به حتى اطمأنت : أى لم تزل يداي تمارسه أو موقعة به . تقول العرب :
مازلت وزيداً حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنَّبته السيفَ الجُرَّازَ لأنه تعالت عن الكلبِ العقورِ مضاربه
لقد عابني جِبَالاً ولم يدر أنه أقلُّ فداءً للذي هو عائبه
له نسبةٌ مجهولةٌ غير أنه مَعَامِزُهُ معلومةٌ ومعايبه (١)

إلى أبناء الوطن

أُنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سِرٌّ في حياتك سَيْرَ نَابِهٍ (٢) ولم الزمان ولا تحابِه (٣)
وإذا حلت بموطنٍ فاجعل محلك في هضابِه (٤)
واختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابِه (٥)
ورمِّم العلاء مخاطراً فيما تحاول من أبوابِه (٦)
والجسد ليس يناله إلا المخاطر في طابِه (٧)
وإذا يخاطبك الله فسمِّ سمعك عن خطابِه (٨)
وإذا انبرى لك شاماً فارباً بنفسك عن جوابِه (٩)
فالروض ليس يضيره ما قد يُظنطن من ذبابِه (١٠)
ولربِّ ذئبٍ قد أتاك من ابن آدم في إهابِه (١١)
ما امتاز قط عن ابن آوى شخصه بسوى ثيابِه (١٢)
وإذا ظفرت بذي الوفا فخط رحلك في رحابِه (١٣)
فأخوك من إن غاب عنه لك رعى وداك في غيابِه (١٤)
وإذا أصابك ما يسو رأى مُصابك من مُصابِه (١٥)

(١) المعامز: جمع معمز، وهو المظمن، فبى كالمعابىب معنى .

(٢) النابه: المشهور، ضد الحامل .

(٣) هضابه: جمع هضبة، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد: المنازل المرتفعة .

(٤) تهفو: تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء: إذا أسرع إليه .

(٥) انبرى له: عارض وصنع مثل صنعه . ارباً بنفسك: ارفع نفسك .

(٦) يضيره: يؤذيه . يظنطن: يصوت ويحدث طنيناً .

(٧) أصل الإهاب: الجلد قبل أن يدبغ . والمراد: الجلد مطلقاً .

(٨) خط رحلك في رحابه: أى انزل عنده فى أرضه . والمراد تمسك باخائه ولا تتحول عنه .

وتره يبيج إن شكو ت كأن ما بك بعض ما به (١)

* * *

يا قوم قد هرم الزمان من التمدادى فى انقلابه
فإذاك عند الهاجرا ت يسيل شىء من لعابه
ما زال من خرف به للناس يهذر فى كذابه (٢)
يأتى بكل عجيبة تدعو اليب إلى ارتيابه
والناس فى عطش تسي—ر إلى ارتواء من سرايه
فمتى يجود لنا الزمان ولو بمذق من وطابه (٣)
وإلى متى هو سائر وجه الحقيقة فى صباه (٤)
يتلو بصرف الحادثا ت لنا فصولا من كتابه
كم يدعى وطنية من لم تكن مرت بيابه
فتراه ينفخ لأغيا فيها وينفخ فى جرابه
ليكون مكتسبا بها مالا تهالك فى اكتسابه
فكأنما هو صائد وكأنما هى من كلابه
وتراه يرمى المخلص بين بكل سهم من جمابه
ويعيب قوما بالخيا نة والخيانة بعض عابه (٥)

* * *

لابدًا للوطن العزيز من المسكن لاضطرابه
من مجلسٍ للشعب ينظر بالتأمل فى ما به
ويتوب عن أنبائه إن صادقوه على منابه

- (١) يقال : وجع فى الماضى ، ويوجع ويبيج ويأجع فى المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان والهذر مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتى به من الحوادث ولا يستقم له قصد .
(٣) المذق : اللبن المزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرا ، وإنما يخفيه الضباب ، يعنى ما يأتى به الدهر من الخير والشر ليس واضحا .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد به يعود إلى نصابه
أبته حكومتنا له والشعب ليس له بآبه
أمرى الحكومة بتبغيه ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أبيك ما يدعو الحليم إلى انتخابه
هلا يقوم القاعدون مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى صرف الزمان له بناه
وغدا يهدد بالبوار بنيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار على اضطرار فى إياه
لو كان يجنح للإيا ب لما تعجل فى ذهابه
قد كان يرح فى النعر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخاملي لبس النباهة فى اغترابه
فالسيف أحسن ما يكو ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى كل الرجاء بأسد غابه
ينجسب يأسى بالرجا ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا م الليل أضوا من شبابه
لمع الذكاء بوجهه كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم فأتوا بأخلاق نوابه^(١)
ووجوههم بالنبيرا ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم شكر المئاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلًا حيا الأزاهر بانسكابه

(١) زكت أحسابهم : برأت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعجم العلي

أعرك إنَّ الحرَّ لا يتقيَّدُ
إذا أنا قصَّدتُ القصيدَ فليس لي
نشدت بشعري مَطْلِبًا عَزَّ نِيه
فلنجم بعدُ دون ما أنا ناشد
وكم جَنَّبْتَنِي عِزَّةَ النَّفْسِ مَنَهَلًا
وما أنا إلا شاعر ذو لبانة
ولي بين شدقي المهرتين صارمٌ
ولا عجبٌ إن عابني الشاعر الذي
فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعرٍ
تعودت تصرُّحي بكلِّ حقيقة
إذ ارمت نصحا جئت بالنصح وراضيا
وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا
يقولون لي سننمض إلى العلم قومنا
أما علموا أن الحياة بعصرنا
وما ينفع القول الذي أنت قائل
فيا قومنا إن العلوم تجددت

إلا فليقل ما شاء في المُنشد^(١)
به غير تبيان الحقيقة مَنصِد
وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
وللدِّرَ قدرٌ دون ما أنا مُنشد
يطيب به لكن من الذلِّ مورد
أنوح بها حينًا وحينًا أغرَد
يُسَلُّ على الأيام طورا ويُعمد^(٢)
يقول سخيِّف الشعر وهو مقاد
تنقصه في الشعر حماد عجرد^(٣)
والمرء من دنياه ما يتعود
وما كان من شأنى الكلام المعقد
كما أبصر الأمواه في الترب هُدهد^(٤)
بشعر معانيه تقيم وتقعِد
مدارس في كل البلاد تُشيد
إذا لم يكن بالفعل منك يُؤيد
فإن كنتم تهوونها فتجددوا

(١) المُنشد : اللأم العائب .

(٢) الشدق المهرت : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف .
يعمد : أى يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عجرد شاعر أيضا في عصر
بشار كان مولعا بهجائه ، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعنى الشاعر أنه اطول تجربته ومبارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد
مالا يستطيعه غيره ، وشبه نفسه بالهدهد الذى يرى الماء الغائر في الأرض لبعده نظره .

وَحَاوُوا جَمُودَ الْعَقْلِ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ
وَإِنْ شَتَّمْتُمْ فِي الْعَيْشِ عِزًّا فَأَقْدَمُوا
وَأَمْضُوا سَدِيدَ الرَّأْيِ دُونَ تَرَدُّدٍ
وَلَا تَقْبَلُوا قَيْدًا بِقَوْلٍ مَجْرَدٍ
وَأَطْلَالِ عِلْمٍ لَا تَزَالُ شَوَاحِصًا
أَرَاهَا فَأَبْكِي وَهِيَ رَهْنُ يَدِ الْبَيْلَى
وَمَا أَنَا سَالٍ عَهْدَهَا حِينَ لَمْ تَسِلِ
فَإِنْ تَكْبَرُوا تَسْدِيدَ دَمْعِي لِأَجْلِهَا
وَمَعَهَا عِلْمٌ أَسَّسَتْهُ عَصَابَةٌ
شَبَابٌ مَشَوْا لِلْمَكْرَمَاتِ بِعِزْمَةٍ
سَأَسْتَوْدِعُ الْأَيَّامَ كُلَّ قَصِيدَةٍ
أَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا بِهِ أَسْتَزِيدُهُمْ
أَمَّا وَخِلَالِ فَيْكُمُ عَرِيضَةٌ
يَسِّرْ الْعَلِيَّ أَنْ يَنْهَضَ الْقَوْمَ لِلْعَلِيِّ

فَإِنْ جَمُودَ الْعَقْلِ لِلدِّينِ مَفْسُدٍ
فَكَمْ نَيْلًا بِالْأَقْدَامِ عِزًّا وَسُودِدٍ
فَمَا يَبْلُغُ الْغَايَاتِ مِنْ يَتَرَدَّدِ
فَمَا قَيْدَ الْأَحْرَارِ قَوْلٌ مَجْرَدِ
تَذَكَّرْ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَتَشْهَدِ
بِدَمْعِ كَمَا أَرَفَضَ الْجَمَانَ الْمُنْضَدِ
دَمْعِي وَلَكِنِّي أَمْرٌ مَتَجَلَّدِ
فَإِنْ دَمِي مِنْ أَجْلِهَا سَيَبْدُ
مَنْ الْقَوْمِ تَسْعَى لِلنَّجَاحِ وَتَجْهَدِ
تَقَاعَسَ عَنْهَا الْكُوكَبُ الْمُتَوَقَّدِ
يَطِيبُ لَهُمْ فِيهَا الثَّنَاءُ الْخَالِدِ
وَأَشْكُرُهُمْ شُكْرًا جَزِيلًا وَأَحْمَدِ
وَإِذَا قَسَمْتُ لَوْ تَعْلَمُونَ مُؤَكَّدِ
وَأَنْ يَجْمَعَ الشُّبَّانَ لِلْعِلْمِ مَعَهْدِ

في متمدى التهنيد

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهنيد في بغداد
تريدنى الأيام أن أتقيَّدا وأطلب فيها أن أكون الجددا
وتتعدى دون المدى في خطوبها وغاية هم النفس أن أبلغ المدى
كفى لصريح العقل قيِّداً لمطلق من الناس ينبغي أن يكون مقيدا
لعمر الهدى إن النهى ليس من صموى

(١) سواها لمن ضلوا الطريق إلى الهدى
فما بال هذا العقل أمسى معطلا
(٢) لدينا كأن الله أوجده سدى
أيخلفنا بكرَّ الجديدين ضلة
(٣) ولم نتقمص فيهما ما تجددا
فيا منجدي فيما أريد من العلى
ولو لا العلى لم أطلب الدهر منجدا
أعنى على ما لو تحقق كونه
لما كان لى بل للأناسي مسعدا
تجهز من الحسنى بما أنت قادر
عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وإن زاد بالإحسان منك تمردا
وحب الذى عاداك إن رمت قتله
فإني رأيت الحب أقتل للعدا
فليس مضرًا فى العلى بالذى أرى
على كل حال أن تحب من اعتدى
إذا دفع الشر القبيح بمثله
تحصل شرٌّ ثالث وتولدا
وأمت دواعى الشر ذات تسلسل
مديد وصار الشر فى الناس سرمدا
فما رأى عندى إن تمخضت الوغى

سوى أن يظن أن سيف فى الغمد مغمدا

(١) النهى العقل وأصله جمع نهيّة ، وهى ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهى العلامة تنصب فى الطريق ليمتدى بها السائرون فى الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يتخلفنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأناه منصوب

على الخلال ، أى ضالا . وتقمص الشيء : كالتقميص .

وَأَنْ تَجْمَعَ الدُّنْيَا عَلَى رَدِّ طَامِعٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْعَصُورِ الَّتِي خَلَتْ
فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ أَمْسَتْ كَبَلْدَةً
وَلِي خَلْقٍ يَا بِي عَلَى انْطِبَاعِهِ
وَأَضْرِبَ عَنِ جَهْلِ الْجُهُولِ وَلَمْ أَكُنْ

لِأَضْرِبَ فِي الْأَيَّامِ لِلغَدْرِ مَوْعِدًا
إِذَا أَيْقَظْتَنِي لِلْعَدَاءِ اعْتِدَاءً
شَرِبْتُ لَهَا مِنْ خَالِصِ الْعَفْوِ مَرَّةً
وَتَكَرَّرَهُ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلَّلٍ
فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ الْمَعْبُودًا
إِذَا مَا اتَّقَتْ نَفْسٌ رَدَّاهَا بِذَلَّةٍ
فَعِنْدِي نَفْسٌ تَمْتَقِي الذَّلَّ بِالرَّدَى
وَلَوْ طَلَبْتَ نَفْسِي الْغَنَى بِأَمْتِهَا
لَأَصْبَحْتُ فِي الْمَثْرَبِ أَطْوَلَهُمْ يَدًا
وَلَكِنِّي آلَيْتُ إِلَّا أَذِيقَهَا
مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا مَا اسْتُطِيبَ وَحَدًّا
سَجِيَّةً نَفْسٍ لَمْ أَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا
وَإِنْ لَا مَنِي الْأَعْمَى عَلَيْهَا وَقَدًّا
شَحَا بَفَمٍ قَدْ كَانَ فِي الْعَضِّ أَدْرَدًا^(١)
وَشَدَّتْ شَمْلِي فِي هَوَاهُ مَبْدَدًا
عَلَى لَهُ فِي الْحَبِّ أَنْ أَتَشَدَّدَا
وَمَا ضَرَّنِي إِذْ عَضَّنِي مُتَشَادِقٌ
تَعَلَّقَ لَيْلِي الْعَامِرِيُّ مُعَمَّدًا
وَلَمْ أَرَ لِي شَيْئًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
شَدَّوتُ بِهِ فِي مَحْفَلِ التَّوَمِ مُنْشَدًا
تَعَلَّقَ لَيْلِي الْعَامِرِيُّ مُعَمَّدًا
خَنَا الطَّبِيعِ إِلَّا أَنْ يَرَوْا لِي حُسْدًا
وَيَمْنَعُهُ ذِبَابُهُ أَنْ يَفْرَدَا
جَهُولٌ تَلَهَّى أَوْ حَلِيمٌ تَبَلَّدَا

(١) المتشادق : يريد به المتشوق ، وهو المتفاصح الذي يملأ شذقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزى بالناس ، يلوى شذقه بهم وعليهم . وتشادق في كلامه : فتحفه واتسع . شحا الرجل فاه فتحه ، وشحا فوه انفتح ، منعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه ، معنى نطق بهم . والأدرد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا
تأمل قليلا في بنيه مفكرا
فتبصر أيقاظا يطيعون هجدا
وكم فأرة في الشرق تحسب هرّة
ألا ربّ شكّ قال لي وهو آسف
فقلت له أبشر بخير فإنه
ولا مثل جدّ المرء للمرء مُسعدا
لتشهد منهم للعجائب مشهدا
وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم عتقني في الشرق سمي هُهدا
أما آن للتهديب أن يتبغدا^(١)
ببغداد للتهديب أسس مُنتدى

في زحله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له ولاريجاني في زحلة
حببت العلي منذ الصبا حبّ شاعر
أقدر فيها أن أصيخ للأمم
تقول ابنة الأقبام وهي تلومني
إلى كم تجدّ البين عنى مسافرا
وأسكتها عنى نشيخ فلم تزل
إلى أن تفانى الصبر فافتقر مدمعي
ولا غرو أن أبكي أسى من بكائها
وقلت لها إني امرؤٌ لي لبانة
تعودت أن لا أستنيم إلى المنى
وأن أمضى الهم الذي هو مُقلقي

وقمت إليها ساعيا سعي قادر
وقد ملكت مني جميع المشاعر^(٢)
وأدمعها رقرقة في الحاجر^(٣)
أما تستلذّ العيش غير مسافر^(٤)
تردده منها بأقصى الحاجر
كدمعها عن لؤلؤ متناثر
فأعظم ما يشجى بكاء الحرائر
منوطاً مداها بالنجوم الزواهر
والأأرى إلا بهيئة نائر
بطيّ الفياق أو بخوض الدياجر^(٥)

(١) تبغدا : أي يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقرقة : جائلة متحركة . والمعاجر : جمع محجر ، وهو مدار بالعين من العظم .

(٤) تجدّ البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضى همه : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطى الفياق : قطع الصعاري . والفياق : جمع

فيغاة ، والدياجر : جمع ديجور ؛ وهو الظلمة ، وأصله الدياجر .

أما تَرَيْنَ الوجّهَ منى شاحبا
ولست أبالي أنى عادم الغنى
ذرينى أزرُ فى هَضْبِ لبنان أربعا
بحيث أرى تلك الليوثِ خوادرا
ليوث إذا ما عَبَّست فى مُمَّةٍ
وألقت جيوش الفاخرين سلاحها
فأكرم بلبنانٍ مقراً لنا بهِ
ألا إنما لبنان فى الأرضِ عاهلٌ
وزحلةٌ فى لبنان تاجٌ لرأسه
وما هى إلا روضةٌ أنبتت له
أزحلةٌ إلى تاركٍ فىك مُهَجَّتى
فتشكرُك الشكر الذى أنت أهله
رغاءِ اسرى ساعود الغدرِ نفسه
ومن عجب أن الشويعر لأمنى
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوءه
على أننى من عاذريه وإن يكن
وكم فى ربأ لبنان من ذى فصاحة
ومن أهل آداب كشارقة الضحى

لكثرة ما عرضته للهواجر^(١)
إذا كان جدى فى العلى غير عاثر
تعالت بحيث العز مُرخى الضفائر
تسارق الحاظا عيون الجآذر
تبسمت الدنيا تبسم ناصر
إذا خفقت راياتها بالمفاخر
ومأوى لمنكودٍ ومهدى الحائر
تبوأ عرشا من جليل المآثر
قد ازدان من أبنائها بالجواهر
أزاهير من تلك الحسان الغرائر^(٢)
تعاطيك من بعدى محبة شاكر
طوال الليالى خالدا فى الدفاتر
ولا ودَّ إلا مُخلصا فى الضوائر
بيروت لوم الشاتم المتجاسر
مقاذعة جاءته من متشاعر^(٣)
لى الحق فى عذرى له غير عاذر
مُجيدٍ بيوم الحفل قرع المنابر
ومن أهل علم كالبحار الزواخر

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحداتها .
(٣) مقاذعة : مهاجاة ومسابة .

الفنون الجميلة



تأنيك ريشته بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشاً ناعماً ورقيقاً فاسلكِ إليه من الفنون طريقاً
واجعلِ حياتك غصّةً بالشعر والتّـمـثـيل والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتهية هي التي غصنُ الحياة بها يكون وريقاً
وهي التي تجاؤ النفوس فتمتلي منها الوجوه تلالؤاً وبريقاً
وهي التي بمذاقها ومشاقها يمسي الغليظ من الطباع رقيقاً

تمضى الحياة طرية في ظلها
إن الذى جعل الحياة رواعدا
وأدرّها غيثَ اللذّاة منبتا
وأقام منها للنفوس حوافزا
فتحلّ عقسدة من تراه معقدا
تلك الفنون فطر إلى سعة بها
وإذا أردت من الزمان مضاحكا
ما فاز قط بوصلها من عاشق
ففى ابتسامات الدنّى وبغيرها

رطب حياتك بالغناء إذا عرا
إن الغناء لمحدث لك نشوة
واترك مجادلة الذين توهموا
أفانت أغلظ مبيجة من نوقهم
أرقى الشعوب تمدنا وحضارة
وأحطهم من إن سمعت غناءهم
فالغن مقياس الحضارة عند من
حازوا الرقى ، وناطحوا العيوقا

الشعر فن لا تزال ضروبه
ويجيد تقطير العواطف للورى
تتلو الشعور بألسن الموسيقى
فتخاله لقسلوبهم أنيقا

ومسارح التمثيل أصغر فضلها
وإذا رأى فيها انواقاع غافل
جعل الكليل من الشعور ذليقا^(١)
من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تمنى الحميد من الخصال وتنتقى
وتجىء من عبر الزمان بمشهد
ويكون منظره الرهيب ممدداً
ما كان منها بالفخار خليقاً
يلقى خشوعاً في النفوس عميقاً
لمشاهديه إلى الصلاح طريقاً

* * *

أما المصوّر فهو فنّانٌ يرى
تأتيك ريشته بشعر صامت
وبدائع التصوير من حسناتها
فهي الجديرة أن تكون ثمينةً
إن الحياة على الكدورة لم تجد
مثل الفنون لنفسها رأووقاً^(٤)
ما كان من صور الحياة دقيقاً
ولقد يفوق الشاعر المنطيقاً^(١)
أن يستفيد بها الشعور سموّاً^(٢)
وتكون أنفق من سواها سوقاً^(٣)
مثل الفنون لنفسها رأووقاً^(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أُنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس في حال اجتماع
وتكثر للتعاون والتفادي
ولو ساروا على طرق افراد
رأيت الناس كالبنيان يسمو
فيمسك بعضه بعضاً فيقوى
كذلك الناس من عجم وعرب
قد اشتبكت مصالحهم فكلُّ
ولولا سعى بعضهم لبعض
فتحدث بينهم طرق انتفاع
على الأيام بينهم الدواعي
لما كانوا سوى همج راع^(٥)
بأحجار تُسبِّع بالسياع^(٦)
ويمنع جانبيه من التداعي
جميعاً بين مرعى وراع
لكلِّ في مجال العيش ساع
لعاشوا عيش عادية السباع^(٧)

(١) المنطوق : الفصيح .

(٢) السموق : الارتفاع .

(٣) أنفق : أروج .

(٤) الراووق : المصفاة .

(٥) الهمج والرعاع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .

(٦) تسبِّع بالسياع : أي تطلّي بما يطلّي به البناء بعد بنائه ، ليجمّل شكله ومنظره .

(٧) عادية : أي مقترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجزاً تدارك عجزه رب اليراع
 وإن قلم الأديب عراه زيغ تلاقى زيغه سيف الشجاع
 وإن صغرت يدٌ من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(١)
 بذلك قضى اجتماع الناس لما
 يساند بعضهم في العيش بعضاً
 فتعلو في ديارهم المباني
 وتستعلي الحياة بهم فتسمى
 وما مدينة الأرقام إلا
 ولم يصلح فساد الناس إلا
 تشاد به الملاجيء لليتامى
 وتُبنى للعلوم به مبان
 وإلا فالشقاء لهم حليف
 ومما سرّني أنى أناجى
 سعوا لحماية الأطفال منّا
 فقاموا بالذى يُعلى ويُسلي
 وما هذى الحياة سوى صراع
 وما سادت شعوب الخلق إلا
 إذا لم يُعنَ بالأطفال قوم
 ولا تزكو المناشيء في أناس
 وما هاج العواطف في فؤاد
 فشكراً للكرام وكل شكر

(١) صغرت : أى صارت صفراً خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه .
 واليد الصنّاع : الأاهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملاً .
 (٢) اليفاع : المرتفع .
 (٣) انصداع : تشقق وتكسر .
 (٤) سقط المتاع : أردأ وأرخس ما فى البيت من متاع وأدوات كالمسكنة والكور ونحوها .
 (٥) عضده يعضده ، يضم الضاد فى المضارع : قوى عضده وشدازره يريد عاونوا بمدّ أيديهم بالمال .

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه نضرى البارودي وهو إذ ذاك بيروت ،
يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمنسوجات الوطنية ، ويطلب
إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها
والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه في دمشق

من كان في الجذ الموثل راغبا
نضرى الذى ابتكر المفاخر واغتدى
وأبى سوى غرّ المساعى إذ سعى
وبنى له بدمشق مجداً طارفاً
إن كان محمود الفعّال فإنه
نفع البلاد بمساعىه وسعيه
ورأى الشتات بها فقام موحداً
ودعا الرجال بها فألف شركةً
تغنى البلاد بسعيها عن غيرها
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها
حتى تكون عن الأجانب فى غنى
أو ما ترى أهل البلاد تقيّدوا
الغرب يكسوهم ملابسهم بها
وتراه يسلّخهم بمصنوعاته
هذى سفائنهم تروح وتغتدى
فكأنما هى لامتنصاص دمائنا

فليطلبه بهمة البارودي
منهنّ مفخرًا بكل جديد
متشبّثًا منها بكل مفيد (١)
من بعد مجد فى دمشق تليد (٢)
ورث المكارم عن أب محمود
وبحسن رأى فى الأمور سديد
فيها المساعى أيّما توحيد
ترجى إلى غرض أغرّ حميد (٣)
وتعيد عهد ثرائها المفقود
من نسج أردية لحم وبرود
وتعيش غير أسيرة التقليد
للغرب من حاجاتهم بقيود
يعرّون من مال لهم وتقود
سلخ الشياخ فهم بغير جلود
بيضائع لم تحصّ بالتعديد
بعض الحاجم أو كبعض الدود (٤)

(١) غرّ المساعى : جمع أغرّ ، وهو الذى فى وجهه بياض .

(٢) الطارف والطارف : المكتسب الحديث . والثائد والتليد : الموروث القديم .

(٣) الشتات : التفرق .

(٤) الحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق

الأسود ، يستعمل كالحجّج لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا
 وبجانب الوطني من أسياننا
 إن البلاد لتشتكى من أهلها
 يا سادة الأوطان لستم سادة
 أفسيد من عاش وهو لغيره
 إن السيادة تستدير مع الفنى
 لا يستقل بسيفه الشعب الذى
 من كان محلول العرى فى ماله
 يا قومنا أتم كفارس كرمة
 كم تزرعون بأرضكم ولغيركم
 فتبصروا يا قوم فى أحوالكم
 من شاء منكم أن يعز بلادهُ
 ونذل القربى لعز بعيد
 ولو أنه من أحسن الموجود
 وتقول قول الرازح المجهود^(١)
 ما عشم من فقركم كعبيد
 فى حاجة بل ذاك عيش مسود
 فى حالتى عدم له ووجود^(٢)
 لا يستقل بنقده المنقود^(٣)
 وجب انحلال لوائه المعقود
 وسواه منها فاطف العنقود
 مما زرعتم حب كل حصيد
 وتنبهوا من غفلة ورقود
 فليسع سعى معزها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا
 هى دار ينتابها ولد قوم
 نحن قوم نرى المفاخر إلا
 ما قصدنا بسننا السيف إلا
 هل شددنا الرحال فى الأرض للأسد
 قد أقيمت للطالين منسارا
 جعلوا العلم للحياة مدارا
 من طريق العلوم ثوبا معارا
 ردّ ليل الجبل المميت نهسارا
 فار إلا لنكتب الأسفارا^(٤)

- (١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقل .
 (٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : «استغن عن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره» .
 (٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .
 (٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين وسكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طوينا من قبل في طلب العدا
واقترحنا لأجله كل هول
وقد هانت النوائب فيه
إنما تصغر الخطوب لدى القوا
سل بنا العلم والفنون جميعا
سل بنا العدل في جميع الرعايا
سل بنا العز من كبار المساعي
سل بنا هذه الدماء الدوامي
سل بنا هذه النجوم الدراري
كم رفعنا للعلم في الأرض برجا
لا يكن منك في الذي قلت شك
يعلم الله ذو الجلالة أنا
إنما هذه المدارس روض
تنغذي بها النفوس غذاء
جل فعلا إكسيرا المتعالى
يدخل الناشئون فيها من النا
رب نفس كدرهم قد جلاها ال
نضرت هذه المدارس روضا
تمنح العاجز الضعيف اقتدارا
كانت الناس في القديم عبيدا
فعليناكم فيها بتحصيل علم

م فجاجا وم شققنا بحارا
وركبنا لأجله الأخطارا
إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
م إذا كانت النفوس كبارا
هل ملكنا بغيرها الأقطارا^(١)
هل عمرنا بغيره الأمصارا
هل طلبنا بغيرهن فخارا
هل غسلنا بغيرهن العارا
هل رضينا تحت النجوم قرارا
وبنينا له كغمدان دارا
وإذا شئت فانظر الآثارا
لسوى الله ما رجونا وقارا
يُنبت المجد والعلى والفخارا
هو يُنمى العقول والأفكارا
كيف يجلو القلوب والأبصارا
س نحاسا ويخرجون نضارا
علم حتى أعادها دينارا
من بنى القوم مُنبتا أزهارا
موشكا أن يغالب الأقدارا
وبها اليوم أصبحوا أحرارا
يرغد العيش ، يسعد الأعمارا

(١) سل بنا : سل عنا . وفي الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيرا » .

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسى لىبناية مدرسة الفيض
الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
إن كان للجهل فى أحوالنا علة
سيروا إلى العلم فيها سير معتمزم
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
هذى مدارسكم شروى مزارعكم
لا تتركوا الشوك ينمو فى منابتها
وأسسوها على الأعمال قائمة
يلقى بها النشء للأعمال مخترعا
وأمطروا روضها علما ومقدرة
فتنتب العالم الفنآن مخترعا
وتنتب الحارث الفلاح مزدرا
واسقوا التلمذ فيها خمر مكرمة
حتى إذا ما غدا خريجها طربا
ربوا البنين مع التعليم تربية
وثقفوهم بتدريب وتبصرة

حتى نطاول فى بنائها زحلا
وقابلوا باحتقار كل من بحلا
فالعلم كالطب يشفى تلکم العملا
ثم اركبوا الليل فى تحصيله جملا
بل علموا النشء علما ينتج العملا^(١)
فأنتبوا فى ثراها ما علا وغلا^(٢)
أعنى بذلكم الأهواء والنحلا
ممهدين إلى الحيا بها سبلا
وللطباع من الأدران معتسلا
حتى تفتح من أزهارها الأملا
وتنتب الفارس المغوار والبطلا
وتنتب المدرة المنطيق مرتجلا
عن خمر الكرم تسمى عنده بدلا
من عزة النفس خيل الشارب الثملا
يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
ثقافة تجعل المعوج معتدلا

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشئون
العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد فى ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما لىها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فعل معاينة
إن العقاب يزيد النفس شرًّا
بل أنشأناشيء الأحداث وهو على
بحيث يمسى إذا شأته شائنة
من يترك الشرَّ خوفاً من معاينة
فجيشوا جيش علم من شيبتنا
إن قام للحرب ردَّ الأرض ممرِّعة
وإن غزا مستظلاً ظل رايته
إننا لمن أمة في عهد نهضتها
هذا هو العلم لا ما تدأبون له
ماذا تقولون في نقدي مذاهبكم
وأى نفع لمن يأتي مدارسكم
فأجمعوا الرأي فيما تعملون به
ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
حتى إذا ما انتدبنا العرب قاطبة
إن العقاب إذا كررته قتلاً
وليس ينكر هذا غير من جهلاً
حبّ الفضيلة في محياه قد جبلاً
من فعله احمرَّ منها وجهه خجلاً
فليس يحسب ذافضل وإن فضلاً
عمر ما تضرب الدنيا به المثلاً
أو قام للحرب دكَّ السهل والجبلاً
هزَّ البلاد وأحيا الأعصر الأوتلاً
بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولاً
تأ تكون به عقباكم الفشلاً
وقد كفتكم التفصيل والجملاً
إن كان يخرج منها مثلاً دخلاً !
ثم اعملوا بنشاط ينكر الملالاً
نهجاً على وحدة التعليم مشتملاً
كنا كنا انتدبنا واحداً رجلاً

العلم والإجازة (*) فيه

إن من حاز في العلوم إجازةً
وخلق بعيشة مرتضاه
لجدير برتبة ممتازة
وافتحار بفضل ما قد حازه

(*) الإجازة : هي الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها
وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم
وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أعلاماً لذلك ، وكان الطلاب يمتنون بشهادة أستاذهم لهم ،
ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صاكَّ بيد المرء ضامنٌ إعزازه
وهي تعويذة له من عيون هَمَّازة غمَّازة
فهنئنا لمن أجزى وشكراً للذي في علومه قد أجازه

معهدُ العلم وهو حرزٌ يفوق الـ أبلقُ الفردَ منعةً وحرَّازَه (١)
تليجاً الناس في الحياة إليه هرباً من جهالةٍ وخَّازَه
حبذا العلمُ يكسبُ المرءَ عزاً وبقية في عيشه إعزازه
في نقوس الذين لم يُرزقوه حسراتٌ وفي القلوب حزازَه
إنما العلم من معجز عيسى كم جهول أحياء وهو جنازه
صاحب العلم يركب الجد طرفاً جاعلاً غاية العلى مِهْمَازَه (٢)
ويهزُّ الدنيا رجاءً وخوفاً بيدٍ من درايةٍ هزَّازَه
نحن سقَّ وما الرواحل والزنا دُ سوى العلم والحياة مَفَازَه (٣)
كل من لم يُعده لاجتياز لم تيسر يد النجاح اجتيازَه
إن عتل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازَه (٤)
والطباع العرجاء في كل شخص تقتضى من ثقافة عكازَه
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازَه
وإذا الأمر قد غشته الغواشي ضمن العلم للورى إبرازَه

كان للعلم في القديم طريق غير رحب يشقُّ أن يجتازَه

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادباء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره ينز على من رامه ويطول

(٢) الظرف : الحصان الكريم ، والمهماز ما يبحث به القرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازَه : اختبره بيده ليعرف تقاه .

فجرى اليوم في طريق جديد جُعِل الشك واليقين طرازه
هو صيداً ولم يعد يجعل المصطاد منه غير التجاريف بازه (١)
قد عرفنا حقيقة القول فيه وتركنا للغافلين مجازه (٢)
وبحثنا عن جوهر الحق فيه قبلنا دفينه وركازه (٣)
بأنه إطناب شرحه بقياس إن في تجرباتهِ إيجازه (٤)
هو في الناس قدره متعال لم يطل صرح إيفل أنشازه (٥)
وإذا الملك لم يؤيده علم فارتقب سلبه ورج ابتزازه (٦)
وإذا العلم فاه يوماً بوعده ذهب اليأس آملاً إنجازهِ (٧)
وإذا أُنشطَ الجبان لحرب صال يرغو حمسةً وجمازه
قلم المرء في بلوغ المعالي فائق في وغي الحروب جُرازهِ (٨)
صاحب العلم في الأمور أمير قد غدا كل حادث جِوازهِ (٩)
يبصر الخطب من هواديه حتى يلتهى فيه مبصراً أمجازه (١٠)
فلهذا ، نعم لهذا أهني كل من حاز في العلوم إجازهِ

-
- (١) - شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبازي ، وهو الصقر الذي يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استعنا في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغينا بها عن الشرح الطويل ، وانقياس المنطوق النظري .
(٣) الركاز : المعادن المدفونة في الأرض .
(٤) يقول : في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً في فرنسا ، والأناضار جمع نثر ، وهو كل شيء مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرقه عال جداً لا يساميه برج إيفل علواً .
(٦) يقول : إن الملك الذي لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلاً أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف . (٩) الحلواز : بمعنى الشرطي .
(١٠) هواديه : أوائله ومقدماته

العلم

إلى شبان السكينة الانكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
فأور إلى ظله تعش رغداً
واتعب له تترح به أبداً
ولذة العلم من تذوقها
وإن للعلم في العلي فلكا
فاسع إليه بعزم ذي جلد
وأبدل له ما ملكت من نسب
لا تتكل بعده على نسب
واطرح المجد غير طارفه
ما أبعث الخير عن فتى كسل
كم رفع العلم بيت ذي ضعة
حتى تمنى أعلى الكواكب لو
وودت الشمس في أشعتها
وإن يسد جاهل فسودده
يرى امرؤ مجد جاهل عجا
كم كذب الدهر في فعائله
العلم فيض تحيا القلوب به
كل فخار أسبابه انقطعت
للعلم وجه بالحسن منتقب

إلا بعلم يجد في طلبه
عيشاً أميناً من سوء منقلبه
فراحة المرء من جنى تعبه
أضرب عن شهده وعن ضربه
كل المعالي تدور في قطبه
مصمم الرأي غير مضطربه
فالعلم أبقى للمرء من نشبه
فالعلم يعني النسب عن نسبه
واجتنب الفخر غير مكتسبه
يسرح في لهوه وفي لعبه
فقصر الناس عن مدى حسبه
يحل بيتا يكون في صقبه
لو كن يحسبن من قوى طنبيه (١)
بعد قليل يفضى إلى عطبه
لو صح عقلاً لكف عن مجبه
وسودد الجاهلين من كذبه
فامتحن بسجل الحياة من قلبه (٢)
إلا فخاراً يكون من سبيه
وسافر منه مثل متقبه

(١) الطنب : جبل تشد به الخيمة .

(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قلب ، وهي البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة
ما أقدر العلم إن صحته
من تحذ العلم عدة لوغى
فانتدب العلم للخطوب فما
العلم كالنور بل أفضله
سقيًا ورعيًا لروض معده
ما الناس إلا رؤاد نجعته
ومن غدا هاديًا يعلمه
ومعهد أسست قواعده
شيده للعلوم مدرسه
قد غرد المجد في جوانبه
وأصبح العلم فيه مزدهرًا
يمثله في البلاد قاطبة
أضحت فلسطين منه ممرعة
تاقت به إيلياء فاخرة
شكرا لبانيه ما أقام به

إن لم يؤيد بالحسن من أدبه
يعن منها الخميس في هربه (١)
أغناه عن درعه وعن يابه (٢)
خاب لعمرى رجاء منتدبه
ما أفقر النور أن يشبهه به
وطالبيه وقارئى كته
وناشروه وكاشفو حجه
وراح يشفى الجهول من وصبه
في بلد شفى هوى عربه
من كان نشر العلوم من دابه
فاهتز عطف الفخار من طربه (٣)
بكل ذاكى الذكاء ملتبه
يشفى عقور الزمان من كلبه (٤)
مذ جادها بالعزيز من سجه (٥)
على دمشق الشام أو حلبه
شبانه القاطنون فى قببه

(١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يعن : يبلغ .
(٢) عدة الحرب أدواتها ، والياب : الترسة أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة .
(٣) العطف : الجانب .
(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلك .
(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود العزيز .

دار الأيتام

أو مدرسة سننر في القدس

لدار سننر في القدس فضلٌ به تنسى تيمها اليتامى
ويحمده من الفقراء طفلٌ يذمّ لفقده والده الحماما
بها يجد اليتيم له مقامًا إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمه أمّا عطوفاً عليه وعن أبيه أبًا هماما
تمت نهارها فيه ليحيا وتحي الليل فيه لكي يناما
فتشرب نفسه حبّ المعالي وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيتم صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما^(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلاً فتخرجه لهم يفعاً غلاما
علماً بالحياة يسير فيها على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارتداها وشد عليه من حزم حزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا وأستسقى لساكنها الغماما
وأشكر فضلها والشكر عجز إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار سننر لا زلت مأوى لأبناء الأرامل والأيامي
أثابك مالك الملكوت عنهم مئوبة كل من صلى وصاما
صنيت لهم رغيد العيش حتى أخذت على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم فكنت لهم من الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما أعدت بكاءه منه ابتساما
لقد هونت رزء اليتيم حتى غفرنا للزمان بك الأثاما

(١) رثمت الأم ولداها : شتمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَنكَ راء
لميكث فيك معتبطا سعيدا
ويعلم كيف يدَّرع المعالي
وما فقد المسيح الناسُ لما
فنبت عن المسيح وقت حتى
ولا عجب فقد جددت منه
شمخت على ربنا القدس اعتلاء
ولحت بأقبا بدرأ منيرا
ألا إن النجوم بشعريها
هزرت الطور فيو يكاد يمشي
وجاذبت الكرامة خير قبر
تُباهي القدس مكة فيك حتى
فلا برحت رُبوعك عماراتٍ

يودُّ بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجساما^(١)
ويعرف كيف يتندر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما
لقد شكر المسيح لك القياما
عواطف كان عم بها الأناما
فكنت لمن من شرف وساما
جلا من ليل أبوسها الظلاما
لتحسد من مَرابعك الرغاما^(٢)
إليك على تقدسه احتراما
به دفن المسيح ومنه قاما
تفاخر فيك مشعرها الحراما
نسل على الشقاء بها حساما

الفقر والسقام^(*)

أى مضمي يمدّها باكتئاب
يتشكى والليل وحف الإهاب
صَفَعْتَهُ فقال كَفُّ الخراب^(٤)
أنة تترك الحشا في الثهاب
ضمن بيت جثا على الأعقاب^(٣)

تسمع الأذن منه صوتا حزينا
راجعا في حشا الظلام كمينا

(١) الشرف الجسام : الجسم .

(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والنميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف سدة ظلام الليل . جثا على

الأعقاب : يريد أنه قريب أن يهدم . (٤) كف : فاعل صفت .

يلاً الليل بالدعاء أنينا ربّ كن لي على الحياة معيناً

ربّ إن الحياة أصل عذابي

وجعٌ في مفاصلي دقّ عظمي ودهاني ولم يرقّ لعدمي^(١)

عاقني عن تكسبي قوت يومي ربّ فارحم فقري بصحة جسمي

إن فقري أشد من أوصابي^(٢)

يا طيباً وأين مني الطيبُ حال دون الطيب فقر عصب^(٣)

لا أصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شيء عجيب

بطلت فيه حكمة الأسباب

u * o

رجلٌ معسر يسمّى بشيراً كان يسعى طول النهار أجيراً

كاسباً قوته زهيداً سيراً مانكاً في المعاش قلباً شكوراً

راجياً في المعاد حسن المآب^(٤)

عالٍ أختاً حكته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزواج سنيها^(٥)

لزمت بيت أمها وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها

مشله في الطعام أو في الشراب

كلّ يوم له ذهب ومآتي في معاش من كده يتأتى^(٦)

هكذا دأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى

عاقه عن تعيشٍ واكتساب

يلينا كان في قواه صحيحاً ساعياً في ارتزاقه مستميجاً^(٧)

(١) العدم : الفقر .

(٢) عصب : شديد .

(٣) الأوصاب : الأمراض .

(٤) أي أن ذلك المضمي الذي مر ذكره في أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عالٍ أختاً : كفلها وكفهاها معاشها . العانس : هي التي طال مكثها في بيت أهلها بعد

إدراكها ولم تتزوج .

(٦) يتأتى : طالباً .

(٧) يتأتى : يتبها .

إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا^(١)
جسه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^(٢)
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطراتٍ من عينه تتهاوى
كشهاب ينقضُ إثر شهاب^(٣)

إن سقماً به وعُتماً ألمًا تركاه يذوب يوماً فيوما
فيوح حيناً يشكو إلى السقم عُدماً وهو يشكو حيناً إلى العدم سقماً

باكياً من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزّ صبرى عزّاً إن للداء في المفاصل وخزاً^(٤)
مثل طعن القنا ووخز الحراب^(٥)

قد تمادى به السقام وطالاً وترآى له الشفاء محالاً
إذ قلاباً به السقام استحالاً كان مغيماً فصار داءً عضالاً^(٦)
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^(٧)

ظلّ ملقى وأعوزته المطاعم موثقاً من سقامه بالأداهم^(٨)
منفقا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يبتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : الميزول . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخز : الطعن غير النافذ بريح أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قنّاء ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقاً .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقاً : مقيداً . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قد كُوبت عندها الدراهم تنفذ^(١)
أخبري السقم على يتبعه أيها السقم نزل عيشي السكد
لا تعقني في عيشتي عن طلابي

مرضىني شقيقتي مرضيني وعلى الكسب في غدٍ مرضيني
وإذا مسك الطوى فإرضيني أو على الناس الصبيح اعرضيني^(٢)
علمهم يشتروني مما بي

رام خبزا والجوع أذكي الأوارا في حشاه فعللته انظارا
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذارا وهل الماء وهو يطفيء نارا
يطفيء الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطمة إلى جارتيها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتهم من سقام ومن سعار لديها^(٣)
وشكت بعد ذلك خلو الوطاب^(٤)

فأثنت وهي بين ذل وعز تحمل التمر في يد فوق خبز^(٥)
وبأخرى سمناً وبعض أرزاً منحوها به وذو العرش يجزى
من أغان الفقير حسن الثواب

* * *

ليلة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفها^(٦)
ذا هزيم يمج في الأذن وقرا حين تبدى صوالج البرق تترى^(٧)
كهربائية سرت في السحاب

(١) كُوبت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .
(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن من الجلد ، وخالو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة
(٥) اثنت : رجعت . (٦) ذعرا : خوفا . اكفها : تراكم واشتدت ظلمته .
(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوتر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما يضرب
به الأكرة . وصالج البرق : هي الرياح التي تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذي
يولد البرق ، فان كان الاحتكاك اعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأَكفا في فراش به على الموت أوفى^(١)
طرفها كالشها يبين ويخفى حيث يُغضى طرفاً ويفتح طرفاً^(٢)
عاجزاً عن تكلم وخطاب
فدعته والعين تذرّي الدموعا أخته وهي قلبها قد ريعا
يا أخى أنت ساكن أفجوعا ساكت أنت يا أخى أم هُجوعا^(٣)
فاشفتني يا أخى برجع الجواب
فرأت منه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صيب
ثم أصعبت وفي الفؤاد وجيبٌ ثم هابت والموت شيء مهيب^(٤)
ثم قامت بحشية وارتياب
خرجت فاطمٌ من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسِدلاً^(٥)
وهي تبكي والغيث يهطل هطلاً مثل دمع من مقلتيها استملا
أو كماء جرى من الميزاب
ربُّ أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث ربُّ عن تعويقي
ومرّ البرق أن يفضى طريقى ببريق يبيديه إثرَ بريق
فحسى أهتدى به في ذهابي
قرعت في الظلام باب الجارِ وهي تبكي الأسى بدمع جار
ثم نادى برقة وانكسار أمّ سلمى ألا بحق الجوار
فافتحني إني أنا في الباب
فأنتها سَعدي وقد عرفتها وعن الخطب في الدجى سألتها^(٦)

(١) أوفى : أشرف .

(٢) السها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يفضى : يغمض .

(٣) الهمة : الاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من

ساكت . وأصل العبارة : أدأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .

(٤) الوجيب : الحفطان والرجفان .

(٥) السدل : الستر .

(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقفيتها وبنيتها تبعتها
فتخطين في الدجى بانسياب^(١)

جنن والشخب أقامت عن حياها وكذلك الرعود قل رُغها^(٢)
حيث يأتي شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
مومضاً في السماء بين الرباب^(٣)

فدخلن المحل وهو نحيف حيث إن السكوت فيه كثيف^(٤)
وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دب منه الحمام في الأعصاب^(٥)

قالت الأخت أم سلمي انظريه ثكلت روح أمه وأبيه^(٦)
فأرت منه إذ دنت نحو فيه نفساً مبطناً التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب^(٧)

وجمت حيرة وبعد قليل رمت فاطماً بطرف كليل^(٨)
فيه حمل على العراء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب

فاستمرت حتى الصباح توالى زفرت بنارها القلب ضال^(٩)
فأناها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذلك الجنب^(١٠)

وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلاً به المعيشة تشقى

(١) الانسياب : الانسراع في المشى . (٢) الحيا : المطر . الرغاء : صوت الرعد .

(٣) انرياب : يفتح الراء : السحاب الأبيض الذي أراق ماءه .

(٤) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .

(٥) الحمام : الموت . (٦) ثكلته أمه : فقدته .

(٧) غاه : أهلك . الاقتضاب . الاقضاع والانتزاع .

(٨) وجمت : سكتت من كثرة الغم والحزن . (٩) صال : محترق .

(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردهما : صعوك . الجنب : هو المكان القريب من محلة القوم .

فَرَأُوا دَمْعَ فَاطِمٍ لَيْسَ يَرْقَا وَأَخُوهَا مَيَّتَ عَلَى الْأَرْضِ مُلْتَقَى^(١)
مُدْرَجٌ فِي رِثَائِثِ الْأَثْوَابِ^(٢)

فَعَدَّتْ فَاطِمٌ تَرَنَّ رَنِينًا يَبْكَاءُ أَبْيَكْتَ بِهِ الْوَاقِفِينَا
ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ مِمَّا لَّا حَزِينَا أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ هَلْ تَرْحَمُونَا
مِنْ مُصَابِ دَهَا وَأَيِّ مُصَابِ

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ لَا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْمَعِي بِهَا فَاغْسِلُوهُ
ثُمَّ بِالْثُوبِ ضَافِيًا كَفَنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنِّ بَقَلْبِي اِدْفِنُوهُ
لَا تَوَارُوا جِينِيهِ بِالْتُرَابِ

بَعْدَ أَنْ ظَلَّ لِاِفْتِقَادِ الْمَالِ وَهُوَ مُلْتَقَى إِلَى أَوَانِ الزَّوَالِ
جَادَ شَخْصٌ عَلَيْهِ بَعْدَ سُؤَالِ بَرِيَالٍ وَزَادَ نِصْفَ رِيَالِ
رَجُلًا حَاضِرًا مِنَ الْأَنْجَابِ^(٣)

كَفَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَمَّ غُسْلُهُ وَتَمَشَّوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ حَمَلًا
فَتَرَى نَعْشَهُ غَدَاةً اسْتَقْلًا نَعَشَ مِنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ مُقْلًا^(٤)
دُونَ سِتْرِ مَكْسَرِ الْأَجْنَابِ

نَاحَتْ الْأَخْتُ حِينَ سَارَ وَصَاحَتْ أَخْتُكَ الْيَوْمَ لَوْ قَضَيْتَ لِاسْتِرَاحَتِ
ثُمَّ سَارَتْ مَدْهُوشَةً ثُمَّ طَاحَتْ ثُمَّ قَامَتْ تَرْنُو لَهُ ثُمَّ رَاحَتْ^(٥)
تَسْكَبُ الدَّمْعَ أَيَّمَا تَسْكَابِ

أَيُّهَا الْحَامِلُوهُ لَا مَشَى رَكْضِ إِنْ هَذَا يَوْمَ الْفِرَاقِ الْحَضِ^(٦)
فَاسْأَلُوهُ عَنِ قَصْدِهِ أَيْنَ يَمْضِي إِنَّهُ قَدْ قَضَى وَلَمْ يَكُ يَقْضِي
وَاجِبَاتِ الصَّبَا وَشَرَّخِ الشَّبَابِ^(٧)

(١) ليس يرقا : لا يجف . وأصله : يرقأ بالهمز ، تخفف .

(٢) مدرج : مكمن . رثايت الأثواب : البالي منها .

(٣) الأنجاب : جمع نجب ، وهو الدخي الكرم .

(٤) استقل : ارتفع مقلا : فقيرا .

(٥) طاحت : سقطت .

(٦) المص : الموجع المؤلم .

(٧) شرح الشباب : أوله .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساه شظايا^(١)
فأقل الله يا بن أمي الدنيا أنا من قبل مذ حسبت الرزايا
لم يكن زره موتكم في حسابي
إن ليلى وليس من راقديه كلما جاءني وذكريه^(٢)
قلت والدمع قائم لي إليه يا فقيدا أتاب الموت فيه^(٣)
ببكاؤي وهل يفيد عتابي

رحت يوماً وقد مضت سننان أتمشي « بشارع الميدان »
مشى حيرانَ خطوه متدان أثقلته الحياة بالأحزان^(٤)
وسقته كأساً كطعم الصاب^(٥)
بينما كنت هكذا أتمشي عرضت نظرة فأبصرت نعشا
بادياً للعيون غير مغشى نقش الفتر فيه للحزن نقشا
فبدا لوح أبؤسٍ واكتئاب
قلت سرّاً والنعش يقرب مني أيها النعش أنت أنعشت حزني
للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني
أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحت أسعى وراءه مذ تعدى مسرعاً في خطاي لم آل جهداً^(٦)
مع رجال كأنجم النعش عدا هم به سائرون سيراً مجداً^(٧)
فتراه يمر مرّاً السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساه : من حزنه . شظايا : قطعاً ، وهي جمع شظية ،

وتطلق على كل فلقه من شيء .

(٢) راقديه . التأخين فيه .

(٣) متدان : متقارب .

(٤) الصاب : شجر مر .

(٥) تعدى : تجاوز

(٦) أي عدد حاملي النعش كعدد أنجم نيات نعش ، وهي سبعة .

مذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني رُدُّنا^(١)
إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
فتصدّي منهم فتى جوابي
قال إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
بقيت بعده يعيش عسير وبطرفٍ بالكِ وقلبٍ كبير
وقضت مثله بداء القلب
قلت أقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تنزل قلبي
ثم ناجيت والضراعة ثوبى ربِّ رحماك ربِّ رحماك ربى^(٢)
ربِّ رشداً إلى طريق الصواب
ربِّ إن العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربَّ عفواً وفضلاً
فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلاً أنت ياربُّ أنت بالعفو أولى
منك بالأخذ والجزا والعقاب
قد وردنا والأرض للعيش حوض واحدٌ كلنا لنا فيه حوض
فلهذا به مشوبٌ ومحض عظمت حكمة الإله فبعض^(٣)
في نعيم وبعضنا في عذاب
أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعيم الله حيث ما إن رحمتكم
سهر البائسون جوعاً ونتمم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب
كم بذلتم أموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتكم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه
أفتدرون أنكم في تباب^(٤)

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .

(٢) الضراعة ثوبى : أى وأنا لابس ثوب الضراعة .

(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكدورة .

(٤) التباب : الحسران .

تنبؤيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعودها وينهب هذى النيام هجودها
متى يتأنى في القلوب انتباهها فينجاب عنها ريبها وجمودها^(١)
أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفرٌ فقد عاث فيها بالمظالم سيدها^(٢)
برئت إلى الأحرار من شرِّ أمة أسيرة حكام ثقال قيودها
سقى الله أرضاً أمحلت من أمانها وقد كان رواد الأمان ترودها^(٣)
جرى الجور منها في بلادٍ وسيعه فضافت على الأحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ يسوسهم بنلوبقات سميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
إذا وُلِّيتُ أمرَ العباد طغاتها وساد على القوم السراة مسودها
وأصبح حرُّ النفس في كلِّ وجية يُردُّ مهاناً عن سبيلٍ يريدُها
وصارت لئسام الناس تعلقو كرامها وعاب لبيداً في النشيد بليدها^(٤)
فأنت إلا أيها الموت نعمةً يعزُّ على أهل الحفاظ جحودها^(٥)

* * *

ألا إنما حرية العيش غادة منى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ماغضى على القلب بحيث يحجبه عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : اللذاب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه . يقال

منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضَيءُ دَجَنَاتِ الحَيَاةِ جَبِينَهَا وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها^(١)
لقد واصلت قوماً وخلت وراءها أناساً تمنى الموت لولا وعودها
وقد مرضت أرواحنا في انتظارها فما ضرَّها والهفتا لو تعودها^(٢)

* * *

بني وطني مالي أراكم صبرتم على نوب أعيا انحصاة عديدها
أما آدكم حمل الهوان فإنه إذا تحلته الراسيات يثودها^(٣)
فعدتم عن السعي المؤدى إلى العلى على حين يزرى بالرجال قعودها
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها^(٤)
أم ترؤوا الأقوم بانسعى خللت ما أثر يستقصي الزمان خلودها
وساروا كراماً رافلين إلى العلى بأثواب عز ليس يبلى جديدها

* * *

قد أستحوذت يا لخسار عليكم شياطين إنس صال منكم مريدها^(٥)
وما اتقدت نار الحمية منكم لفقد اتحاد فاستطال خمودها^(٦)
ولولا اتحاد العنصرين لنا غذا من النار يذكو لو علمتم وقودها
إذا جاهل منكم مشى نحو سببة مشى جمعكم من غير قصد يريدها^(٧)

(١) أتلع عنقه : مده متطاولا . (٢) تعودها : ترورها : من عيادة المريض .

(٣) آدكم : أنقلكم . يثودها : يثقلها .

(٤) العتاد : العدة لأمر ما تهيوؤه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب . العتيد : الحاضر المهيأ . يقول لم تستعدوا للرق فيما مضى ، فجاءكم يوم ساءكم فيه حاضركم ، وبيني بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة ، وهو يصلح سألنا الحاضرة أيضاً ، ويكون حاضرنا السابق ماضياً ، وحريرتنا الآن حاضر لنا ، فانها جاءتنا على غير استعداد منه لها بما أفسده الظالمون من نفوسنا فأسانا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب ما يوحيه المتقهقرون إلى زعانف القوم وما يثوونه في نفوسهم من الشرور : تارة باسم الوطنية . أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين في ضلال .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

(٦) أى أن نار حميتكم لم تنقد لأنكم لم تتحدوا ، فان اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين : الأكسجين والكربون .

(٧) السببة : العار .

كأنكم المعزى تهاوينَ عندما نزا فنزت فوق الجبال عتودها^(١)
وما ثلةٌ قد أهمتها رعاتها بمامدةٍ جاءت لعشر أسودها^(٢)
فباتت ولا راعٍ يحامى مراحمها فرائسَ بين الضاريات تُبيدها
بأضيعَ منكم حيث لا ذوشهامة يذبُّ ارزايا عنكم ويذودها^(٣)

* * *

أنطمع هذى الناس أن تبلغ المنى ولم تورٍ في يوم الصدام زنودها^(٤)
فهل لمعت في الجوّ شعلة بارقٍ وما ارتجست بين الغيوم رعودها^(٥)
وأدخنة النيران نولا اشتعلها لما تمَّ في هذا القضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي تقودها

سوء المنقلب (*)

بغدادُ حسبك رقدة وسباتٌ أو ما تمضك هذه النكبات^(٦)
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواء خطبك ما هنَّ أساة^(٧)
قلب الزمان إليك ظهرَ مجنّه أفكان عندك للزمان ترات^(٨)

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أو هو مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر نتابه عليه من غير أن تعلم مالمو ولا أن ندرى أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) الثلة بفتح التاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثالثة بضم التاء : فهى الجماعة من الناس .
المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجست البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجهك .

(٧) الأحداث : الزوازل . أدواء : جمادات . أساة : أطباء .

(٨) المجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . ترات : عداوات ، وهى

جمع تررة .

ومن العجائب أن يمسك ضربه
إذ من ديبالة ونفقات ووجلة
إن الحياة لفي ثلاثة أنهرٍ
قد ضلَّ أهلك رشدهم وهل أهتدى
قوم أضاعوا مجدهم وتفرَّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه
فالنار تنهب من سقوط شرارةٍ
لا تستنيموا للزمان توكلاً
فإلى متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أقترعهم بأن ترك السعي في
إن صحَّ نقلكم بذلك فبيئوا
لم تلقَ عندهم الحياة كرامةً
شقيت بكم لما شقيتم أرضكم
وجبهتم النهج السوي إلى العلى

من حيث يتفجع لو رعيتك رُعاة^(١)
أمت تحلُّ بأهلك الكرويات
تجري وأرضك حولهن موات
قومٌ أجاهلهم هم السرّوات^(٢)
فتراهم جمعاً وهم أشستات
سعيّاً مغبة تركه الإعنات^(٣)
خسفاً على حين الرجال أباة^(٤)
إن دام ضاقت دونه الفلوات^(٥)
والماء تجمع سبيله القطرات
فالدهر نزاه له وثبات^(٦)
فوضى وفيكم غفلة وأناة^(٧)
نزل الكتاب وجاءت الآيات^(٨)
هذى الحياة توكلٌ وثقاة^(٩)
أو قام عندهم الدليل فباتوا
في حالة فكأنكم أموات
فلها بكم ونكم بها غمرات^(١٠)
فترادفت منكم بها العترات

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السرّوات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعنات : الاذلال والايقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانته . أباة : لا يرضون الضيم والاهانة .

(٥) الفلوات : الأراضي المنسعة .

(٦) نزاه : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم .

(٨) الثقاة : الثقوى .

(٩) غمرات : اشتدائد .

(١٠) الفعّال بفتح الفاء : بمعنى الفعل .

بالعلم تنتظم البلاد فإنه
إن البلاد إذا تحاذل أهلها
تلك الرصافة واللباه تحفها
سالت مياه الوادين جوارفا
فتهاجم الماء ان من صفتيهما
حتى إذا اتصل الفرات بدجلة
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت
فسمت بيوت الكرخ شرمقيء
واستنقعت فيها المياه فطحلت
حتى استحال الكرخ مشهد أبؤس
طرقاته مسدودة ودياره
ياكرخ عز على المروعة أنه
فلن أمانتك السيول فإنما

لرقى كل مدينة مرقاة
كانت منافعها هي الآفات
والكرخ قد ماجت به الأزمت (١)
فطفحن والأسداد مؤتكلات (٢)
فتناطحا وتوات الهجمات (٣)
وتساوت الوهدات والرבות (٤)
بالكرخ نازلة لها ضوضاء (٥)
منها فقاءت أهلها الأبيات (٦)
بالمكث ترغو تحتها الحمات (٧)
تبكي به الفتیان والفتيات
مهدومة وعراضه قدرات (٨)
لجج المياه عليك مزدهجات
أمواجهن عليك ملتطيات (٩)

• • •

(١) الأزمت : الشدائد .

(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .

(٣) صفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الفاء وخففها الشاعر لضرورة وكان له مخلص من هذه الضرورة وذلك بأن يقول من ضفويهما لأن الضفويين مثنى ضفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .

(٤) الوهدات : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والرבות جمع ربوة وهي المرتفع منها .
(٥) الضوضاء : الجلبة وأصوات الناس .

(٦) شبه الماء الداخلي إلى البيوت بما يشربه الانسان من المبيات ؛ فكما يخرج الانسان ماني جوفه بعد شرب المقيء ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .

(٧) طعلبت : علاها الطعلب وهي خضرة تعمل الماء الزمن . الحمات : جمع حامة وهي الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .

(٨) العراض : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء .

(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فإن أمواجه تنظم حزنا عليك .

من مبلغ المنصور عن بغداده
 أمست تناديه وتندب أربعاً
 وتقول : بالأبي الخلائف لو ترى
 لغدوت تذكرني وتبرح قائلاً
 أين البروج بينهن مَسِيْدَة
 أين الجنان بحيث تجرى تحتها الـ
 أترى أبو الأمانء يعلم بعده
 لا دجلة يا للرزية دجلة
 كان الفرات يمد دجلة مأوّه
 إذ بين دجلة والفرات مصانع
 يأنهر عيسى أين منك موارد
 ما ذا دهى نهر الرّفيل من البلي
 إذ قصر عيسى كان عند مصبه
 أم أين بركة زلزل وزلاها السـلمطان تسرح حوله الظّبيات^(٩)
 خبراً تقيض لثله العبرات^(١)
 طمست رسومَ جمالها الهَبّوات^(٢)
 أركان مجدى وهى متهدّمت^(٣)
 بتعجب ما هذه الخَرِبَات
 أين القصور علت بها الشرفات
 أنهار يانعة بها الثمرات
 بغداد كيف تروعها النكبات
 بعد الرشيد ولا الفرات فرات
 بجداول تُسقى بها الجنات^(٤)
 تفتّر عن شذب بها السنوات^(٥)
 عذبت وأين رياضك الخَصَلات^(٦)
 حيث الحجارى منه مندرسات^(٧)
 وعليه منه أطلت العُرْفَات^(٨)

- (١) المنصور : هو المنصور بالله العباسى أبو جعفر ثانى خلفاء بني العباس ؛ وهو أول من
 مصر بغداد وجعلها مدينة .
 (٢) أربع جمع ربيع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم . وهو ما لصق بالأرض من آثار الدبار .
 الهَبّوات : جمع هبة وهى العبرة .
 (٣) بالأبي الخلائف : هو قدا : استفاضة .
 (٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .
 (٥) المراد بالشذب هنا : الخصب . والرى والشذب فى الأصل : هو الماء والرقّة والبرد والعذوبة
 فى الأسنان . ويقال أفتر الحبوب بمعنى ضحك واقتر عن أسنان كالبرد .
 (٦) الخصلات : المرتوية .
 (٧) الرفيل : نهر يصب فى دجلة بغداد .
 (٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم فى بغداد وكان مبنيًا على شاطئ نهر الرّفيل عند مصبه فى
 دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام
 المنصور فى بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى فى بغداد .
 (٩) بركة زلزل : بركة فى بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب
 العود حتى ضرب به النمل ؛ وكان فى أيام المهدي والهادى والرشيد .

- يا نهرَ طابِقَ لا عدمتك منبَلاً
أم أين كرخايا تمدّ مياهه
أم أين نهر الملك حين تسلسلت
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
وله فروع أصلهنّ لشارع ال
تنمو الزروع بسقيه فغلاله
لهفي على نهر المعلى إذ غدت
نهر هو الفردوس تدخل منه في
كالسيف منصلتنا تضاحك وجهه ال
إذ نهر بين عند كلواذى به
ويقربه من نهر بوقِ دارة
يا قصر باب التبر كنت مقرّاً
- أين الصّراة تحفها الروضات^(١)
نهر الدجاج فكثرت الغلات^(٢)
فيه المياه وهنّ مطرّات^(٣)
قتسحّ فيه بفيضها البركات^(٤)
نهر الدجيل مياهه الحجارة^(٥)
كَبَشَ الحجارى منه منتهيات
كل العراق ببعضها يفتات
لا تستبين جناهُ النضرات^(٦)
قصر الخلافة شعبة وقناة
أنوار وهى عليه ملتزمات^(٧)
مُلد الغصون تهزها النسيمات^(٨)
تنفى الهموم مروجها الخضرات^(٩)
والنقى يصدر منك والإثبات^(١٠)

(١) نهر طابق : في بغداد يصب في نهر عيسى . الصراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .

(٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .

(٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) تسح : تسيل .
(٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .

(٦) نهر المعلى : نهر في بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير وقدولى المعنى البصرة وفارس والأهواز اليمامة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجرى تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .

(٧) منصلتا : مجردا .
(٨) نهر بين . نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . ملد : جمع أملد وغصن أملد : النعم

(٩) نهر بوق : نهر في سواد بغداد .

(١٠) لاله باب التبن بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على انخندق .

أيام تطلعك العدالة شمسها
أيام تبصرك الحضارة في العلى
أيام تذكرك العلوم نشيدها
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا
أيام يأتيك الشكى بأمره
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة
ماذا دهالك من الهوان فأصبحت
قد ضيعت بغداد سابق عزها
كم قد سقاها السيل من أنهارها
واليوم قلت بجانبها أرخوا
وترف فوقك للهدى رايات
بدرا عليك من الثنا هالات (١)
فتعود منك على العلوم صلوات (٢)
فتقبض منك لهم جدا وهبات (٣)
فيروخ عنك وما لديه شكاة
وتمر باسمه بك الساعات
آثار عزك وهى منظمسات
وغدت تجيش بصدرها الحسرات (٤)
ضرا وهن منافع وحياة
دقق السيول فهاجت الأزمت

العادات قاهرات (*)

كل ابن آدم مقهور بعادات
يجرى عليهن فيما يتنغيه ولا
قد يستأذ الفتى ما اعتاد من ضرر
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب
كل الحياة افتقار لا يفارقها
لو لم تكن هذه العادات قاهرة
لهن ينقاد فى كل الإيرادات
ينفك عنهن حتى فى الملذات
حتى يرى فى تعاطيه المسرات
تكون حاجاته إلا كثيرات
تعودى ما به تزداد حاجاتى
حتى تنال غناها بالمنيات (٥)
لما أسيعت بحال بنت حانات (٦)

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمر .

(٢) صلوات : عطايا .

(٤) الجدا : العطية .

(*) من الجزء الأول .

(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .

(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكرات يدخنها قوم بوقت انفرادٍ واجتماعات
إن الدخان لثان في البلاء إذا ما عُدَّت الخمر أولى في البليات

* * *

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت . في الكف وهي احتراق في الحشاشات^(١)
إن مرَّ بين شفاه القوم أسودُ ألسني اصفراراً على بيض الثنيات^(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها بل قد تفت بكفيه المرارات
عوائد عمّت الدنيا مصائبها وإنما أنا في تلك المصيبات
إن كلفتنى السكارى شرب خمرتهم شربت لكن دخاناً من سكراتي
واخترت أهون شر بالدخان وإن أحرقت ثوبي منه بالشرارات
وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتي إياكم في التذاذ بالمضمرات
إني لأمتصُّ جراً نفَّ في ورق إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حُقق يفتر عن ضرر يسَّم من دمنا تلك الكريات
حسبي من الحُقق المعتاد أهونه إن كان لا بد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلي كل آونة لئني أُنك ولا ترض اعتذاراتي
إن العوائد كالأغلال تجمعنا على قلوبٍ لنا منهنَّ أشتات
مقيدين بها نمشي على حذر من العيون فتأتي بالمداجاة^(٣)
قد نُنكر الفعل لم تألفه عادتنا وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شنعاء من عادتنا حسنت في زعمها وهي من أجل الشناعات

• • •

(١) أراد بالبيضاء : اللقانة . من التبغ . وقيد الأصبع أي مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض والجريح ، أو هي رمق من حياة النفس .
(٢) الشفاه : جمع شفة . الثنيات والثنايا : هي أربع أسنان في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفرداتها ثنية .
(٣) المداجاة : المخادعة والرياء .

عناكب الجهل كم ألفت بأدمغة
فخرموا وأحلوا حسب عادتهم
حتى تراهم يرون العلم منقصة
وحجبهون خوف العار ليتهم
لم تحصي سيئة العادات مقدرتي
فكم لها بدع سود قد اصطدمت
لو لم يك الدهر سوقاً راج باطلها
ولا استمر دخان التبغ منتشراً
لو استطعت جعلت التبغ محتكراً
وزدت أضعاف أضعاف ضريته
فيستريح فقير القوم منه ولا

من الأنام نسيجاً من خرافات^(١)
وشوهوا وجه أحكام الديانات
عند النساء وإن كن العقيقات
خافوا عليهن من عار الجهالات
مهما تفننت منها في عباراتي
في الناس منهن آفات بآفات
ماراجت الخمر في سوق التجارات
بين الوري وهو مطلوب كأقوات
فوق احتقار له أضعاف مرات
حتى يبيعوه قيراطا ببدرات^(٢)
يبلي به غير مثر ذي سفاهات

◊ ◊ ◊

الحُرُّ من خرق العادات منتهجاً
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن
ولم يخف في اتباع الحق لأئمة
وعامل الناس بالأنصاف مدرعاً
أغنى البرية أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضد الجماعات
جهل أقام لها في الناس رايات
ولو أتته بحد المشرفيات^(٣)
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناس خرقاً لعادات^(٤)

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهي دودية تنسج من لعابها خيوط في الهواء وعلى رأس
البئر تصيد بها طامها وتبني لنفسها بيتاً يحكمها في الأرض ونرف بالرنيل وهي نوعها منها وهي مؤنثة
وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكب وتجمع العنكبوت على عناكب
وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغاوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفاً الثوب : أي أصلح
خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عادته التي اعتادها ولو كانت
فاسدة وأعقلهم من لا يعبأ بالعادات ، بل يعمل على إزالتها وتغيير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا
وزفت لنا الدستور أحراراً جيشنا
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكراً
ورحنا نشاوى العزيمهتف بعضنا
ولاحت لنا حريرة العيش عندما
أنت عاطلا لا يعرف الحللى جيدها
فجاءت بمطبوع من الحسن قدقضى
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها
ولم نكسها إلا من العرف حجة
نشرنا لها مناً لفيف اشتياقنا
حللنا الحبباً لما أتتنا كرامة

وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفاً^(١)
فأهلاً بما زفت وشكراً لمن زفاً
وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفاً
يبعض هتافاً يصعق الظلم والحيفا^(٢)
أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفاً^(٣)
ولا كحلت عيناً ولا خضبت كفاً^(٤)
على الشعر أن لا يستطيع له وصفاً
ولا غير شنف العدل في أذنها شنفاً^(٥)
وهل يكتسى الديباج من يكتسى العرفاً^(٦)
ونحن أناس نحسن النشر واللفاً^(٧)
وقفنا على الأقدام صفا لها صفاً^(٨)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ما تحب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى ، يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزالت ، السجف : الستر .

(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حللى ، جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو ما يمدق فى الأذن من الحللى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سدها ولحمته حرير .

(٧) اللفيف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر

معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحيا : جمع حبة . وهى ما يحتبى به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقا
رفعتنا لواء النصر يهفو أمامها
فلم ترَ غير الرفق فينا سجية
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

نحمل أعباء الصدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
نحا أن يتم الدست فيها لحزبه
وقد فاتته أنا أولو المعية
وأنا نرى من قد تأبط شره
لنا فطنة ترمي الزمان بنورها
رمانا بشزر اللحظ مزور طرفه
فما نحن بعد اليوم مهما تنوعت
مددنا إلى كف الأضاء أكفنا
فطاب لنا منه العناق وضمنا
أذلا وهذا العز صرح سابعنا
إذا نحن قننا مُحَنِّقِينَ رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أغنت جياتنا

فكنا لها إنفاً وكانت لنا إنفا
ورحنا على صَرف الزمان لها حلقا^(١)
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

فناء به ما لم يخفَ وما خفاً^(٢)
وأظهر من وجه الخداع بها اللطفا^(٣)
علينا وظنَّ الأمرَ فيما نحا يخفى^(٤)
بها نخطف الأسرار من قلبه خطفا^(٥)
بعينٍ تقدُّ الإبط أو تخلع الكتفا^(٦)
فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفا^(٧)
فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرفا^(٨)
عناصرنا من أمة تحمل الخسفا
فصالحه شوقاً فمدَّ لنا الكفا
إليه فقبتناه من عينه أنفا
علينا إذن فالعز أن ندرك الختفا^(٩)
ندك جبال الظلم ننسِفها نسفا
قتالاً ركبنا الموت في حربنا حِرفا^(١٠)

- (١) يهفو : يتحقق . الحلق : الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يفدر به .
(٢) فاء به : أتقله .
(٣) طوى كشحه عنها : أي . أعرض عنها
(٤) الدست : الحيلة والحديسة . ويطلق على ما يكون فيه القلب في الشطرنج .
(٥) أولو المعية : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقد : تشق .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما محته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر الغضبان يؤخر العين . المزور : المنحرف المرص .
(٩) سابقاً : تالفا . الختف : الموت .
(١٠) الطرف : الكريم من الخيل .

تربّع في صدر الوزارة كامل^١ وأنحى عليها بالجفاء مشتتاً
لقد أغضب الدستور فعلاً ونيّةً
قد استوضحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك من صاغ الكلام ملفقاً
ومن قال حقاً قاله عن بديهة
فيأيها « الصدر » الجديد اتعظ به
ويا مجلس النواب سير غير عاثر
ودع عنك مذموم التجافي فإنما
ألم تر أرجاء البلاد محولةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لدمّة
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنس مغبرّ العراق وأهله

فخطّ من النقصان في وجهها حرقاً
نجاحاً بركنيها الركينين ملتفاً
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستعفى
رأى عذره أن لم يُطِل سبكه زيفاً^(١)
تمهل حيناً يكثر الخطّ والخذفا
ويحتاج للتفكير من موه الخلفا^(٢)
فإياك أن تطغى وأن يثنى العطفا^(٣)
إلى المجد لا تلقى كلالاً ولا ضعفا
لغير التجافي اختارك الشعب واستعفى
من العلم فاستمطر لها الديم الوطفاً^(٤)
فحقق لها من طبّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعى الذمام ومن وفى
أماماً وقد خلت تقهرها خلفا
فإنّ البلاء الجمّ من حوله احتفاً

(١) الزيف : المردود غير المقبول . في البيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الايضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطالب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنه . فاستعفى .
(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .
(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجواب . رثى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

فدجلة أمست كالذجيل شحيحة^(١) وإن «الفرات» العذب أمسى مرتقاً
سل «الحلة» الفيحاء عنه فإنها
فياويل قوم في العراق قد انطووا^(٢)
ولم يذكروا مجداً لهم كان ضاربا
وكانوا به شمّ العرايين فاغندوا
يرجون من أهل القبور رجاءهم
فلا أنبتت زرعاً ولا أشبعت ظلماً^(٣)
به الماء يجفو أو به الماء قد جفا^(٤)
حكّت شهداء الطفّ إذ نزلوا الطفا^(٥)
على الدلّ إذ أمست قلوبهم غلفاً^(٦)
رؤاها على هام الكواكب قد أوفى^(٧)
يقاسون أهوالاً به تجدع الأنفا^(٨)
ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدفا^(٩)

أيقاظ الرقود^(*)

إلى كم أنت تهتف بالنشيد^(١) وقد أعيك إيقاظ الرقود^(٢)
فلمست وإن شددت غرا القصيد^(٣) بمجد في نشيدك أو مفيد^(٤)
لأنّ القوم في غي بعيد^(٥)
إذا أيقظم زادوا رقادا^(٦) وإن أنهضتهم قعدوا وثادا^(٧)

(١) الذجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يجتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالحف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .

(٢) مرتقا : مكثرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل ببلاد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يمي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلّف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرايين : جمع عرين ، وهو الأنف ، يقال : فلان أشم الأنف : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص التعرّية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجلاه ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فَسبحانَ الَّذي خَلَقَ العبادا كَأَنَّ القومَ قد خُلِقوا جَماداً
وَهَل يَخْلُو الجَمادَ عَنِ الجُودِ

أَطلَّتْ وَكادَ يَعيِنِي الكَلامَ مَلاماً دونَ وَقعَتِهِ الحِسامِ
فَما اتَّبَعوا وَلا نَفَعَ المَلامَ كَأَنَّ القومَ أَطفالُ نِيامِ
تَهزُّ مِنَ الجَهالةِ فِي مَهودِ

إِليكَ إِليكَ يا بَعدادُ عَنِّي فَإني لستُ مَنكَ وَأَستِ مِنِّي
ولَكنِّي وَإِن كَبُرَ التَّجَنِّي يَعرِزُ عَلَيَّ يا بَعدادُ أَني (١)
أَراكَ عَلَي شَفا هَولَ شَديدِ (٢)

تَتابَعَتِ الخُطوبُ عَلَيكِ نَتَري وَبَدَّلَ مَنكَ حُلُو العِيشِ مَرّاً (٢)
فَهِلاً تُنَجِّينَ فَنِّي أَغراً أَراكَ عَقَمَتِ لَاطِلَينَ حُرّاً (٣)
وَكنتِ لَئِلهِ أَزكى وَلودِ

أَقامَ الجَهِلُ فِيكِ لَه شَهوداً وَسامَكَ بِالهُوانِ لَه السِجودُ (٤)
مَتى تُبَدِّينَ مَنكَ لَه جِجوداً فَهِلاً عُدتِ ذَاكَرَةً عُهوداً
بَينَ رَشَدَتِ أَيامِ الرَشيدِ

زَمانَ نَفوذِ حَكمِكَ مُستَمرُّ زَمانَ سَحابِ فَيضِكَ مُستَدرُّ (٥)
زَمانَ العَلمِ أَنتِ لَه مَقَرُّ زَمانَ بَناهِ عَزِّكَ مُشَمَّخَرُّ (٦)
وَبدرُ عَلاكِ فِي سَعدِ السُعودِ

بَرَحَتِ الأَوجَ مِيلاً لِلحَضِيضِ وَضِقتِ وَكنتِ ذَاتَ عَلِيٍّ عَرِيضِ (٧)
وَقدَ أَصبَحَتِ فِي جِسمِ مَرِيضِ وَكنتِ بِأَوجِهِ لِلعَرِّ بَيضِ
فَصَرتِ بِأَوجِهِ لِلذَلِّ سُودِ

(١) التَّجَنِّي : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (٢) الشفا : طرف كل شيء .
(٣) نَجِّينَ فَنِّي : تلدينه نجيباً . الأغر : الكريم الأفعال الواضحة . وقوله وَكنتِ لَئِلهِ أَزكى
ولود : يشير به لما كانت عليه ينادى أيام عزها في أوائل أيام بني العباس .
(٤) سامك السجود : أجبرك عليه .
(٥) مستدر : كثير هائل .
(٦) مشمخر : مرتفع عال .
(٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالمون وقد هبطنا وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا قطننا يا بنى بغداداً قطناً (١)
إلى كم نحن في عيش التمرود

أم نك قبلنا الأجداد تبني بناء للعلوم بكل فن
ماذا نحن يا أسرى التاني أخذنا بالتقهر والتدني (٢)

وصرنا عاجزين عن الصعود
كان زحل يشاهد ما نديننا لذاك أحر من حنق علينا
فقال موجهاً لوماً إلينا لو أني مثلكم أمسيت هيناً (٣)
إذن لنضوت جباب الوجود (٤)

رَكَدْتُمْ فِي الْجَهَالَةِ وَهِيَ تَعْشِي وَعِشْتُمْ كَالْوَحُوشِ أَحْسَّ عَيْشِ (٥)
أما فيكم فتى للعز يمشي تبارك من أدار بنات نعش (٦)
وصفدكم بأصفاد الركون (٧)

حكيم في توقفكم جدياً فصرتم كالسها شعباً خفياً (٨)
ألا تجرون في مجرى الثريا تؤم بدورها فلكاً قصياً (٩)
فتبرز منه في وضع جديد

* * *

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت

- (١) شحطنا : بعدنا . قطننا : حسينا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير .
(٣) هينا : ذليلاً ضعيفاً .
(٤) نضوت : نزعت .
(٥) ركد الماء : سكن . تعشى : نسيء البصر ويزاداتها تعشى القلب .
(٦) بنات نعش قسبان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثني عشر ، وأصله غير مصر . السها : نجم خفي تمتحن الأبصار برؤيته .
(٩) قصياً : بعيداً .

فلا أحدا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظنمت وجارت
 فبشرها بتمزيق الحدود
 حكومتنا تميل لباحسيها مجانيةً طريق مؤسسيها^(١)
 فلا يغررك لين ملبسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
 وتحسن للنواظر من بعيد
 لقد غص « القصيم » بكل نذل وأمسى من تخاضمهم بشغل^(٢)
 فريقا خطتي غي وجهل كلا الخصمين ليس له بأهل
 ولكن من لتسكيل المرید^(٣)
 إليهم أرسلت بغداداً جنداً إليهلك فيه من عبث ويفدى
 لقصد ابن الرشيد أضع قصداً فلا يابن الرشيد بلغت رُشداً
 ولا بلغ السعود ابن السعود^(٤)
 مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثةً حالهم تبكي الأماكن
 وقد تركوا الحلائل في المساكن جنوداً أرسلت للموت لكن^(٥)
 بفتك الجوع لا فتك الحديد
 قد التفعوا بأسمال بوال مشاةً في الشهور وفي الجبال^(٦)
 يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال^(٧)
 وزبي غير مازي الجنود

- (١) أراد بالباحسين : الذين يمدعونها ويفشونها لمآربهم وملء جيوبهم .
 (٢) القصيم : اسم محل . (٣) المرید . بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .
 (٤) ابن الرشيد وابن السعود : أمير نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة
 على ابن سعود . وتلبية الدولة في أيام السلطان عبدالحميد الخلوع . طلبه بتجهز حملة من عساكرها
 تحت إدارة ابن الرشيد .
 (٥) الحلائل : جمع حلياة . وهي الزوجة والحلياة أيضاً الجارة . ومنه : تقيم معك في دار واحدة .
 (٦) التفعوا : التحفوا . الأسمال : الثياب البالية .
 (٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشوا في منبج جهوده منبجاً يجوبون الفلا فبجاً ففجاً (١)
إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لبي على الشبان تزجى (٢)
على عبث إلى الموت المبيد (٣)
وكل من غداوا للبيت أمّا فودع أهله زوجاً وأمّا (٤)
وضمّ وليده بيدٍ وشما بكى الولد الوحيد عليه لماً
غدا بيكى على الولد الوحيد
تقول له الخليفة وهو ماش رويداً لا برحت أذا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه يادى الرشاش
وكلتكم إلى الربّ الودود
عسا كرفد قضاوا عربياً وجوعاً بحيث الأرض تبتلع الجموعاً (٥)
إلى أن صار أغنام ربوعاً لفرط الجوع مرتضياً قنوعاً
بقدي لو أصاب من الجلود (٦)
هناك قضاوا وما فتحوا بلاداً هناك بأسرهم نعدوا نقاداً
هناك بحيرة عدموا الرشاداً هناك لرؤعهم فقدوا الرشاداً
هناك عروا هناك من البرود
أناديهم ولي شجن منبج وأذكرهم فينبعث النشيج (٧)
ودمع محاجرى بدم مزيج ألا يا هالكين لكم أجيح (٨)
ذكا بحشاي محتدم الوقود (٩)

(١) فجاً ففجاً : أى طريقاً فطريقاً . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبابين .

(٢) تزجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .

(٤) أم : قصد . (٥) قضاوا : ماتوا .

(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنمل الذى لم يجرد من الشعر .

(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه ، من

غير انتخاب .

(٨) أجيح : مشتعل .

(٩) ذكا : الاتهاب

سَكْنَا مِنْ جِهَاتِنَا بِقَاعًا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
فَكَدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعًا وَهَبْنَا أُمَّةً هَلَسَتْ ضِيَاعًا
تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

أَيَا حَرِيَّةَ الصَّخْفِ أَرْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تَطْلُقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَأَمْطُقِينَا
فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوَعُودِ

فَأَنْتِ الرُّوحُ تَشْفِينِ الْجُرُوحَا يُخْرِجُ فَمَقْدِكَ الْبَلَدَ الْفَسِيحَا (١)
وَلَيْسَ لِبِلْدَةٍ لَمْ تَحْوِ رُوحَا وَإِنْ حَوَتْ الْقُصُورَ أَوْ الصُّرُوحَا
حَيَاةً تَسْتَفَادُ لِمُسْتَفِيدِ (٢)

أَقُولُ وَلَيْسَ بَعْضُ الْقَوْلِ جِدًّا لِسُلْطَانٍ تَجِدُّ وَاسْتَبْدَا
تَعْدَى فِي الْأُمُورِ وَمَا اسْتَعْدَا أَلَا يَايْهَا الْمَلِكُ الْمَفْدَى
وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُ فِي الْوُجُودِ

أَنْتُمْ عَنْ أَنْ تَسُوسَ الْمَلِكَ طَرْفَا أَقِمُّ مَا تَشْتَهِي زَمْرًا وَعَزْفَا
أَطْلُ نَكْرَ الرِّعِيَةِ خَلِيٌّ عُرْفَا سَمِ الْبُلْدَانِ مَهْمَا شَدَّتْ، خَسْفَا
وَأَرْسَلُ مِنْ تَشَاءُ إِلَيَّ الْحُودِ

فَدَتِكَ النَّاسَ مِنْ مَلَائِكِ مُطَاعِ أَيْنَ مَا شَدَّتْ مِنْ طَرْقِ ابْتِدَاعِ
وَلَا تَحْسَنَ الْإِلَهَ وَلَا تُرَاعِ فَهَلْ هَذِي الْبِلَادُ سِوَى ضِيَاعِ
مَلَكَتْ أَوْ الْعِبَادُ سِوَى عِيَادِ

تَنْعَمُ فِي قُصُورِكَ غَيْرِ دَارِ أَطَاشَ النَّاسُ أُمَّ هُمْ فِي بَوَارِ (٣)
فَإِنَّكَ لَنْ تَطَالِبَ بِاعْتِدَارِ وَهَبْ أَنْ الْمَالِكِ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءُ «يَلْدِرَ» بِالْمَشِيدِ

(١) يخرج - يضيئ

(٢) حياة - مرفوع بايس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور «بلدة» .

(٣) غير دار - غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الأهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأنى يبلغونَ وذاك إفاكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ (١)
وهوبٌ للبلادِ وللنقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حرِّمنا منذُ حينٍ تلاقيا أفى سفرٍ قد كنتَ أمَ كنتَ لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخلِّ ساعةً فكيف علينا قد أطلتَ التجافيا
ومالى أراكَ اليومَ وحدك جالسا بعيداً عن الخللانِ تأبى التدانيا
أنا بك خطبُ أم عراكَ تعشُّقُ فإنى أرى حزناً بوجهك باديا
وما بالُ عينيكَ اللتين أراهما تديرانَ لحظاً يحملُ الحزنَ وانياً (٢)
وأى جوى قد عدتَ أصفر فاقعاً به بعد أن قد كنتَ أحمر قانيا
تكلمُ فما هذا الوجومُ فإنى عهدتكَ غريداً بشعرك شاديا (٣)
تجلدُ تجلدياً (سليمُ) ولا تكنُ بما ناب من صرْف الزمانِ مباليا
ولا تبتسُّ بالدهر إنَّ خطوبه سحابة صيفٍ لا تدوم ثواتيا

* * *

فقال ولم يملك بوادِر أدمعُ تناثرتَ حتى خلتنَ لاليا
لقد عجزتني يا أحمدُ اليومَ بالأسى وذكرتني ما كنتَ بالأمس ناسيا
أتعجب من حزنى وتعلم أنى قريمُ تباريحُ تُشيب النواصيا (٤)
لقد عشتُ فى الدنيا أسيفاً وليتنى ترحلتَ عنها لا على ولا ليا (٥)

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول .

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريم : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بمشقة ، وهو من الجموع التى لا واحد لها

(٥) أسيفاً : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكياً^(١)

وما رحت أستشفى القلوب مداوياً

وداريت حتى قيل لي متمقاً

وحتى دعاني الحزم أن حلّ عنهم

وربّ أخ أوقرت قلبي بحبه

أراد انقيادي للهوان وما درى

إذا ما سمأى جاداً بالذلّ غيئها

ألا فأبكِ لي يا أحمدُ اليومَ رحمةً

فإنّ أحقّ الناسَ بالرحمة امرؤ

وما كان حظي وهوفي الشعر ضاحكاً

ركبتُ محورَ الشعر رهواً وماجاً

وسيرت سُنّتي في طلاب فنونه

وقلتُ أعصني يا شعرُ في المدح إنني

أرى الناسَ مَوْتِي تستحقّ المراثيا

ولو رضيتُ نفسي بأمرٍ يشينها

وكم قام ينعي حين أنشدت مادحا

وكم بشرتني بالوفاءِ مقالةً

لما نطقت بالشعر إلا أهاجياً

إلى الندى ناعٍ فأنشدت راثياً^(٤)

فلما انتهت للفعل كانت مناعياً^(٥)

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .

(٢) أوقرت : أنفتت .

(٣) الرهو : السير السهل . أفجمت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .

(٤) الناعي : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحا قام الناعي

يعنى إلى الكرم . أى يخبرني بموته ، فأبدلت مدحى بالثناء .

(٥) المناعي : أخبار الموت ، مفردها منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه وكفكفتُ دمعاً فوقَ خَدَّيه جاريًا^(١)
وقلتُ له هونَ عليكِ فإعسا تنوبُ دواهي الدهرِ مَنْ كانَ داهياً^(٢)
وما ضرَّ إنِ أصفيتَ وُدَّكَ معشرا من الناسِ لم يَجْنُوا لكِ الوُدَّ صافياً
كفى مفعراً أنْ قد وفيتَ ولم يفُوا

فكنتَ الفتي الأعلى وكانوا الأدانياً

لعلَّ الذي أشجاك يُعقبُ راحة فقد يشكرُ الإنسانُ ما كانَ شاكياً^(٣)
ألا رَبَّ شرِّهَ جَرَّ خيراً وربَّما يجرُّ تجافينا إلينا التصافياً
فلو أن ماء البحر لم يكِ مالِحاً لرُحنا من الطوفانِ نشكو العوادياً^(٤)
ولولا اختلافُ الجذبِ والدفعِ لم تكنِ نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جوارياً^(٥)
وكيف نرى للكهرباءِ ظواهرًا إذا هي في الإثباتِ لم تلقَ نافيةً^(٦)
تموتُ القوى إن لم تكنِ في تباينِ ويحيينَ ما دام التباينُ باقيةً^(٧)
فلا تعجبينَ من أننا في تناقُرٍ ألم ترَ في الكونِ التناقُرَ سارياً
وهبهم جفوكَ اليومِ بخلا بودهم ألم تتنَّ عنهم أنْ ملكتَ القوافياً^(٨)

(١) الفضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكفت : مسحت .

(٢) تنوب : تصيب . الداهي : العاقل ، وصاحب الرأي الجيد . يقول : إن المصائب لا تصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجاك : أحزنك .

(٤) العوادى : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التي تنشأ غدوة . يقول : إن الشمر ربما جلب خيراً ، فإن ماء البحر مالِح ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التي تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر الملبعة التي فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيراً ، كالاختلاف في الجذب والدفع لمتعاقبين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهرباء : قسمان : راتنجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولا تظهر فواعلتهما إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فسكأنها غير موجودة . في تباينها . أي اختلافها .

(٨) ألم تتن : ألم تستغن .

فَطَرٍ فِي سَمَوَاتِ الْقَرِيضِ مُرَقَرًا
فَأَنْتَ امْرُوءٌ تُعْطَى الْقَوَافِي حَقَّهَا
وَتَأْتِيكَ طَوْعًا إِنْ دَعَوْتَ الْعَوَاصِيَا^(١)

* * *

فَقَالَ وَقَدْ أَتَى عَلَى الصَّدْرِ كَفَّهُ
لَقَدْ جِئْتَنِي بِالْقَوْلِ رَطْبًا وَيَابَسًا
فَأِنِّي وَإِنْ أَبَدَى لِي الْقَوْمَ جَفْوَةً
وَمَا أَنَا عَنْ قَوْمِي غَنِيًّا وَإِنْ أكن
إِذَا نَابَ قَوْمِي حَادِثُ الدَّهْرِ نَابِي
وَمَا يَنْفَعُ الشَّعْرُ الَّذِي أَنَا قَائِلٌ
وَلَسْتُ عَلَى شِعْرِي أَرْوَمُ مَسُوبَةً
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةً
وَلَيْسَ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ شَاعِرًا
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ التَّقَدُّمِ فِي الْعَلَى
وَأَبْلَى جَدِيدَ الْغَىِّ مِنْهُمْ بِرُشْدِهِ
وَسَافِرَ عَنْتِهِمْ رَائِدًا خَصْبَ نَفْعِهِمْ
وَإِنْ أَفْسَدْتَهُمْ خِطَّةً قَامَ مَصْلِحًا

فَشَدَّ بِهَا قَلْبًا مِنْ التَّوْجِدِ هَانِيَا^(٢)
فَدَاوَيْتَ سُمًّا وَهَيَّجْتَ ثَانِيَا
أَمْنِي لِمَنْ مِمَّا أَحَبَّ الْأَمَانِيَا^(٣)
أَضَلُّوا فِي الْعِزِّ الْجِبَالِ الرَّوْمِيَا
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ نَازِحَ الدَّارِ نَائِيَا^(٤)
إِذَا لَمْ أكنَ الْقَوْمِ فِي النِّفْعِ سَاعِيَا
وَلَكِنْ نَصَحَ الْقَوْمَ جُلًّا مَرَامِيَا
تُنَشِّطُ كَسَلَانًا وَتُنْهَضُ ثَاوِيَا
وَلَكِنْ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
وَمَنْ أَيُّ طُرُقٍ يَنْتَغُونَ الْمَعَالِيَا
وَجَدَّدَ رَشْدًا عِنْدَهُمْ كَانَ بَالِيَا
يَسُقُ الطَّوَامِي أَوْ يَجُوبُ الْمَوَامِيَا^(٥)
وَإِنْ لَدَغْتَهُمْ فِتْنَةً قَامَ رَاقِيَا^(٦)

(١) الفأقية الشروء : المائرة في البلاد . (٢) الوجد : الغضب . هانيا : مضطربا .
(٣) أمني : مضارع مناه ، بمعنى جعل له أمانة ، والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من غنى
النبي ، وجمعها الأماني .
(٤) نازح الدار بعيدها .
(٥) رائدا : خالبا . الطوامي : أراد بها البحار . وأصلها : من طام الماء والبحر ، أي امتلأ .
يجوب : يقطع . الموامي : جمع موماة ، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعهم . والراقي : هو الذي يهزأ وينث ، دفعا لأذية اللدغ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعَا
فبارحتُ أرضاً ما ملأت حقائقِي
عَتبتُ على بغدادَ عتبَ مُودِعٍ
أضاعتني الأيام فيها ولو دَرَتُ
لقد أرضعتني كلَّ حَسْفٍ وإِنِّي
وما أنا بالجانِي عليها وإنما
وأعلتُ أقالمي بها عَرَبِيَّة
ولو كنت أدري أنها أعجمِيَّة
ولو شئتُ كآليتُ الذين أنطووا بها
ولكن هي النفس التي قد آبت لها
أبيت عليهم أن أكون بذلةً
على أنني داريتُ ماشاءَ حقدَهم
وأشقى الوري نفساً وأضيعهم نهيً
تركت من الشعر المديح لأهلها
وأنشدته يجو الحقيقة بالنهي

طواحُ جاءت بالخطوب تِباعاً^(١)
سوى حبها عند البراح متاعاً^(٢)
أمضته فيها الحادثات قِراعاً^(٣)
لعرَّ عليها أن أكون مُضاعا
لأشكرها أن لم تُتمَّ رِضاعا
نهضتُ خصاماً دونها ودِفاعا
فلم تبسُد إضعاء لها وسماعا
تخذتُ بها السيف الجرازِ يرَاعا^(٤)
على الحقد صاعاً بالعداءِ فصاعا
طباعَ المعالي أن تسوءَ طباعا
وتأبى الضواري أن تكون ضباعا
فلم يجدِ نفعاً ما أتيتُ وِضاعا
ليبِّبَ بداري في نهاه رِعا^(٥)
ونزَّهت شعري أن يكون قِذا^(٦)
ويكشِف عن وجه الصواب قِنا^(٧)

(*) من الجزء الأول .

(١) طوحتني الطوايح : قذفتني القواذف .

(٢) الحقائق : جمع حقيبة ، وهي خريطة يحملها المسافر للزاد ونحوه ، وهي تصلح أن تعاقب على ماتسميه العامة اليوم : « مشاطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلانا : إذا تضاربا بالسيف .

(٤) الحذف : الدل والهوان . (٥) الجراز : انقطاع .

(٦) النهي : العقل . الرعاع : سقط الناس وسفلتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاعة .

(٧) قِذا : سفاها وشاعة .

وأرسلته عنواً فجاء كما ترى قوافي تجتاب البلاد سِرَاعاً^(١).

* * *

وقفتُ غداةَ البين في الكرخِ وقفةً لها كَرَبَتْ نَفْسِي نَطِيرَ شِعَاعاً^(٢)
أودع أصحابي وهم مُخَدِّقُونَ بِي وَقَدْ ضَعِفَتِ بِالْبَيْنِ المِثْتُ ذِرَاعاً^(٣)
أودعهم في الكرخِ والطَّرْفُ مُرْسِلٌ إِلَى الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ شِعَاعاً^(٤)
وأدعمُ رَأْسِي بِالأَصَابِعِ مُطْرَقاً كَأَنَّ برَأْسِي يَا أُمِّمُ صُدَاعاً^(٥)
وكنْتُ أَظُنُّ البَيْنَ سَهْلاً فَمَدُّ أُنَى شَرَى البَيْنُ مِنِّي مَا أَرَادَ وَبَاعاً
وَإِنِّي جَبَانَ فِي فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَإِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الفِرَاقِ شِجَاعاً
كَأَنِّي وَقَدْ جَدَّ الفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الهَجُومِ سِرَاعاً^(٦)
فَالْتَبَهَ الأرواحَ وَالبَحْرُ مَائِحٌ وَقَدْ أَوْشَكَتِ أَلوَحِبَا تَدَاعَى^(٧)
فَتَحْسَبُنِي مِنْ هِزَّةٍ فِي أَفْدَا تَرَقَّى هِضَابًا زُلْزَلَتْ وَتِلَاعاً^(٨)
فَأَنَا إِلا قَوْمَةٌ وَالْمَحْنَاءُ وَسِرٌّ أذَاعَتَهُ الدَّمُوعُ فِدَاعاً^(٩)
رَعَى اللهُ قَوْمًا بِالرِّصَافَةِ كَلَّمَا تَذَكَّرْتَهُمْ زَادَ الفُؤَادُ نِزَاعاً^(١٠)
أَبَيْتُ وَمَا أَقْوَى المَهْمُومُ بِمُضْجَعِ تَصَارَعَنِي فِيهِ المَهْمُومُ صِرَاعاً
وَأَلْهُو بِذِكْرِهِمْ عَلَى السَّيْرِ كَلَّمَا هَبَطْتُ وَهَادَا أَوْ عَلَوْتُ يَفَاعاً^(١١)

(١) تجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . نظير شعاعا : تتبدد وتتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .

(٣) البين المثلث : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعا وذرعا : أي ضعفت طاقته ، ولم يجد من

مكروهه مخلصا . (٤) شعاعا : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهي تصغير أم ، وحذفت نواؤها لأنها نادى مرخم .

(٦) أشالت : رفعت . (٧) الأرواح : جمع ريح . تداعى : تتساقط .

(٨) الأفدع : الموج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد

الشاعر . المحضاب : أعلى الجبال . التلاع : جمع تلعة ، وهي التلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والأحناء : المرة من القيام والأحناء . أذاعته ؟ أفشته .

(١٠) الرصانة : محلة في بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليعاق : المرتفع من الأرض .

هم القوم أمّا الصبر عنهم فقد عصى
 لقد حكمتوني في الأمور فلم أكن
 فليست أبالي بعد أن جدّ بينهم
 سلامٌ على وادي السلام وإني
 له الله من وادي تكاسل أهله
 رأيهم عبيداً فاستبدّ بمائه
 جرى شاكراً صنّع الطبيعة إنها
 وما أنس لا أنس المياة بدجلة
 ولو أنها تسقى العراق لما رمت
 وما وجدت ريح وإن قد تناوحت
 سأجرى عليها الدمع غير مضجع
 وأذكر هاتيك الرباع بحسبها
 وأما اشتياقي نحوهم فأطاعاً
 لأنطق إلا أمراً ومطاعاً
 زجرت كلاباً أم قحمت سباعاً^(١)
 لأجعل تسليمي عليه وداعاً
 فباتوا عطاشاً حوله وجياعاً
 ولم يجر بين المجدبات مشاعاً^(٢)
 أبانت يداً في جانبيه صناعاً^(٣)
 وإن هي تجرى في العراق صياعاً
 به الشمس إلا في الجنان شعاعاً
 مهيباً به إلا قرى وضياعاً^(٤)
 وأندب قاعاً من هناك فقاعاً
 فنعمت على شحط المزار رباعاً^(٥)

يقولون !

يقولون في الإسلام ظالماً بأنه
 فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت
 وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
 هل العلم في الإسلام إلا فريضة
 يصدّ ذويه عن طريق التقدم
 أوائله في عهدا المتقدم
 فماذا على الإسلام من جهل مسلم
 وهل أمة سادت بغير التعلم^(٦)

- (١) بينهم : بعدهم . فجم المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
 (٢) المجدبات : الأراضي المقحطة . مشاعاً . مشتركاً فيه غير مقسوم .
 (٣) يد صناع : ماهرة في الصنعة ، ورجل صناع اليدين حاذق في الصنعة .
 (٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالاً ومرة جنوباً . مهياً : منصوب على التمييز
 لنسبة التناوح . قرى : مفعول ورجت .
 (٥) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار . شحط : بعد .
 (٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الإسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
 وحلّت له الأيام عند قيامه
 فأشرق نور العلم من حجراته
 ودكّ حصون الجاهلية بالهدى
 وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
 وأطلق أذهان الورى من قيودها
 وفكّ إसार القوم حتى تحفّزوا
 فخلّوا طريقاً للبداوة مجيلاً
 فدوّت بمستنّ العلی نهضاتهم
 وعمّا قليل طبّق الأرض حكمهم
 وقد حاکت الأفكار عند اصطدامها
 ولاحت تباشير الحقائق فأنجحت

بصائر أقوام عن المجد نوم
 حباها وأبدت منظر المتبسم^(١)
 على وجه عصرٍ بالجمالة مظلم^(٢)
 وقوض أطناب الضلال الخيم
 لأهليته مجداً نيس بالتهديم
 فطارت بأفكارٍ على المجد حوم^(٣)
 نهوضاً إلى العلياء من كل مجثم^(٤)
 وساروا بنهج للحضارة معلم^(٥)
 كزعزع ریح أو كتيار عيلم^(٦)
 بأسرع من رفع اليدين إلى الفم^(٧)
 تلالؤ برق العارض المتهمم
 بها عن بنى الدنيا شكوك التوهم^(٨)

== العلم = الاسلام فرض والأمم لانسود . إلا يتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام بما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قول حباها : جمع حبة ، وهي ما يحمي به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت في مجالسها تحمي بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها ليستند ، إذ لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها . وحل الحبا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فعنى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حاث له الأيام حباها ، أى قامت له تعظيماً .

(٢) قوله من حجراته يفتحتين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهي الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دابرات . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفّزوا : أى استوفروا وتهبّثوا للقيام . والمجثم : محن الجشوم أى التصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجهل يفتح الميم : لا يهتدى فيه . ونهج معام : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستنّ العلى : طريقها الواضح . وقوله كزعزع

ريح : أى كريح شديد الميوب ترزعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبّق الأرض : أى غشاها وعميا بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى الفم : أى في مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التي تشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ، ففى الكلام استعارة بالسكنانية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له ما يلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخييلية .

وما ترك الإسلام للمرء مِيزَةً
فليس لثَرٍ نقصه حقَّ مُعْدِمٍ
ولا فخرَ للإنسانِ إلَّا بسعيه
وليس التقى في الدين مقصورةً على
واكذبها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى الفتى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر يا لأولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى المجد سلماً
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إياها
علوْنَا وكنتم سافلين فلم نكن
ولم نترك الحسنى أو أن جدالكُم
فأما استدار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إن صروفها
على مثله ممن لآدم يتنمى
ولا عربى بحسبه فضل أعجم^(١)
ولا فضل إلا بالتقى والتكريم
صلاة مُصل أو على صوم صيم^(٢)
يؤدى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خصت التقوى بترك المحرم
يكون عشاراً في طريق التقدّم^(٣)
فأى ارتقاء بعد أم أى سلم
رؤيداً فقد قارفتُم كل ما تم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدى إليكم جفوة المتبكم
وتلك لعمرى شيمه التحلم
كشفتُم لنا عن منظر متجهم
كأهى إذ أودت بعادٍ وجرهم

(١) لثر : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول في قوله : ولا عربى بحسبه فضل أعجم .
(٢) التقى : جمع تقاء بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من الأفعال التبدية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين . فيكون منهاها سلبياً . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .
(٣) اللام في قوله يا لأولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغناء ، داخله على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

في سبيل الوطن

إلى إخواننا — المسيحيين

أما آن أن تنسى من القوم أضغانُ
أما آن أن يرعى التخاذل جانباً
عَلامَ التعادى لاختلاف ديانةٍ
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا
إذا جمعنا وحدةً وطنيةً
إذا القومُ عنهم أمورٌ ثلاثة
فأئى اعتقاد مانع من أخوة
ككتابان لم ينزلها الله ربنا
فن قام باسم الدين يدعو مفرقاً
أنشقى بأمر الدين وهو سعادة
ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
فهاموا بتبهاء الأباطيل كالذى

فبينى على أسِّ المؤاخاة بُنيانُ
فتكسبَ عزاً بالتناصر أوطانُ
وإن التعادى فى الديانة عدوانُ
فتعمَّرَ بلدان وتأمِن قُطانُ
فإذا علينا أن تعدد أديان
لسان وأوطان وبالله إيمان
بها قال إنجيلٌ كما قال قرآن
على رسده إلا يسعد إنسان
فدعواه فى أصل الديانة بهتانُ
إذن فاتَّبِع الدين يا قوم حُسرانُ
إلى كل قول لم يؤيده برهان (١)
تخبَّطه من شدة المسّ شيطان (٢)

* * *

مواطنكم يا قوم أم كريمة
ففى حضنها مهد لكم ومبأة
تدرّ لكم منها مدى العمر ألبان (٣)
وفى قلبها عطف عليكم وتحنان (٤)

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تبهاة : أى مضلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتبهاة الأباطيل ، بيانية أى بتبهاة من الأباطيل ، أو هى الأباطيل .

(٣) تدرّ لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف معاق بتندر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيا للعبي ويوطأ . والمبأة : المنزل .



فإياكم لا تحسنون وواجباً
أصبراً وقد أمسى العدو يهينها
أجل إنكم تأبى الحياة نفوسكم
ألستم من القوم الذين علاؤهم
تمتكم إلى المجد المؤثّل تغلب
فلا تنكرا عهد الإخاء وقد أتت
أجب أيها الندب المسيحي مساهماً
فلا تحرما الأوطان أن تتحالفا
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما
وقولا لمن قد لام صه ويك إننا

على الابن للآمة الكريمة إحسان^(١)
أما فيكم شهم على الأم غيران
إذا لم يكن فيها على المجد عنوان
تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان^(٢)
كما قد تمتكم للمكارم غسان^(٣)
تصافحكم فيه نزار وعدنان
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
يداً بيد حتى تؤكّد أيمان^(٤)
لصاحبه في المأزق الضنك معوان^(٥)
على كل حال في المواطن إخوان

* * *

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مأسد لم يطرق ذراهن سرحان^(٦)

- (١) قوله وواجب : الواجالية ، وواجب مبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ،
أوشمله في الحار والمجرور بعده - وإحسان : خبره .
(٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .
(٣) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .
(٤) قوله يدا بيد : حال ، أي متقابضين ، بوضع يدا في يدا .
(٥) المأزق ، كجلب : موضع الحرب . والضنك : الضيق .
(٦) مأسد : جمع مأسدة ، وهي المكان الذي تكثرفيه الأسود . والذرا ، بفتح الذال : فناء
الدار ونواحيها - والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإِنَّا إِذَا مَا الشَّرَّ أَبَدَى نِيوبَةً رَدَدْنَاهُ عَنَا بِالظُّبَى وَهُوَ خَزْيَانٌ^(١)
سَنَسْتَصْرِخُ الْأَسَادَ مِنْ كُلِّ مَرَبِضٍ

فَتَمْشِي إِلَى الْهَيْجَاءِ شَيْبٌ وَشَبَّانٌ^(٢)
أَسْوَدٌ وَغَى تَأْبَى الْحَيَاةَ ذَمِيمَةً وَتَلْبَسُ بِالْعَزِّ الرَّدَى وَهُوَ أَكْفَانٌ
مَقَاهِمَ تَصَلِّي الْمَعْمَانَ مُشِيحَةً

إِذَا احْتَدَمْتُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ نِيرَانٌ^(٣)
وَتَكْسُو الْعَرَاءَ الرَّحْبَ مَسْحَ عَجَاجَةٍ

يُمِجُّ بِهَا السِّيفُ الرَّدَى وَهُوَ عُرْيَانٌ^(٤)
سَنَنْهَضُ لِلْمَجْدِ الْخَالِدِ نَهْضَةً يَقْرُّ بِهَا حَوْرَانٌ عَيْنَا وَلُبْنَانٌ
وَتَعْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ دِمَشْقَهَا وَتَهْتَزُّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِينَ بَغْدَانٌ
وَتَطْرَبُ فِي الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ صَخْرَةَ وَتَرْتَاحُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَمِ أَرْكَانٌ
وَتَحْسُنُ لِلْعُرَبِ الْكِرَامِ عَوَاقِبَ فَيَحْمَدُهَا مُقْتٌ وَيَشْكُرُ مُطْرَانٌ
وَلَوْ أَنْصَفْتَنَا سَاسَةَ الْعَرَبِ لَأَغْتَدَّتْ

دِمَشْقٌ لَهَا مِنْ سَاسَةِ الْعَرَبِ أَعْوَانٌ
وَرَقَّتْ قُلُوبٌ لِلْعِرَاقِ وَأَهْلُهُ وَأَصْبَغَتْ إِلَى شَكْوَى فِلَسْطِينَ آذَانٌ
وَلَكِنَّهُمْ رَانَتْ عَلَيْهِمْ مَطَامِعُ فَأَمَسُوا وَهُمْ صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ عُجْمِيَانٌ^(٥)
لَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْعَرَبَ ذُو مَدَنِيَّةٍ فَقُلْتُ وَهَلْ مَعِيَ التَّمَدُّنُ عَدْوَانٌ

(١) أبدى نيوبه : أى اشتد وتغافم . والنيوت : جمع الب .
(٢) سنستصرخ الأساد : سنستصرها ونستنهضها مستغيثين بها . والمربض : محل ربوض الأسد .
(٣) مقاهيم : جمع مقحام ، وهو الذى يخوض نجمة الشدائد ، أى معظها ، والمراد بالمعمان :
معمان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المعمان : تدخل فيه ، وتقاسى حره . ومشيحة : جادة
مانمة لا وراء ظهرها . واحتدمت : اضطرت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : القضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ،
أى مسحا من عجاجة .
(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأى فخار كائن في تمدنٍ إذا لم يقم في الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعرفان

• • •

بنفسى أفدى في العراق منابتاً يفوح بها شيخٌ ويعبق حوذان^(١)
رياض رعتها النابتات بأذؤب من الجور فارتاعت ظباءً وغزلان^(٢)
لقد كان فيها الرند والبان زاهياً فأصبح لا رندٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كل منهل عليه من الترنيق بالظلم تُعبان^(٣)
وظل ابنها عن كل حوض محلاً يحوم على سأساله وهو عطشان^(٤)
سأبكي عليها كلما هبت الصبا قالت بها من حول دجلة أغصان
ومن ذرفت آماقه الدمع لؤلؤاً ذرفت عليها أدمعى وهى مرجان^(٥)

بين تونس و بغداد

أنشدت في حفاه التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي :
الأستاذ الكبير عبد العزيز الشعالبي ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٦٥ .

أتونس إن في بغداد قوماً ترِف قلوبهم لك بالوداد^(٦)
ويجمعهم وإياك انتسابٌ إلى من خص منطقتهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلاً نواضع آيه سبيل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قرُبى وإن قضت السياسة بالبعاد

- (١) الشيخ : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .
(٢) قوله « رعتها النابتات » من الرعاية : أى وليت أمرها وسانستها بأذؤب .
(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .
(٤) محلاً : أى مطرودا بمنوعا عن ورود الماء .
(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البت : من بكى عليها دمعا بكبت عليها دمعا .
(٦) ترف قلوبهم رفيقا : تحفق وتضرب حبا .

وما ضَرَّ البِعَادَ إِذَا تَدَانَتْ أَوْ اَصْرُ مِنْ لِسَانٍ وَاعْتِقَادَ
وَإِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّأَخِّي وَإِنْ أَغْرَى الْأَجَانِبَ بِالتَّعَادَى

• • •

أَتُونِسَ إِنْ مَجْدِكَ ذُو انْتِهَاءِ إِلَى عَلِيٍّ نِزَارٍ أَوْ إِيَادٍ^(١)
لَنَا بِشَعَالِيكَ خَيْرٌ مُلْقٍ عَلَى أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحَادٍ
وَأَكْبَرُ حَامِلٌ بِيَدِ اعْتِرَافٍ حُبِّ بِلَادِهِ عِلْمَ اتِّفَادٍ
وَأَسْمَى مِنْ سَمَا أَدْبَا وَعِلْمًا وَأَفْصَحُ مِنْ تَكَلُّمٍ عَنْ سِدَادٍ
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبَ وَقَائِلِيهِ وَسَلَّ عَنْهُ الْمُنَابِرَ وَالتَّوَادَى^(٢)
تَجِدُهُ خَطِيئَهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ وَمِدْرَهَهَا لَدَى كُلِّ احْتِشَادٍ^(٣)
فَتَى صَرُحْتَ عِزَّامَهُ وَجَلَّتْ عَنْ الرَّوْعَانَ فِي طَلَبِ الْمِرَادِ
تَعَرَّبَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرَطَ الْقِتَادَ^(٤)
فَأَوْغَلَ فِي الْمَغَاوِزِ وَالْمَوَاحِي وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالتَّبَوَادَى^(٥)
وَكَانَ طَوَافَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا لَغَيْرِ تَكْسِبِ وَسِوَى ارْتِفَادٍ^(٦)
وَلَكِنْ سَاحَ لِاسْتِنْهَاضِ قَوْمٍ حَاكَمُوا بِمَجْمُودِهِمْ صِفَةَ الْجُمَادِ^(٧)
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَرَاهَا مَهْدَدَةَ الْمَصَالِحِ بِالْفُسَادِ

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادي : جمع النادي ، وهو المكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) الدرر : الحماى المدافع عن القوم .

(٤) خرط القتاد : قطع ورقة باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد :

نبت ترعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خرط ورقة لكثرة شوكة وقوته .

(٥) أوغل في الشيء ، أبعده فيه وأمعن . والمغاوز : جمع مغازة ، وهى الصحراء المهلكة

والدواى : جمع موماة ، وهى الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرشد ، وهو العطاء . يريد أنه لا يبقى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاد القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فَتَى سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ^(١) يَهْرُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ^(١)
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيبًا^(٢) بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي^(٢)
تُنِيرُ بِكِبْرِيَاءِ الْمَعَانِي^(٣) أُمُورًا كَنَّ كَالظَّلْمِ الدَّاءِي^(٣)
تَحَلَّ مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا^(٤) مَحَلَّ الْحَبِّ مِنْ شَفَفِ الْفَوَادِ^(٤)
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةً نَمَاهَا^(٥) أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ التَّلَادِ^(٥)
فَكَانَ نَزُولُهُ فِي سَاكِنِيهَا^(٦) نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمَهْجِ الصَّوَادِي^(٦)
فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمِّ عَزِيزًا^(٧) بِحَيْثُ الْأَرْضُ طَيِّبَةٌ الْمَرَادِ^(٧)
يَحْيِيكَ الْعِرَاقَ بِرَافِدِيهِ^(٨) تَحِيَّةً مَخْلَصَ لَكَ فِي الْوِدَادِ^(٨)

في حفلة شوقي

أُمَارَسَ دَهْرًا مِنْ جَدِيدِي دَاهِرًا^(٦) وَمَا زَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِينَ سَاهِرًا^(٦)
أَبِي الْحَقِّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ^(٧) عَلِي الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرًا^(٧)
وَأَنْ أُمْتَدَى فِي جِدَالِ خُصُومِهِ^(٨) وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا^(٨)
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَقَّ كَالطَّيِّبِ سَاطِعًا^(٩) وَكَالرِّيحِ هَبَابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرَا^(٩)
سَتَبِقِي لِنَفْسِي فِي هَوَاهِ سَرِيرَةٍ^(١٠) إِذَا الدَّهْرُ أَبْلَى مِنْ بَنِيهِ السَّرَائِرَا^(١٠)

- (١) هدير : أي صوت شديد كصوت الفحل الهاج ، والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محكمة المقاصد ؛ أي بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .
(٣) الدءاى : جمع دأدا بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهي آخر ليلة في الشهر . وأصله الدءاى بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شفف الفؤاد وشغافه : هي الجلدة الرقيقة التي تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتلبد والتلد : الشيء الموروث من مال وشرف ونحوها . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته في الدفاع عن الحق ، وحبه لجدال خصومه ومنكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير في لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائراً
ومن أجل مقتى للمخائث أنكرتُ يدي أن تُحلى في الجنان أساوراً
وما العجز إلا أن أكون مكاتماً إذا ما تقاضتني العلى أن أجاهراً^(١)
وما أنا ممن يُبهمُ القولَ لاحقاً فيضمُر فيه للجلس الضمائراً
ولولا طموحى فى الحياة إلى العلى
سَكَنْتُ انبواى واجتنبت الخواصراً

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضةً تفتقى أذهانا وتجلو بصائراً
وإن بها للعلم قدراً وحرمةً وإن بها للحقّ عوناً وناصراً
وإن لأهل العلم فيها نوادياً وإن لأهل الفضل فيها دساكراً^(٢)
ألم ترَ أن القوم فى كلِّ محفلٍ بها رفعوا للقائلين المنايرا
وقد ضربوا وعداً لتكريم شاعر تملك صيتنا فى الأقاليم طائراً
هو الشاعر الفحل الذى راح شعره
بإنشاده فى السبر وانبهر سائراً
فلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حفلةم
تَشُدُّ به مِنَّا لمصرَ الأواصراً

قلتُ أجَلٌ والشعر ليس بمعجزى ولن تعدموا منى على الشعر قادراً
ألا إن شوقى شاعرٍ جدِّ شاعرٍ يفوق الأوالى بل يَبزُّ الأواخراً^(٣)
تملك حرَّ الشعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء آمراً^(٤)

(١) تقاضتني : طالبتني . يقال : تقاضيه الدين : طالته بأدائه .
(٢) الدساكر : جمع دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعناء وأهل الفضل مندوبات وجمام مجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وهم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصة من العيوب ، وفي الرقيق توريقية .

إذا رام جزلاً منه أنشد زاخرا
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم
بني لهم مجدا رفيعا بشعره
وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا^(١)
إذا عقدوا منهم عليه الخناصر
لذا جعلوا حسن الثناء وكأثرا^(٢)

* * *

ولكنني قد أنظرُ الحفلة التي
إذا احتفلت مصرٌ بشوقٍ فما لها
فقد أسمعتنا ضجةً أمطرت بها
فما بال هذا عددٌ في مصر مارقا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة
أيرقع قدرُ العلم ينطق ناظما
ويُختص بالتبجيل من جاء مُنشدا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائل
كما أن هذا العلم ليس بنافع
وتكريم ربِّ الشعر ليس بمفخر
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا
تقام له ذا اليوم في مصر ساخرا
تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
عليا وطه حاصبا مُتطائرا^(٣)
وما بال هذا عددٌ في مصر كافرا
فليس لمصر أن تكرم شاعرا
ويوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا
ويُقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
لمن كان عن حرّية الفكر جائرا
له السبق في تكريم من كان شاعرا

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الوكائر : جمع وكبرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنیان الوكر ، أو عند شرائه فيدعوا إليه ، استعاره الشاعر هنا حفلة التكريم .

(٣) علي : هو حضرة الحبيب النسيب والوزير الكبير الأستاذ علي عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحسب ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة قواد الأولى ، ومن تأليفه التي أحدثت دويا شديدا في العالم العربي كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وله كتب أخرى كثيرة في الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ في توجيه أدياء هذا الجيل .

الامة العربية

ماضيها وبقاياها

هَمَّ الرجال مَقِيَسُهُ بزَمَانِهَا (١)
وَأَسَاسُ عَمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ
وتعاون الأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلِ
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ وَإِنَّمَا
هَذِي لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِيُ
وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا
فَالجِدُّ مَأْتُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ
طَبِيعَتُ عَلَى حَبِّ الْعَلَاءِ فَسَعِيهَا
تَهَيَّضَتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ نَهَضَتِهَا الَّتِي
حَسَدَتْ عَوَاقِبَ أَمْرَهَا حَتَّى لَقَدْ
فَهِمُّ الْأَلِيِّ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَشَرُّوا
وَهُمُ الْأَلِيُّ خَضَعَتْ لَهُمْ أُمُّ الْوَرَى
مِنْ تَرْكِيهَا طُرًّا إِلَى أَسْبَابِهَا

(١) معنى هذا البيت والأبيات الثلاثة التي بعده : أن سعادة الأوطان بعمرائها ، وأن عمرانها يتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .
(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حكمتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الأبيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : النداب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها
يا أمة عاش البرية أعصراً في عدلها رغداً وفي إحسانها
ثم انقضت تلك العصور فجاءها زمن به انقادت إلى عبدها
ففضت ملابس عزها وثاقلات في النل راسفةً بقيد هوانها (١)

في إيلياء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئةً وليست بغير دم الأنام تريد ربياً
ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهله خنجرياً (٢)
ودل على قلبها انقلاب لجرم الأرض حين غدا كريباً (٣)
وأصلدت الحقيقة في الليالي فلما بقتدح زندا وريباً (٤)
نقضت يدي من أبناء دهر أهانوا الشهم واحترموا الزريباً (٥)
وقل حيأوهم حتى رأينا ظنين القوم يتهم البرياً (٦)
وساد الجاهلون فلست أدري أعزى العلم أم أبكى الدرياً
لهم عين تراعى الشر يقظي وقلب ظل في عمه كريباً
تقلدت السيوف رعاة معز وكانت قبل تحمل الهريباً (٧)
فجرد منهم الرعيد عصباً وهز أخو الجبانة سمهريباً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشى المقيد .

(٢) خنجرياً : مشبها للخنجر .

(٣) جرم الأرض : جسمها . والكرى والكروى : السندير المشبه للكرة .

(٤) أصلد : لم يور .

(٥) الزرى : ذو العيوب المحتقر .

(٦) الظنين : المتهم الذي لا يوثق به .

(٧) الهربا : العصي ، وهو جمع هرواة على غير قياس ، وهي العصا الغليظة .

(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعيد : الجبان المستطار الفؤاد . والعصب : السيف

القاطم . والسمهري : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرِبَ تَجَسَّ نلأعادي فأصبحَ من تجسسه تَرِيًّا
 وساعِرَ كانَ يسرَحُ بنواشي فأعطى من سعايته شَرِيًّا
 وإنَّ لسة الدنيا لتلبا قسيًّا في السيادة مرَمِيًّا
 قد اتخذوا الحسام لهم لسانا فقالوا البطلانَ واختلقوا الفَرِيًّا
 وكيف تُلسنُ مملكةَ بدل إذا ما الحكمُ أصبحَ عكْرِيًّا

• • •

ألا ما بالُ دمي ليس يرقًا كأن يمتلئ عرقًا صَرِيًّا
 إذا ذُكرَ العراقُ بكيتَ شَجوا بدمعِ طمَّ سائله الصَرِيًّا
 ولما سِرْتُ في جبلٍ وسهلٍ وكابدتُ السمامَ والعَرِيًّا
 نزلتُ بإيليا على كرامٍ وَخيمَ العيشِ عادَ بهم مَرِيًّا
 فكذتُ بقربهم أنسى بلادى وأسلو العطفَ نَمَّةً والفرِيًّا
 ولم أرَ كالنشابِيّ نَدبًا إلى السلياء مبتدِرًا جَرِيًّا
 فتى سعت المفاخرُ وهي عطشى إلى آدابه فأصبَنَ رِيًّا
 تجددَ في العلاء فكان يدعًا ففأش بمصره رجلًا طَرِيًّا
 وأحرز في الوري شَرَفًا رَفِيًّا وضيئنا في الملى إسكندريا
 ولم أرَ سيلاً كَأبي سَرِيٍّ ولا مثلَ ابنه ولدا سَرِيًّا
 هما متشابهان فمبقرى من الآباء أنجب عبقرى
 أبٌ في المجد أروعُ أحوزِيٍّ نَمَى للمجد أروعَ أحوزِيًّا^(١)
 إلى الشهم السكاكينيُّ أهدي ثناء لا يزال به حَرِيًّا
 فتى غرس المكارمَ ثم منها جنى ثمر العلى غصًا طَرِيًّا
 يعافُ معاشه إلا شريفًا ويأبى المجدَ إلا جوهرِيًّا

(١) الأحوزى : الجاد في أمره ، والمسن السيادة للأور . قالت عائشة في عمر : كان واقف أحوزياً ليسج وحده . وروى بالمثل أيضا ، وهو قريب من الأحوزى ، وهو السائق الخفيف .

تجاه الرياحاني

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ به الآناف يفغمهن طيبٌ
ويحسن فى المسامع منه صوت له تهتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا بريحاناينا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبه فأضحى له فى كل مكرمة نصيب
نجالس منه ذا خلق كريم له بجلسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيه فواقا لاغتنى وهو الأريب^(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لما تمرّ عليه ناسمة تطيب
ولم ينسب إلى الريحان إلا وريحان الرياض له نسيب
له قلمٌ به تحيا المعانى كما يحيا من المطر الجديب
وتشرق فى مماء الشعر منه كواكب ليس يدركها مغيب
لقد طارت بشهرته شمالٌ كما طارت بشهرته جنوب
وطبق صيته الآفاق حتى تعرفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيح فإن عندى شكاة لا تُصيح لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ ببلدة ملئتُ حقودا على فكل ما فيها مريب
أمرٌ فتنظر الأبصار شزرا إلى كأنما قد مرّ ذيب
وكم من أوجه تُبدي ابتساما وفى طي ابتسامتها قطوب
سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشه الغرباء فيه لأنى اليوم فى وطنى غريب

(١) فواقا : أى قدر فواق ، وهو مدة ما بين الحلتين .

وما هذا وإن آذى بدائي
ولكنني أرى أبناء قومي
يُقدِّم فيهم الشرير دَفْعاً
فهذا الداء منتشِبٌ بقلبي
فكيف شفاؤه ومتى يُرجى
وإنك قد شكوت فما شكاتني
سأنصِبُ للهواجر حرَّ وجهي
وأضرب في البلاد بغير مُكث
إلى أن أستظل بظل قوم
وإلا فالحياء أمرٌ شيء

ولا هو أمره أمر عصيب
يدبر أمرهم من لا يُصيب
لشِرتِه ويُختَقِر الأديب
وفي قلب العُلى منه وجيب
وإن دواؤه ومن الطيب
إلى ذى خَلَّةٍ شيء معيب
يعود إلى الشروق به الغروب
أجوب من المهامه ما أجوب
حياة الحر عندهم تطيب
وخير من مرارتها شعوب

بني الأرض (*)

بني الأرض هل من سامع فيته
جباننا على حب الحياة وإيها
سعى الناس والأقدار تجبوة لهم
جرت سفن الأيام مشحونة بنا

حدث بصيرٍ بالحقيقة عالم^(١)
مخيفة أحلام أظافت بحالم^(٢)
وناموا وما ليل الخطوب بناهم^(٣)
على بحر عيش بالردى متلاطم^(٤)

تأملت في الأحياء طرّاً فلم أجد
وربَّ سعيدٍ واحدٍ تمَّ سعده

بهم باسمًا إلا على ألف واجم^(٥)
بألف شقيٍّ في المعيشة راغم^(٦)

(*) من الجزء الأول .
(١) الأحلام ، جمع حلم بضم الحاء ، وهو ما يراه النايم .
(٢) الخطوب : جمع خطاب ، وهو الأمر صغير أو عظيم .
(٣) الردى : الهلاك .
(٤) الواجم : الساكن غيظاً وغماً .
(٥) الراجم : الكاره .

وما المرء إلا دَوْحَةٌ في نَنُوقَةٍ مَلُوحَةٌ أَغصَانُهَا بِالسَّامِ (١)
لَهَا وَرَقٌ قَدْ جَفَّ إِلَّا أَقْلَهُ وَعِيدَانُهَا بَيْنَ النَّيُوبِ الْعَوَاجِمِ (٢)
وَلَا يَدَّ أَنْ تُجْتَثَّ يَوْمًا جُذُورُهَا وَتَقَعَّيْهَا إِحْدَى الرِّيحِ الْمَوَاجِمِ (٣)

أرى العُمرَ مَهْمَا أزدَادَ يَزْدَادُ نَقَصُهُ إِذْنُ نَحْنُ فِي نَقْصٍ مِنَ الْعُمُرِ دَائِمٍ
وَلَوْلَا أَنهْدَأْتُمْ فِي بِنَاءِ جِسْمِنَا لِمَا أَحْتِيجُ فِي تَعْمِيرِهَا لِلطَّاعِمِ
لَحَى اللَّهُ بِأَسَاءَةِ الْحَيَاةِ كَأَنَّا نَكْبَلُ مِنْ حَاجَاتِهَا بِالْأَدَائِمِ (٤)
نُروحُ كَمَا نَعْدُو نَجَاهِدُ دُونَهَا أُمُورًا دَعَتْنَا لِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَخْجِرًا وَفِي عَدَمِي لِاخْتِرْتِهِ غَيْرُ نَادِمٍ (٥)
هَلِ الْمَوْتُ إِلَّا سَالِكٌ وَحَيَاتُنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ مُسْتَبِينِ الْمَعَالِمِ (٦)
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ غَضِبَانَ أَخَذًا عَلَى النَّاسِ مِنْ سَيْفِ الْمُنُونِ بَقَائِمٍ (٧)
تَبَصَّرَ تَجِدُ هَذِي الْبَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرِ الْيَتَامَى عَامرًا بِالْمَاتِمِ (٨)
وَالَيْسَ الَّذِي آسَى لَهُ فَقَدْ هَالَكَ وَلَكِنْ ضِيَاعُ الْمَفْجَعَاتِ الْكِرَامِ (٩)
أَرَامِلٌ تَسْتَدْرِي الدَّمُوعَ وَحَوْلَهَا يَتَامَى كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَالْحَمَامِ (١٠)

- (١) الدوحة : الشجرة العظيمة . الننوقة : الثنوفة : المفازة والغلاة لأماء فيها ولأنيس .
(٢) النيوب : جمع ناب ، وهي السن التي خلف الرابعة . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم الماء كقول .
(٣) تجتث : تقطع . جذورها : أصولها . المواجم : جمع هاجمة .
(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل الاحى بمعنى الشتم والسب مجازاً كما هنا .
نكبل : تقيد . الأدائم : القيود .
(٥) اخترته : أى اخترت العلم .
(٦) مستبين العالم : واضح الطرق .
(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : منبسطه .
(٨) الماتم جمع ماتم : وهو كل مجتمع من رجال أو نساء ، في حزن أو فرح ؛ ثم قصر على مجتمع النساء في المصائب .
(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أوجعته المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكاً قد فقدته ؛ ولكنى أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .
(١٠) تستدري : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهي طائر في حجم الحمامة . الحمام : جمع حمامة .

وكائنٌ ترَى مخدمته في جلالها

سعتُ حيث أبكاها الردى سعى خادم^(١)

فليت المنايا حين قوضن بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم^(٢)

• • •

أرى الخيرَ في الأحياء ومُضَّ سحابة

بدا خلباً والشرُّ ضرباً لازم^(٣)

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألفَ هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الحق إلا صدّه ألف ظالم

جهلت كجهل الناس حكمة خالقٍ على الخلق طراً بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أنتى قد علمته حكيماً تعالى عن ركوب المظالم

• • •

دأبتُ لنفسي في الحياة كأنى من العيش ملقياً في شدوق الضراغم^(٤)

يخاصمني منها على غير طائلٍ أناس فابدى الصقح غير مخاصم^(٥)

وأقع بالقوت الزهيد لطيبه حذارٍ وقوعى في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهى النفس نيبه لما تشتهيه قلةٌ في دراهمى

وكم لى في بغدادٍ من ذى عداوةٍ وما أنا في شيءٍ عليه مجارم^(٦)

إذا جئت بالقلب السليم يجيئنى بقلب له من كثرة الحقد وارم

(١) كائن : بمعنى كم لتكثير .

(٢) قوضن : هدمن .

(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الحباب : هو الحداع الذى لامطر فيه .

(٤) شدوق جمع شدى : وهو قطعة اللحم من باطن الحدين . الضراغم : الأسود .

(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولافائدة .

(٦) جارم : مذنب .

الحمد للمعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بيتٌ آختمت الكرى
تطى على الآكام منه بضييب
وكاد دُجَاهُ يَمَكُنُ الكَفَّ لَمَسُهُ
لقد بَسَّهْهُ وَالْمَهْمُ مُعْتَلِجٌ بِهِ
يَقْلِبُنِي فِيهِ الْجَوَى وَتَهَزُّوْنِي
أرى الزُّهْرُ فِيهِ يَضْطَرُّ بِنِ كَخَابِطٍ
كَأَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ عَضَبِي عَلَى الدُّجَى
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي الصَّبْحُ يَحْكِي عَمُودَهُ
فَتَى كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُبْرَتْ فَضْلَهُ
لَهُ خَلْقٌ بَادٍ إِبَاءً وَنُحُودٌ
تَرَى مِنْهُ إِنْ لَا يَنْتَهُ ذَا دَمَائِهِ
لَقَدْ عَلِمْتُ هَذِي الْمَدَارِسُ فَضْلَهُ
تَقَضَّتْ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُونَ حِجَّةً
وَجَهَّزَ بِالْآدَابِ أَبْنَاءَ قَطْرِهِ
بِذَلِكَ أَحْيَا لِلْأَعْرَابِ لَهْجَةً
إِذَا اسْتَبَهَمْتُ طُرُقَ الْفَصَاحَةِ مَارَهَا

بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا تَهَرَّرَا
لَنَا الْيَوْمَ جَيْشٌ مِنْ تِلَامِيذِ عَالِمِهِ
بِهِ الْجَهْلُ وَلِيَّ مَدْبِرًا وَتَقَهَّرَا
هُمْ الْجَيْشُ سَدُّوا ثَغْرَ كُلِّ جِهَالَةٍ
إِذِ اتَّخَذُوا فِي كُلِّ ثَغْرٍ مَعْسَكَرَا

له الفضل في تعاليمهم أفصح اللفظاً
فكل فتى منهم أديبٌ تقيمه
لك ابن زريق منة سرمدية
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة
وغير القوافي والكلام الحبراً
ليفتي درساً أو ليقرع منبراً
سيد كرها في دهره من تذكرة
من الناس أثنينا عليك تشكراً
كفى بانسكا كفى في القدس شاهداً

بما لك من فضل عميم على ابوري
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذي
غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكراً

عرس مصر

قالها في مصر عرس لسكرة الحديو عند اقترانها بابن الدمام
فريد باشا : وكان ذلك في أثناء حرب البلقان المعلومة .

أطربتهم بالحنها الأتعام
فأقاموا مجالس الأناج حتى
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً
إن في مصر السكرية عرساً
أوقدوا فيه للسرور سراجاً
ذلك عرس تكسر الأؤم فيه
وتعنت فقوم فيه قبان
فبلغن الخليم فيه بكاه
حين أدمت قلوبنا الآلام
رقص العار بينهم والذام
قد بكت في خلاله الأحلام
سوف تُعسني بشرحه الأقالم
عم من نوره البلاد ظلام
عن نيوب كأنهن سهم
أنكر العهد صوتها والذمام
ولنخر السفيه فيه ابتسام

* * *

أيها المولمون في مصر مهلاً
أتعنيكم القيان بيوم
ليست هذه البلاد حداداً
وجرت أعين القرات دموعاً
إن إيلاكم انفا إيلام
قام في ماتم به الإسلام
وتحات بوشيا الأهرام
وجرى النيل ثغره بسام

أشمتنا بالمسلمين وقد دا رت عليهم بنحسبها الأيام
إذ رمتهم يد الزمان بخطب جال ما لنقضه إبرام
فهيوت مصارع الحكم منهم جثت تملأ الفضاء وهام
وتحلوا عن البلاد وأبقوا حرّمت تدوسها الأقدام

* * *

يا بني مصر صغية لسؤال فيه عتب لكم وفيه ملام
أناط الفتوح في خنصر الكف ازديانا إن قطت الإبهام
أدماء القتلى لديكم خضاب أم أين الجرحى لكم أنعام
أم تريدون أن تكونوا كقوم أسكرتهم بين القبور مدام
أم أصنختم إلى الأغاريد كي لا تسمعوا كيف تنحب الأيتام
لست أدري وقد سمعت بهذا يقظة ما سمعته أم منام

من مضحكات الدهر

سأبدى لدهرى ناجد المتضحك ولو كان يجرى بالذى هو مهلكي
فما أناراج بعد ذا اليوم خيرهُ ولا خائف من شره المتحرك
إذا الدهر لم يعتب من الناس جازعا فأضيع ما فيه شكاية مُشتك^(١)
على أن ضحكى منه لا عن سفاهة ولكن كضحك العف من متهتك
ولو سبر الناس الحوادث بالنهى لما حصلوا منها على غير مُضحك
وما حادثات الدهر إلا خوابُ كعشواء تمشي مشية المترهوك^(٢)
وتنهض للإقبال في غير مهبض وتبرك أحيانا على غير مبرك

(١) لم يعتب : مضى أن أعيبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فأنصرة فيه للسلب في أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : الذنوب التى لانصر أمامها . فهى تحبظ بديها كل شيء ؛ إذا مشيت لا تتوقى شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذى تراه كأنه يوج فى مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلا تحكماً
 كأننا من الدنيا بيت تقامر
 فمن قامر قد فاز باليسر قدحهُ
 وما الحرف الآتى يُجيد احترافها
 وإن طيب القوم ناصب كفة
 ومن مصحكات الدهر حامل سبحة
 وآخر تركي تعرب وادعى
 وتحديث غر مطرباً عدل دولة
 وما الناس إلا خادع أدرك المنى
 فلا تبتد من زير النساء تعجبا
 فما دارت الأفلاك إلا وقطبها
 وإن أبصرت عينك يوماً حقيقة

كحكم فصوص النرد في نقل مهرك^(١)
 حوى من سهام القمر كل مدملك^(٢)
 وآخر مقمور بقدح التصلك
 سوى شبك منصوبة لتملك
 ليصطاد فيها بالدواء المصطك^(٣)
 تقبل جهلاً كفه للترك
 على عربي هجنة للترك^(٤)
 برابتها رسم الصليب المشبك
 وآخر مخدوع لها غير مدرك
 ولا تعتر بالزاهد المنسك^(٥)
 بحكم الهوى حب الكعاب المفلك^(٦)
 تخالف ما قد قلته فتشكك

(١) قوله «إلا تحكماً»: أي بجائزة للحق في الحكم. والنرد: شيء يلعب به؛ وأراد بفصوص النرد الكعاب التي يلعب بها. والمهرك: واحد المهارك؛ وهي قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها في النرد. وهو معروف «مهرة» بالفارسية. والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المقول، وإنما هو تحكيم كالحكم الناتج من رمي الكعاب في نقل المهارك في النرد، فإن اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد، بل ينقلها حسبما تأتي به الفصوص عند رميها.

(٢) سهام القمر: قداحه التي يقارع بها في القمار. والمدملك: من السهام الخلق، أي السوى الممس. لا جعل أحكام الدهر في البيت المتقدم كأحكام كعاب النرد، ناسب أن يجعل الدنيا في هذا البيت بيت مقامرة، والناس فيها بين قامر ومقمور، وأوضح ذلك بالأبيات التالية.

(٣) الكفة: حباله الصائد التي يصيد بها الطباء، وهي بضم الكاف ونكسر. والدواء لمصطك: الخسوط بالمصطكى.

(٤) حارل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب. فصار يعبر بالهجنة عربياً قد ترك. يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس في هذا العصر، واندماج بعضهم في بعض. فسكتيراً ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركي الأصل، ومن يتعصب للترك وهو عربي الأصل.

(٥) زير النساء: الذي يجب محادثة النساء. ويكثر مغازلتهم.

(٦) الكعاب: كعجاب: الجارية الناهد. والمفلك بصيغة الفاعل. واللام مشددة: التي استدار تديها. يقال فلكت الجارية: استدار تديها وصار كفلكت المنزل.

ودكا كين كالأفاحيص تمتد يميناً بطوله ويساراً
أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسبها الأمصاراً
عبدوها ومهدوها فجاءت لاءوجاجاً بها ولا ازويراراً
وأعدوا بهن كل رصيف محمد السير فوقه من ساراً
وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخراً بناؤد اشمخاراً
فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكبا قد أناراً
ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجاراً
فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسر أخضرارها الأنظاراً
هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الدياراً

على الخوان

أكب على الخوان وكان خفياً فلما قام أثقله القيام^(١)
ووالى بينها لقمًا ضخامًا فما مررت له اللقم الضخام^(٢)
وعاجل بأعينٍ بغير مضغ فبن بفيه وضع فالتهم^(٣)
فضاقت بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الخزام^(٤)
فأرسلت اللحاظ إليه شزرًا وقلت له رويدك يا غلام^(٥)

- (١) الخوان : بالكسر وبالضم : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفياً بالكسر : أى خفيفاً . وأثقله القيام : جعله ثقيلًا .
(٢) والى بينها . أى تابع بين القم . فما مررت له : أى ماساغت . وكانت مرثنة : أى حميدة المنجبة . ولما : تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها .
(٣) الالتهم : الابتلاع بمره ، وفي التعبير بالمصدر مبالغة في المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فلتهمه بلا فاصل .
(٤) البطن : مذكر . وتأنثه لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعًا : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى ارتفعت .
(٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظته : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزار : أى أشززه شزرا . وهو النظر بجانب العين . ونظر الغضبان . رويدك : أى أمهل نفسك .

- أرى اللقَمَاتُ تأخذها حَلَالًا
قد انتَضَتْ بِجَوْفِكَ مَفْرَدَاتِ
أَزْدَرْدِ الطَّعَامِ بِغَيْرِ مَضْغٍ
فَلَا تَأْكُلْ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ
أَلَا إِنَّ الطَّعَامَ دَوَاءٌ دَاءٌ
فَدَاءُ سَقَامِ جَوْعِكَ عَنِ كَفَافٍ
وَمَا أَكَلِ الطَّاعِمِ لِالتَّذَادِ
طَعَامِ النَّاسِ أُعْجِبُ مَا أَحْبَبُوا
يَقُودُهُمُ الزَّمَانُ إِلَى المَنَايَا
وَأُعْجِبُ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ رَامُوا
إِذَا اسْتَعَصَى القَفَارُ عَلَيْكَ أَكَلًا
حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ جَشَعٍ فَإِنَّ
وَأُعْجِبُ العَالِمِينَ فَتَى . أَأَكُولُ
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي
وَلَكِنِ لَا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمِ
فَإِنْ وَضَحَ النَّهَارَ طَوَّوْا جِياعًا
- فتدخل فاك وهي به حرام
تخلل بينها الداء العقام (١)
على أيام صحتك السلام (٢)
معاجلةً فيأكلك الطعام
به ابتليت من القدم الأنام
فياكثر الدواء هو السقام
ولكن للحياة بها دوام
فمنه حياتهم وبه الحام
وما غير الطعام لهم زمام
تنوعه ألا ينس المرَام
كفالك من القراح له إدام (٣)
رأيت الناس أجشعها اللئام (٤)
لقطنته يبطنته انهزام
لصمت فكان ديدنى الصيام (٥)
تكاثر في فطورهم الطعام (٦)
وقد نهما إذا اختلط الظلام (٧)

(١) قوله « قد انتضت » : أى قد تراكت في جوفك . بعضها فوق بعض . وكل منها مفردة عن أختها . كما كانت عند دخولها . وقد تخلل بينها : أى دخل في خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء .

(٢) أزدرد الطعام : أى أبتاع الطعام . والقفار : بالفتح : صفة لحدوف . أى الجيز القفار . ويقال خبز قفار : أى غير مأدوم . وأكلا : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراح بالفتح : الماء الحامس . الذى لم يخالطه شيء يطيب به . من غسل أوزيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .

(٣) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتح الجيم : أشد الخرس على الطعام وأسوأه .

(٤) ديدنى : أى دأبى وعادى . (٦) تكاثر هنا : بمعنى كثير .

(٧) وضح النهار : بان وانجلي . وقوله « وقد نهما » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا تغلبه أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهمو ، بالبناء المفعول . واختلط الظلام : اعتسكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِئنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتَخَمِينَ على امتلاءٍ وقد يتجشَّئون وهم نيام^(١)
فقل للصَّاعمين أداءَ فرضٍ ألا ما هكذا فُرضَ الصيام!

تحية سر كيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب
الشهير سليم سر كيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أكبرته قبيل اللقاء
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إلا الفتى سر كيس أي وتشرَّف في
جالسته في القدس أول مرة
في مجلس نظم الزمان بصدوره
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه
يُحيي السرور الميت منك بنكتة
وإذا أفاض من الحديث بحكمة
وإذا تحدت مازحاً فيكاته
لو يستدر يد الشحيح بظرفه
جالسته فكه الكلام منافقاً
فجالس الأدباء أنت رئيسها
أولست ربَّ حجة أدبية
في كل شهر بالفنون ترقبها
قد جئت في تحبيرها متنطساً
فسجرت فيه من الثناء وطيساً
يُعزى إليه العلى معكوساً
بلقائه ، إلا الفتى سر كيساً
فأحس قلبي من هواه رسيماً
عقداً من الصيِّد الكرام نفيساً
فيدير منه على الجالوس كئوساً
فيريك معجزة ابن مريم عيسى
خلنا محدثنا أرسطاليساً
بالضحك تصفع من تراه عبوساً
بوماً لجاد له وحل الكيساً
أكرمُ بمثلك ياسليم جليساً
أخلق بمثلك أن يكون رئيساً
تُررى بأزهار الرياض طروساً
عذراء باهرة الجمال عروساً
تشفي بنفت يراعك المألوساً

(١) ناموا متخمين : أي لهم تخمة كظلمة . وهي داء يصيب الانسان من أكل الطعام الوخيم .
وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الحقائق من خلال سطورها فتضىء في ليل الشكوك شمساً
لما قدمت القدس قصصاً زيارة فنجت وحشة أهلها تأنساً
قنا لفضلك ياسليم تجاة نحني الظهور مطاطين رعوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الأستانة إلى محمد باقر . لا أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أبقر لم تدع للقوم عذراً . بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد عنت النصائح خالصات فجات وهي فائقة المصاغ
وأوضحت الحقائق رائقات لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يضغى ومن ذا نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حاتم الأديم فليت شعري أينفع ما تريد من الدباغ
أست ترى بني الإسلام أمسوا حيارى بين منتصف وباغ
فقوم في مقاصفهم وقوم يلوكون العفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صحف لهم فغرت حلوقا لتمضنهم بأسنان شواغ
وما أخذتهم نفثاً وإكن تضح كأنها الإبل الرواغ
على أنى وإن أبدت سُخْطاً فما أدعوك فيه يني الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال فيفرح من ملاك كل طاغ
فقم في القوم مُتَضِيّاً يراعاً يفاق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشقة المنادى واونة بددنة المناعى
فأنت قتي إذا بلغت أمراً تؤيدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوى

أرى بغداد من بعد اغبرار
زهت بكبيرها أدبا وعلما
وكادت مصر تسبقنا فخارا
ولكن عاد محتقبا إليها
فأهلا بالحكيم وأنف أهل
وما الآداب في بغداد لولا
إذا ما قال في بغداد شعرا
تفرّد في بديع الشعر من معنى
أعيذك يا جميل الشعر من أن
يداوون القيم من المعاني
ألا لا تعجبين وهم ذئاب
لقد تقدوا قريضك فقد أعمى
فأحم لهم حديد الشعر حتى
فهم قوم يرون الحلم عجزا
ولا تضر بهم إن شئت إلا
فهم مثل الذباب يطير ذعرا
وليسوا نحوجيك إلى معين
فنفخ منك يعلمهم هباء
وما احتاج القوى إلى معين

زهت بقدم شاعرها الزهاوى
زهت بطبيب علتها المداوى
به لو ظل وهو هناك ناوى
فخار الأرض والشرف السماوى
بمن لا زال مُرشد كل غاوى
يراع جميلها إلا دعاوى
رواه له بأقصى الأرض راوى
فجلى عن المُعادل والمساوى
يسوءك تقدُّ أرباب المساوى
بفهم كان أجدر بالتداوى
إذا هم أفرعوك بصوت عاوى
يدل على الضغائن في المطاوى
تذيق نفوسهم حرّ المسكاوى
إذا ما ناوءوك ولم تنأوى
بضغت من نبات الشعر ذاوى
بهزّ مذبة وهوى هاوى
وهم ما بين مهزول وضأوى
ويُسقطهم إلى سُفل المهاوى
إذا كان الضعيف هو المقاوى

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نَسَعِي إلى حياةٍ سعيدةٍ
فإن فينا افتقارًا إلى أمورٍ عديدةٍ
إلى اتحادٍ وسعيٍ إلى المساعي المفيدةِ
إلى عزائمٍ نرمي بها المرامي البعيدةِ
إلى معاهدٍ نفني بها الشرورَ المبيدةِ
إلى مدارسٍ تعلمو على القصور المشيدةِ
إلى عقولٍ كبارٍ إلى نفوسٍ رشيدةِ
إلى جسومٍ تقاوي بها الخطوبَ الشديدةِ
إلى صلاحٍ نداوي به فسادَ العقيدةِ
وإن أريد اكتفاءً بكلمةٍ عن قصيدةِ
فكل ما نبغيه هو الحياة الجديدةِ
هو الذي تدعيه حبوبةٌ في الجريدةِ
تلك الصحيفةُ تأتي لنا بكل شريفةِ
تلك المجلةُ تحوي من كل عقيد فريدةِ
حبوبةٌ استمشدني إن شئت كل نشيدةِ
فأنت خير فتاةٍ حميدةٍ ومجيدةِ
الشرق فيه قيودٌ وقد فككت قيودهِ
وفيه داءُ جهودٍ وقد شفيت جهودهِ
أراؤك الغرُّ فيه صحيحةٌ وسديدةِ
من لا يريد أمورًا لمن أنت مُريدهِ
إلا الذي عاش غرًّا وطوق الأسرَّ جيدةِ
فذاك ما عاش إلا لقصةٍ وثريةِ

إلى المتعلم

- (١) أَخْصَى فِي الْعِلْمِ إِنْ أُرِدَتْ كَلَامًا وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْأَتَمِّ (١)
(٢) وَإِذَا رُمَّتْ فِي التَّعَلُّمِ حَذَقًا فَاتْرَكَ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرْمِي (٢)
وَاجْتَنَبَ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْتَهَ إِنَّ قَسْرَ الطَّبَاعِ أَكْبَرُ ظَلَمٍ
إِنَّمَا الْمَيْلُ فِي الْغَرَائِزِ نَيْبًا رُومِنَ ذَا يَرْدٍ تَيَّارٍ يَمُّ
أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضَمٍ
لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاحٌ هَاضِمٌ فِي ذِكَاثِهِ كُلِّ عِلْمٍ
فَمَنْ النَّقْصُ أَنْ تَحَاوَلَ أَنْ تَضْرِبَ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسِمِّهِمْ (٣)
حَسُنَ فَهْمُ الْأَخْصَى أَكْثَرَ نَفْعًا لِذَوِيهِ مِنْ قَبْحِ فَهْمِ الْأَعْمِّ (٤)
وَبُغَاةُ الْعُلُومِ مِثْلُ رِمَاةِ الصَّيْدِ فَاعْلَمْ وَلَيْسَ مَنَّمُ كَمُصَمِي (٤)
وَإِذَا مَا اشْتَعَمْتَ بِالْجِدِّ سَاعًا تَفَهَازِلُ سُوَيْعَةً وَاسْتَجِمَّ (٥)
وَتَرَفَّقْ إِذَا جِهَدْتَ فَإِنَّ الرِّقَّ يَذُكِي الْفَوَادِ وَالْعَنَفُ يُعْمِي (٥)
وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجُوزُ مَدَاهُ بِالتَّأْنِي بِلَوْغِ خَضَمٍ بِقَضَمٍ (٦)

- (١) قوله أخصى : فعل أمر من أخصى طالب العلم . إذا نعلم علما واحدا وطريقة الاختصاص في العلوم هي التي وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه .
(٢) الواو في قوله « والذي هي ترمي » : واو المعية . واسم الموصول مفعول مفعول به . وترمي : تقصد . من رمى المكان إذا قصده . وعائد الموصول محذوف . أي والذي هي ترميه .
(٣) قوله « من النقص » : الجار والمجرور خبر مقدم . « وأن تحاول » مبتدأ مؤخر . « وأن تضرب » : مفعول لتحاول . والمحاولة لإرادة . وقوله « أن تضرب في كل ذي العلوم بسهم » : معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً ؛ يقال ضربت في كذا بسهم ؛ إذا أخذت منه نصيباً .
(٤) قوله « وليس منكم كصم » المنمى : اسم فاعل . من قولهم أتتني الصياد الصييد : إذا رماه فأصابه ولم يقتله . ثم ذهب عنه ثبات : والمصمى : اسم : فاعل من قولهم أصمى الصييد . إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه . وفي الحديث كل ما أصميت . ودع ما أنصبت . والمعنى : أن طالب العلم كرامي الصييد . فإذا أخصى في العلم وأتقنه كل الاقنان . كان كالمصمى الذي ينتفع بصيده . وإلا كانت كالمصمى الذي رمى الصييد فأصابه ولم ينتفع به شيئاً . فهذا هو معنى قوله « وليس منكم كصم » .
(٥) الجهد بالكسر : ضد الفزل . وقوله استجيم : أي استرح .
(٦) المراد بالحضم هنا : الأكل ملء الفم . والحضم : الأكل بأطراف الأسنان قليلاً قليلاً .

كل من كانت العلوم لديه جَمَّةٌ كان نفعه غيرَ جَمٍّ (١)
أنى فضل لعالمٍ غيرِ بدَّعٍ ليس في العلم يربحى لهم (٢)
سار شوطا لكلِّ علمٍ وإن كان لم ينل فيه غاية المستتم (٣)
هبه أبدي من العلوم نجوماً في ليالي من المشاكل دهم
أو ليس البدر التمام وإن كا ن وحيداً يربو على ألف نجم
كن قويا في كل ما تدعيه إتما الفوز للقوى الملم (٤)
أثبا العاجز الضعيف رويدا أقرن الضأن فأنك بالأجم (٥)

اليتيم المخدوع (*)

قضى والليل معتكراً بهم ولا أهل لديه ولا حميم
قضى في غير موطنه قتيلاً تمج دم الحياة به الكوم (٥)
قضى من غير باكية وباك ومن يبكي إذا قتل اليتيم
قضى غص الشبيبة وهو عفاً مطيرة مآزره ككرم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يباع الخضم بالقضم » . أى الشبعة تبلغ بالأكل
بأطراف الفم . أى الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمّة : كثيرة . وغير جم : غير كثير .

(٢) شوطاً : مفعول مطلق . وانشوط : هو الجرى مرة إلى الغاية .

(٣) الملم : بكسر الميم وفتح اللام . وفي آخره ميم مشددة : هو الشديد من كبل شيء . يقال :

رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذى له قرنان . والأجم : الذى لاقرن له . والمعنى : أن القوى

فأنك بالضعيف لا محالة . (*) من الجزء الأول .

السيب الذى دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلاً يزدنيا مطرباً من حلب اسمه (سليم) .
خدع غلاماً مسيحياً يتأمن أهالياً ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام
الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام فى نادى طرب يضم المئات من الناس ،
وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؟
وقبض على الجانى . وزج به فى السجن . فنظم معروف أهدى هذه القصيدة حاكياً يبا هذه
الحادثة المؤلمة . .
(٥) الكوم : الجروح .

سقاها من الردى كسًا دهاقا
تجرعها على طربٍ ولكن
على حين الرّبابة في نواح
بمحيث رقائق الألحان كانت
كأن ترنم الأوتار نعي
نجاء الموت ملتفعا بخزي
فأطلق من مسدسه رصاصا
فخرّ إلى الجبين به « نعيم »
فبان مودعا بعد ارتثاش
نن لم تبك من أسفٍ عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تثاره فتبدي
ولم يقتله « إبراهيم » فيا
أليس « سليم » الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبأ بلاج
ولما أن ثوى ناديت أرخ

(١) عَفَافُ النفس والعرضُ السليم (١)
بكفّ اليم ليس له نديم
يساجلها به العود الرحيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لما وجوم (٢)
وملء إهابه سفة ولوم (٣)
به في الرمي تنخرق الجسوم
كما انقضت من الشهب الرجوم (٤)
حياة لا تناط بها الوصوم (٥)
سفاهتنا فقد بكت الحلوم (٦)
بكته على ترفعيها النجوم
إلى الزوراء ما يبدي الخصيم (٧)
أرى بل إن قاتله « سليم »
« نعيما » فهو شيطان رجيم
يتيما ما له أبدأ زعيم
تخرّمه بها قتل اليم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهمل « نعيم »

(١) دهاقا : ممتد .

(٢) الوجوم : الاطراف لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الاماب : الجلد قبل أن يدبق .

(٤) الرجوم : ما يرم به . مفرد ما رجم .

(٥) ارتت ارتثاشا . بالبناء المجهول : حمل من المعركة بجريحا : الوصوم : العيوب .

(٦) الحلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثاره : تصالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات (*)

تَبْقَظُ فَمَا أَنْتَ بِالْحَالِدِ ولا حادث الدهر بالراقِدِ^(١)
فَخَلَدٌ بِسَعِيكَ مَجْدًا يَدُومُ دوام النجوم بلا جاحد
وَأَبْقَى لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَاتِ وخالّ النزوع إلى الفاسد^(٢)
وَرِدٌ مَا يَنَادِيكَ عَنْهُ الصُّدُورُ ألا دَرَدْرُكَ من وَاوَدِ^(٣)
وَسِرٌّ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تمت الخُفُود من الخافد
فَإِنْ فَتَى الدَّهْرَ مِنْ يَدَّعَى فتأتى أعاديهِ بالشَّاهِدِ
وَلَا تَأْكُ مَرْمَى بَدَاءِ السُّكُونِ فتصبح كالحجر الجامد
وَكَنْ رَجُلًا فِي الْعُلَى حَوْلًا تَفَنَّنَ فِي سِيرِهِ الرَّاشِدِ^(٤)
إِذَا أُطْرِدَتْ حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ ومرّت على نَسَقٍ وَاحِدِ
وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِيهَا ودامت بوجه لها بَارِدِ^(٥)
وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ من السعى في الشرف الخالد
فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ تجول من العيش في نافذ^(٦)

وما يرمى من حياة امرئ
وليس له في غصون الحياة
يغضُّ على الجهل أجفانه
فذاك هو الميت في قومه

كأه على سبخة راكد^(٧)
سوى النفس النازل الصاعد
ويرضى من العيش بالكاسد
وإن كان في المجلس الخاشد

(*) من الجزء الأول .

(١) الراقِد : النَّائِم .

(٢) انزوع : الليل .

(٣) الصدور عن الأمر : الرجوع عنه . در درك : أى كثير خبيرك . وأصل معنى الدر : اللبن

(٤) الحول : هو الشديد الاحتياض .

(٥) أفانيتها : أنواعها . والأفانين في الأصل : الأغصان .

(٦) السوام : الحيوانات الساعية . (٧) السبخة : الأرض ذات التراب والملح .

وما المرء إلا فتى يعتدى
سعى للمعارف فاحتازها
وطالع أوجه أبقارها
فأبدى الحقائق من طيها
إذا هو أصبح نادى: البدار
فكان المجلى في شأوه
وإن بات بات على يقظة
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحق إلا هو الإتكال
فذاك هو الحى حى الفخار
إلى العلم في شرك صائد
وصاد الأنيس مع الأبد^(١)
بعين بصير لها ناقد
وألقى القيود على الشارد
وشمر للسعى عن ساعد
بعزم يشق على الحاسد^(٢)
بطرف لنجم العلى راصد
وأضرب عن مجده التالد^(٣)
على شرف جاء من والد
وإن لحدته يد اللاحد

نحن في بغداد (*)

أيا سائلاً عنّا ببغداد إننا
علت أمة الغرب السماء وأشرقت
وهم ركضوا خيل المساعى وقد كبا
فنحن أناس لم نزل في بطلالة
خضعتنا لحكام تجور وقد حلا
بهائم في بغداد أعوزها النبت^(٤)
علينا فظلنا ننظر القوم من تحت
بنا فرس عن مقنب السعى منبت^(٥)
كأننا يهود كل أيامنا سبت
بأفواها من مالنا ما كل سحت^(٦)

(١) الأبد: النائر .

(٢) المجلى: السابق الأول في حلبة الرهان . الشأو: الغاية .

(٣) المجد الطرب: الجديد الحادث . والتالد: القديم الموروث .

(*) من الجزء الأول .

(٤) أعوزها النبت: أى افتقرت إليه .

(٥) ركض فرسه: غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا: عثر . المقنب: جماعة من الخيل

تجتمع للغارة . منبت: منقطع .

(٦) السحت: المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً قم علينا بالخِداع لها الدست^(١)
 لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت^(٢)
 إذا كنت لا ألتى من الموت موتاً فهل نافعى أن خِفْتَهُ أو تَهَيَّبْت^(٣)
 والموت خير من حياة تشوبها شوائب منها الظلم والذل والمقت^(٤)

رقية الصريح (*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجّل يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأقبل
 يا عدلُ ليس على سواك مُعَوَّل هلاً عطفت على الصريح المُعَوَّل^(٥)
 كيف القرار على أمور خكومة حادت بهن على الطريق الأمثل
 في الملك تفعل فظائع جورها ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
 ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً للعدل وهي بحكمها لم تعدل
 أضحت مناصبها تباع وتشتري فعدت تفوض للغنى الأجهل
 تُعطى مؤجلة لمن يبتاعها ومضى انقضى الأجل المسمى يُعزّل
 فبروح بشرى ثانياً وبما أرشى قد عاد من أهل الثراء الأجزل
 فيظلّ في دار الخلافة راشياً حتى يعود بمنصب كالأول
 سوق تباع بها المراتب سُميت دار الخلافة عند من لم يعقل
 أبت السياسة أن تدوم حكومة خُصت برأى مقدّس لم يُسأل
 مثل الحكومة تستبدُّ بحكمها مثل البناء على نفا متهيل^(٦)

(١) الدست : سدرا لبيت ، والحديبة ، والدست أيضاً : هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المناقعة . (٣) موتاً : ملجأ .

(٤) تشوبها : تخالطها . شوائب : أخلاط .

(٥) من الجزء الأول .

(٦) الصريح : المستغيث . والمعن : الذي يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .

(٧) القطعة من الرمل . متهيل : متصيب .

يا أُمَّةً رَقَدَتْ فَطَالَ رُقَادُهَا
أَيَكُونُ ظِلُّ اللَّهِ تَارِكًا حَكْمَهُ إِذَا
أَمَّ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةً لِرَسُولِهِ
كَمْ جَاءَ مِنْ مَلِكٍ دَهَاكٌ بِجَوْرِهِ
يَقْضَى هَوَاهُ بِمَا يَسُومُكَ فِي الْوَرَى
وَيُرُومُ صَبْرُكَ وَهُوَ يَسْقِيكَ الرَّدَى
وَقَدْ اسْتَكْنَفَتْ لَهُ وَأَنْتَ مُهَانَةٌ
بَابُ السَّعِيدِ وَبَتَّ فِيهِ شَقِيَّةٌ
تِلْكَ الْحَاقَّةُ لِاحْاقَّةٍ مِثْلِهَا
إِنَّ الْحُكُومَةَ وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ
سَارَتْ إِلَى نُجْحِ الْعِبَادِ بِسِيرَةٍ
فَسَمَوْا إِلَى أَوْجِ الْعِلَاءِ وَنَحْنُ لَمْ
حَتَّى اسْتَقَلُّوا كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَنَا
وَعَنَّا بِمِثِّ إِذَا شَخَّصْنَا نَحْوَهُمْ
لِدَبَسُوا ثِيَابَ فُخَارِهِمْ مَوْشِيَّةٌ
نَالُوا وَصَالَ مَنَى النُّفُوسِ وَإِنَّمَا
حَتَّى أَقِيمَ مَجْسَمًا تَمَثَّلًا
تَمَثَّلَ نَاعِمَةٌ الشَّمَائِلِ وَجَهًّا

هَبِّي وَفِي أَمْرِ الْمَلُوكِ تَأْمَلِي
مَنْصُوصٍ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمَنْزَلِ
مَنْ حَادَ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
وَلَوْلَاكَ عَنْ قِصْدِ السَّبِيلِ الْأَفْضَلِ (١)
خَسَنًا وَيَنْقِمُ مِنْكَ أَنْ لَمْ تَقْبَلِي (٢)
وَيُرِيدُ شُكْرَكَ وَهُوَ لَمْ يَتَفَضَّلِ
حَتَّى صَبَّرْتَ لِفَتَاكِهِ الْمُسْتَأْصَلِ (٣)
تُسْتَعْدِمِينَ لَعْنَتِهِ الْمُسْتَرْسِلِ
حَقًّا فَهَلْ هُوَ مِنْ صَحِيحِ تَعَقُّلِ
كَشَفْتَ عِمَامَةَ قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلِ
أَبَدَتْ لَهُمْ حَقُّ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
نَبْرَحُ نَسُوجٍ إِلَى الْخَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٤)
تَجَاوَزُوا الظَّلَامَ بِنُورِهَا الْمُتَهَلَّلِ (٥)
مَنْ تَحَبَّبَهُمْ ضَحَكَوا عَلَيْنَا مِنْ عُلَى
بِالْعَزِّ وَهِيَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَكْمَلِ (٦)
حُرِّيَّةِ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ الْمُخْضَلِ (٧)
بَيْنَ الشُّعُوبِ عَلَى بِنَاءِ هَيْكَلِ (٨)
تَزْدَادُ نُورًا مِنْهُ عَيْنُ الْمُجْتَلِيِ (٩)

- (١) لُوكٌ : صَرْفُكَ . قِصْدُ السَّبِيلِ : أَيِ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ .
(٢) سَامَهُ الْحَسَفُ : أَيِ أَذَلَهُ . (٣) اسْتَكْنَفَتْ لَهُ : أَيِ خَضَعَتْ .
(٤) نَسُوجٌ : نَفُوسٌ . وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى : نَهْوَى ؛ وَلِنَا عِدَاهَا بِأَيْلَى .
(٥) اسْتَقَلُّوا : ارْتَفَعُوا . (٦) مَوْشِيَّةٌ : مَعْصَنَةٌ مَرْبُوبَةٌ .
(٧) مَنَى جَمْعُ مَنِيَّةٍ : وَهِيَ مَا يَبْنِيهِ الْإِنْسَانُ . الْمُخْضَلُ : الْبُزْدِيُّ . مَا أُخُوذُ مِنَ الْخَضَلِ الشَّيْءِ
بِمَعْنَى ابْتِنِ .
(٨) الْهَيْكَلُ : الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ .
(٩) الْمُجْتَلِيُ الشَّيْءُ : نَظَرُ إِلَيْهِ .

أُبعِدَ هَذَا يَا سَرَاةَ مَوَاطِنِي نَرْضَى وَنَقْنَعُ بِالْمَعَاشِ الْأَرْضِي
 الْعَوْتُ مِنْ هَذَا الْجُودِ فَإِنَّهُ تَاللهُ أَهْوَنُ مِنْهُ صُمُّ الْجَنْدَلِ (١)
 قَدْ أَبْجَرَتْ شَمُّ الْجِبَالِ وَأَجْبَلَتْ لَجَجُ الْبِحَارِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَبَدَّلِ (٢)
 مَا ضَرَّكُمْ لَوْ نَسْمَعُونَ لِنَاصِحٍ لَمْ يَأْتِ مِنْ نَسِجِ الْكَلَامِ بَهَائِلِ (٣)
 حَتَّامٌ نَبَقَى لَعِبَةٍ لِحُكُومَةٍ دَامَتْ تَجَرَّعْنَا نَقِيعَ الْخُنْطَلِ
 تَنْحُو بِنَا طَرِقَ الْبَوَارِ تَحِيْفًا وَتَسُومُنَا سُوءَ الْعَذَابِ الْأَهْوَلِ (٤)
 هَذَا وَنَحْنُ مُجَدَّلُونَ تُجَاهَهَا كَالْفَأْرِ مَرْتَعِدًا نُجَاهِ الْخَيْطَلِ (٥)
 مَا بَالُنَا مِنْهَا نَخَافُ الْقَتْلَ إِنْ قُنَا أَمَا سَنَمُوتُ إِنْ لَمْ نَقْتَلِ ؟
 يَا عَاذِلًا فِيمَا نَفَّسْتُ مِنَ الرَّقِيقِ وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى الصَّرِيعِ الْمَهْمَلِ (٦)
 أَنْظِرْ لَصْرَعَةٍ مِنْ رَقِيقٍ وَطَوَّلِهَا فَإِذَا نَظَرْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَأَعْدَلِ (٧)

مثنويات شعرية (*)

أَشْرُّ فَعْلٍ الْبِرَايَا فَعْلٌ مَمْتَحِرٌ وَأَفْخَسُ الْقَوْلِ مِنْهُمْ قَوْلٌ مَفْتَحِرٌ
 إِنْ التَّمَدَّحُ مِنْ عَجَبٍ وَمَنْ أَشْرُّ وَالْمُرَّةُ فِي الْعَجَبِ مَمْقُوتٌ وَفِي الْأَشْرِّ (٨)

يَا رَاحِي الْأَمْرِ لَمْ يَطْلُبْ لَهُ سَبَبًا كَيْفَ الرَّمَايَةِ عَنْ قَوْسٍ بِلَا وَتَرٍ
 أَيْسُ التَّسَبُّبِ مِنْ عَيْجَزٍ وَلَا خَوَرٍ وَإِنَّمَا الْعَيْجَزُ تَفْوِيضٌ إِلَى الْقَدَرِ (٩)

- (١) الجندل : الحجارة . مفردها حندلة .
 (٢) أبجرت : صارت مجرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
 (٣) المهملن : التورب الرديء ، النسج . (٤) البوار : الملاك . تحيفا : تظلمنا .
 (٥) مجدلون : مطرحوون أيضا . الخيطل : اسنور . ويطلق على الكلاب أيضا .
 (٦) الرقي : جمع رقية . وهي العودة التي يحتفظ بها . نفث الراني في العقدة عند الرقية : أي
 برف بزاقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) أعدل : لم .
 (*) من الجزء الأول . (٨) الأشر : البطر .
 (٩) التسبب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسيَّ وأنسبني غيرهم إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر^(١)
فإن للبشر الراقى بحلقتة من قد أنفت به أنى من البشر

◊ ◊ ◊

ألْبَسَ حَيَاتَكَ أحوالَ المحيطِ وكنَّ كالماءِ يلبس ما للظروف من جذرٍ
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها عارٍ من الأنس أو كاسٍ من الضجر

◊ ◊ ◊

إن رمت عزًّا على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسةً بين ناب الذل والظفر

◊ ◊ ◊

إذا نظرت إلى الجزئيِّ تصلحه فارقبه من مرقب الكليِّ في النظر
فإن نفعك شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس في الضرر

◊ ◊ ◊

قد يقبِّح الشيءَ وضعاً وهو من حسن كالغش يدهش مرأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهي عرضٌ وليس يثبت إلا عند معتبر^(٢)

◊ ◊ ◊

لا تعجبَنَّ لذي عقل يروح به ليُنتج الشرُّ خيراً غير مُنتظر
فإنما لمعات الخير كامنة بين الشرور كحون النار في الحجر

◊ ◊ ◊

سبحان من أوجد الأشياءَ واحدة وإنما كثرة الأشياءَ بالصور^(٣)

(١) الأناسي : البشر . الشاء : جم شاة .

(٢) النهي : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص ما يستقبحه الآخر ، وقد يحسن الشيء في موضع ، ويستقبح في موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أن الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يميل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأ القوم يبقى مبهماً أبداً فهل ترى فيه عقلاً غيرَ مُنْهَرِ

* * *

الحب والبغضُ لا تأمن خِداعهما فكَمْ هما أخذاً قوماً على غُرَرِ^(١)
فالبغض يبدي كدورا في الصفاء كما أن الحجة تبدي الصقو في الكدر

* * *

وأشنع الكذب عندي ما يمازجه شيء من الصدق تمويهها على الفكر
فإن إبطال هذا في النهي عسيرٌ وليس إبطال محض الكذب بالعسير

* * *

قالوا عشقتَ معيب الحسن قلت لهم كُفُّوا الملامَ فما قلبي بمنزجر
ما العشق إلا العمى عن عيب مَنْ عَشِقْتَ هذى القلوبُ ولا أعني عني البصر

* * *

قالوا ابنُ مَنْ أنت يا هذا فقلت لهم أبي أمرؤٌ جدُّه الأعلى أبو البشر
قالوا فهل نال مجداً قلت وابعجى أتسألوني بمجدٍ ليس من ثمرى!

* * *

لا دَرٌّ دَرٌّ قصيدٍ راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدرِّ والدرِّ^(٢)
بيكى الشعورُ لشعر ظل ينقده من لا يفرق بين الشعر والشعر

* * *

قالت « نوار » وقد أنشدتها سحرراً ممن تعلمت نَفَثَ السَّحَرِ في السَّحَرِ
فقلت من سحر عينيك الذي سحرت به المشاعر من سمع ومن بصر

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهى الغفلة .

(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدٌّ زائدٌ
جعلوا التقاعد للجنود كرامة
ليس التقاعد للرجال بطالةً
لكنه عمل جديد نافع
بالسعي تزدهر الحياة وإنما
إن الحياة ليقظة فعالة
لن تبلغ العلياء في ساحاتها
أنظر تجد شعب الحياة كثيرة
فكان أشغال الحياة مَراجِل
يأبها المتقاعدون ألا أتوا
علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
فاستمسكوا بعُر المودة بينكم
كونوا جميعاً في الحياة كأنكم
في الحرب طاب لكم جِلاذٌ فلتظ
تركت أ كفكم السيوف وعندها
كل الحياة معارك لكننا
ولربما كانت سلاحاً نافذاً
فأتوا من الأعمال ما هو صالح
وتتبغوا سبيل الحياة ولا يكن
وتصرفوا في أمرها بمهارة
ما عاب من سلّ المهند أنه

هذى صفات حازها المتقاعدُ
كى يسير بح من الجهاد مجاهد
إن البطالة للرجال مفسد
عما تقوم به الحكومة حائد
لون الحياة بغير سعى كامد
فأراقد الكسلان فيها بائد
هممٌ مشبّطةٌ وعزمٌ راقد
فيها من السعى الخيث مشاهد
والسعى نار والبلاد مواعد
نقداً يصول به عليكم ناقد
أن الحياة تعاون وتعاصد
كيلا يكون تباغض وتحاسد
رجل إذا دعت الدواهي واحد
في السلم أعمال لكم ومقاصد
منكم أشد من السيوف سواعد
فيها سلاح المرء جُهدٌ جاهد
عند اللئام دسائس ومكايد
للناس فيه مصالح وفوائد
منكم إلى غير المكارم قاصد
وذروا السيوف فإنهن جوامد
للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيُّ قُدْسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءَ حَسَدَتْ أَرْضَهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ
إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ فِيهِ قُدْسِيَّةٌ فَهَذَا الْبِنَاءُ
هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ شَرُفَتْ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءُ
كَلِمًا قَدْ رَأَيْتَهُ تَتَجَلَّى لِي لِي مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعُلِيَاءُ
هُوَ بَكْرٌ فِي ذِي الْبِلَادِ وَاللَّاطِ قَالَ فِيهِ حِمَاةٌ عَذْرَاءُ
لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَا نَفْكَرٍ فِيهَا فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلَنَا الرُّحَمَاءُ
كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوْطِنِ لَفْحٌ مِنْ سَمُومٍ تَدْوِي بِهِ الرُّضَعَاءُ
رَبُّ طِفْلِ أَوْدَتْ بِهِ قِلَّةُ الدَّرِّ عَلَى أَنْ أُمَّهُ تَدِيَاءُ
أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ أَمَتْ فَأَمَسَتْ يَبْهِكُ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
فَحَكِي شَخْصَهَا الْخِيَالَةَ إِذْ لَا حَ ذَبُولٍ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ فَمُوتٌ مُرِيحٌ وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
هَكَذَا كَانَتْ الْمَوَالِيدُ تَحِيًّا وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
وَمِنَ اللَّؤْمِ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ تَفَنَّى لِأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وِطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ
إِنَّهُمْ غَيْرُ مُعْرِينَ وَمِنْ حَسْبِ سَجَايَا أَنْ تُرْحَمَ الْعَجَمَاءُ
عَلَّ مَنْ لَوْ يَعِشُ مِنْهُمْ لِأَضْحَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
رَبٌّ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ شَرَفٌ بِإِذْخِ لَنَا وَعِلَاءُ
لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيِّنًا قَدْ يَذُّ بُعْغٌ مِنْهُمْ نَوَابِغٌ أَذْكَيَاءُ
إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافِ بَحْرِ لَسْتَ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ
وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ عَقْلٌ بِمَوْتِهِ وَدِهَاءُ
شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنٌ عَظِيمٌ لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعَلَى الْجُوزَاءُ
كَلِمًا قَدْ رَأَيْتَهُ لَمَعَتْ لِي فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعُلِيَاءُ

ونقد دَلَّ أن من شيدوه سادة في طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من فخارهم ما شاعوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهر لا يألُو بستر الحقائق
يجرُّ أذيالَ الخطوب بطرقها
ولو لم يجئنا كلَّ يومٍ موارباً
كأن ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وكم مدَّع فضل التمدن ماله
وكم عاقلٍ قد عدَّ في الناس أحقاً
وربَّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرَّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وألطف جور الدهر جور يُرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح مئين في الزمان خرافة
ضلال على مر الجديدين لم تزل

• • •

فعدَّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نقضت من الدنيا يدى لأننى
سوى لفظٍ يزرى بفصل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقَّافٌ بها عند منزلٍ ولا أنا باكٍ من حبيبٍ مفارقٍ
ولا عذبتني في العذيبِ صبايةً ولا شاقني برقٍ لربعٍ يسارقٍ
تعشقت منها حسن كل حقيقة

وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق

ولى عند إخوان الصفا أريحيةً إلى كلِّ خِلٍّ في الزمان موافقٍ
إذا ماعقدنا مجلس الأُنس بالطلا فبينى وبين السكر خمس دقائق
أقوم إلى كبرى الزجاجات مُدهِقاً بمستقطرٍ من خالص التمر رائقٍ
فأقرع بالكأس الروية جِبْتِي بشربِ كِأَبِّ القَطَا متلاحقٍ
أسبق نُدْماني إلى السكر طائراً ينجحُ من الأُنس المضاعف خالقٍ
فنادمت أصحابي على غير حشمة وقلت لهم ما قلت غير مُناققٍ
وأغنيهم عن نقلهم في شرابهم بَمَزِّ طَرِيٍّ من نقول الحقائق
ولم يُبدِ قِيَّ السكر عند اشتداده سوى شكرِ خِلِّي أو سوى حمدِ خالقي
تعودتُ سَبْقِي في الفخار فلم أُرِدْ من السكر أن أحظى به غير سابقٍ
كما اعتادَ سبِقاً في المكارم خَزَعْلُ بلا سابقٍ فيها عليه ولا حقٍ
أميرِ مَمْتَنَةٍ للمكارم والعلَى جَحَاجِحٍ من كَعْبِ كِرَامِ المَعَارِقِ
كذلك أعلَى اللهُ في الناس كعبه بحظٍّ من المجدِ المؤثِّلِ فائقٍ
إذا سار سار المجدُ في طيِّ بُرْدِهِ يرافقه أكرمٌ من مُرافِقِ
فيرحلُ من أنسابه في مواكبٍ وينزلُ من إحسابه في سُرَادِقِ
وإن جاء أغضىء من رآه تَهِيَّباً سوى نظريٍّ منهم بعيني مسارقِ
جوادٌ إذا استمطرته جاد كفه بأغزرٍ من وبلِّ الغيومِ الدوافِقِ
أحاطتُ به من كل صوبٍ حدائقُ كوجهِك حُسْنًا في العيون الروامِقِ
وقاحتُ به للناشقين أزاهرُ كأخلاقك الغراء طيباً لناشِقِ
وزان الخليجُ الفارسيُّ بناءه فكان كعقدِ لَبَةِ عاتِقِ

أناف على أعلى السحاب معارضا
حوى منك قرماً بأسه ضامن له
فلا غرو أن ينتابه كل خائف
ويرجع عنه من يوافيك راجلا
فدى كل قصر في العراق ومن حوى
هنيئاً لك العيد الذي أنت مثله
أبا الأمراء الصيد جئتك شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإني صقر بغداد أنتي
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حوزة الكلام لمزعل

يجودك للعافين جود البوارق
بذل أعاديه وعز الأصادق
فيأمن من وقع الخطوب الطوارق
على لاحق الأطلال من نسل لاحق
لقصير زها منكم بحامي الخائف
لدى الناس عيد غير أن لم تفارق
إليك جنایات الزمان الماذق
رمت كل عظم في منها بعارق
تقدمني فيها فراخ العقاق
شواهد أقالمي بكفي نواعي
مديحا كسمط المئوئو المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمين على ضرورة وفرهم
كنز لو استشفوا به من دأهم
ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة
ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
لكنهم قد أهملوه وأعملوا
فاذا نظرت رأيت ثمة أرضه
قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
وقفوا به عند الشروط لواقف
تركوا له في العصر نفعاً ظاهراً
لم يستجدوا فيه شيئاً واكتفوا

كنز يفيض غنى من الأوقاف
لتوجروا منه الدواء الشافي
للتشفوا منه بخير ثفاف
لأطارهم بقوادم وخوافي
في جانبه عوامل الإنلاف
تجرى الرياح بها وهن سوافي
أهل الحياة به من الإحجاف
وتغافلوا عن حكمة الإيقاف
وتعاملوا فيسه بنفع خافي
في كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيّدوا بشروطه
غرسوه غرساً مثمراً لکن جرت
هل بين شرط الواقفين وبين ما
أريد أن يققوا الزمان أمورنا
الأرض مسجدنا فقيم مساجد
كان الصلاة بمسجد وبغيره
هلاً جعلن مدارسا فياضة
ينتابها أبناؤكم كي يأخذوا
فيفيض فيض العلم حتى يرتوى
إن لم يكن شرف البلاد محصناً
وإذا النفوس تسافلت من جهلها
هذي الخزانة أنشئت فبناؤها
يرى ذو عقل بأن بناءها
تالله ليس بمنكر تشييدها
أحيوا بها عصر العلوم لدولة
عصر الرشيد أبي الخلائف إذغدت
في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
فإذا هتفت بحمده وبشكره
ناديت طلاب العلوم مؤرخا

ماذا التوقف عند رسم عافى
غير الزمان فعاد كالصنفاصاف
نفع العموم تناقض وتنافى
وأمرنا هي الزمان قوافى
أمت تعدّ اليوم بالآلاف
في الحكم واحدة لدى الأسلاف
من كل علم بالزلال الصافى
من كل فن بالنصيب الوافى
منه بنو الأمصار والأرياف
بالعلم كان مهتد الأطراف
لم يُعلّمها شمم على الآناف
للأمر فيه تدارك وتلافى
أمر لشرط الواقفين منافى
إلا امرؤ خال من الإنصاف
خلفاؤها من آل عبد مناف
بغداد رافلة بمجد ضافى
علماً يشير لأشرف الأهداف
ردّ الصدى بنياتها لهتافى
حجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِنْ جَوْرٍ مِصْرَ عَنِ الْعَرُوبَةِ أَنَّهَا
وَتَحِيدَ عَنِ آدَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَتَرَى بِمِصْرٍ تَعْصِبًا لِأَدْيِبِهَا
فَإِذْ كَرَّ أَوْنِي الْأَدَابِ مِنْ غَيْرِ الْأَلِيِّ
وَأَشَدِّ بَيْنَ فِي غَيْرِ مِصْرٍ مَنْوَاهَا
تَحْفِي بِمَنْشَدِهَا الْقَرِيبَ وَتَدْعَى
فَالشَّاعِرَ الْمِصْرِيَّ فِيهَا فَاضِلًا
وَكَأَنَّمَا أَمْسَتْ مَوَاهِبُ رَبَّنَا
هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ جَوْرًا عَدَّهُ
آدَابِ كُلِّ مَعَاشِرٍ كَعَلْمِهِمْ
لِلْعِلْمِ وَالْآدَابِ فِي كُلِّ الْوَرَى
مَنْ أَيْنَ كَانَتْ مِصْرٌ فِي أَقْبَاطِهَا
أَبْتِ الْعَرُوبَةُ أَنْ يَفُوقَ هَرَارَهَا

تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
لَمْ تَنْتَحِبْنَا مِصْرًا فِي أَنْسَابِهَا^(١)
مَتَوَالِي النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا^(٢)
فِي مِصْرٍ يَعْصِبُ مِنْكَ أَهْلُ جَنَابِهَا
مَا إِنْ تَرَى فِيهَا لِقَوْلِكَ آيَهَا^(٣)
أَنْ لَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَعِيدُ مِشَابِهَا
وَسِوَاهُ مَفْضُولٍ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا
مَقْصُورَةٌ فِيهَا عَلَى كُتَابِهَا
مَنْ فَرَطَ ضَلَّتْهَا أَوْلَاؤُ الْبَابِهَا^(٤)
جَاءَتْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي اسْتِنَابِهَا
دَارٌ مُحَرَّمَةٌ إِجَافَةٌ بِأَبِهَا^(٥)
كَمِوَاطِنِ الْأَعْرَابِ فِي إِعْرَابِهَا
صَرَدَ زَقِيٌّ فِي مِصْرٍ زَقِيٌّ غِرَابِهَا^(٦)

عتاب وولاء

أَقِيمِ رَايَةَ تَحْمِيدِيٍّ وَشُكْرَانِيٍّ
أَقِيمِنَا رِمَزَ تَعْظِيمٍ عَلَى نَشْرِ
لِلشَّهِيمِ ذِي الْأَدَبِ الزَّاكِيِّ بِمَحْتَدِهِ

لِلشَّاعِرِ الصَّادِقِ الْإِحْسَاسِ نَعْمَانِ
مَنْ الْقَرِيضُ رَفِيعٌ لَيْسَ بِالْدَانِي
فِرْعَ النَّوَابَةِ مِنْ عَلِيَاءِ عَدْنَانِ

(١) تحيد : تميل . وانتخبنا : دعينا .

(٢) النزعات : جمع نزعة ، وهي الحب مع الهوى .

(٣) نوهت بفلان : أشدت بذكره وأبه فلان بفلان : فطن له ، واحتفي به .

(٤) ضلتها : ضللتها . (٥) إجافة الباب : إغلافه .

(٦) الصرد : طائر . وزقى : صاح وصوت .

من جاءني بقواف جد زاهية
قد زانهم بوشى من بدائعه
لما شدوت بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من الفاظها دررا
لقد فعلن بنفسى حين أنشدها
فقلت والنفس تطفو في مسرتها
يا شاعراً تطرب الدنيا نشأته
أنشدتني رقى تحكى بروعتها
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به
إن كان بالشجن الماضى يذكرنى
هذا لعمرك شعر قد سررت به

* * *

إليك أرسل يا نعمان قافية
أشربت حب بلاد ما نشأت بها
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
يا موطننا لست منه في موادة
فكل من فيك تغنينى سعادتهم
إن سرك الدهر يوما سرنى وإذا
ما ضرنى أن كل الناس تحقرنى
وليس ينفعنى عز ولا شرف
لو ملكونيك عن قهر بلائقة
آليت منذ بلغت الحلم فى وطنى
تنبئك عن شغفى فى حب أوطان
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى
عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
وكل أبنائك الأعداء إخوانى
أذاك بالمرجعات الدهر آذانى
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان
ما كنت غير ظلوم فيك خوان
أن لا أقابل نعماه بكفران

وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ آرْزُهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفَقِ فِي تَحْرِيرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتِ
لَوْلَا التَّعَادَى الَّذِي تَشْقَى الْوَحُوشُ بِهِ
يَا قَوْمِ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتِكُمْ
وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيُنْقِذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَارِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلْقَيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مِخَصِمَتِي
تَحْتَارُ نَفْسِي الطَّوْرَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً
أَعِيشْ عَيْشَةَ (عَنْدِي) وَهُوَ ذُو جِدَّةٍ
الْعِزُّ أَكْبَرُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعٍ
فَالذَّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةً
وَمَا الطَّعَامُ بِمَا كَوْنُ اللَّذْتِ
وَفِي التَّفَارِغِ غِنَى الْمُسْتَقِيمِ بِهِ
وَكَأَنَّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانَ عَارِيَةً
وَأَنْ ذَكَرْتُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا

بِالنَّصْرِ أَوْلَى أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ.
بَنِيَتْ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرُ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرَتْ أَرْضُ بَعْمَرَانَ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرِيبَانٍ
مِمَّا بَكُمْ حَلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخَسْرَانَ
وَإِنْ يَكُنْ شُظْفِي فِي الْعَيْشِ أَصْوَانِي
فَالنَّعْمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سِيَانِي
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ الْمُبْطَانِ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيْدًا شَبَهُ عَرِيَانِ
وَالذَّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جَوْعٍ لَجُوعَانَ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ الْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانِ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيْطًا بِالْوَانِ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانِ
يُحْيِي التَّنَاءُ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي

• • •

يَا لَاهْجِينَ بَشْتَسِي فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَاتْمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمُو جِدْلِي
وَخَضَمْتُمُ الْبَاطِلَ الْيَمْدِي بِنَعْرَتِهِ
وَمَنْ عَنَاءَ الْيَلْبَابِي أَنْ يَجَادِلَنِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أَحْرِقْتُمْ مِنْ لُظِي هَجْوِي بَنِيْرَانِي
حَتَّى بَدَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَلَانِي
شَتَى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبِهْتَانِي
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي

إلى التمول عن زهو وطغيان
فالعشر ديدانكم والنصح ديداني
عزما يؤيده بالله إيماني
بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
عنى الأخلاء من شيب وشبان
من كل أحمر هيان بن بيان
مستعجم القول جافى الطبع مرطان
ولستم في السجايا غير غريان
وأن يكن جاء في مسالخ إسان
في أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
وتشمخون إلى آفاق كيوان
أيدي الأجانب تل الجارم الجاني
في رعدة بنسان الخائف العاني
وتضمرون ضمير الفاجر الزاني
لعاذ بالله منها كل شيطان
شعر أتي من زكي النفس نعمان
كل الكواكب من قاص ومن دان
أهل المكارم من أبناء عدنان
ريان من شرف بالمجد مردان

بل يترك القول من عجز ومن خور
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم
وأن لي في إباي كل شائنة
ولا أريد قصاصا من شاتمكم
تلكم سجية حر النفس يذكرها
يا منتمين إلى عرب وهم عجم
سمح الملامح في عشونه صهب
كيف استويتم صقورا في مجاثمكم
وما بكم غير فرد في جبلته
إذا تسميتمو عربا فلا عجب
تستنثرون صفاراً في معاطمكم
ورب مستكبر منكم تثلثه
فيستكين لهم حتى يكتمهم
كم تظهرون عفافا في تدبيركم
لو كان في الجن شيء من خباثتكم
هذي قواف دعاني أن أبوح بها
ذاك الأديب الذي باهى بسيرته
وباهرت في مساعيه مكارمه
أكرم به يافعا شرح الشباب به

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر
فترسلها غرًا هواتفًا بالعسلي
وتشدو بها والقوم صمٌّ عن العلي
أترجو من الحساد عونًا وناصرًا
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
رؤيدك إن القوم ليسوا كما ترى
فلا تغتر منهم يباد فاعما
رمتهم يد الأيام من جشع بهم
بداءين قتالين حمت نفوسهم
وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
لذلك ترى كلاً يعيش لنفسه
إذا جثتهم أبدوا إليك بشاشة
وإن غبت عنهم أوسعوك مذمة
وقد ينكرون العار فيهم تجاهلا
فدعهم وما هم فيه من جاهلية
فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
ونزه بليغ الشعر عنهم بتركة
سكبت بحور الشعر قبلك خائضًا
وسيرت من غر القوافي بلجها
بكيت بها المجد المضاع بأدمع

إلى كم تناعى بالقوافي السواحر
يرود منها سمعه كل شاعر
فلم تلق إلا غير واع وذاكر
فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
فهل أنت مغرور ببيض المسافر
لدى كل ذي علم بما في السرائر
ظواهرهم منقوضة بالضمائر
ومن بطر فيهم بداء الضرائر
فساد السجيا والتمساح العناصر
أنانية حنت عقود الأواصر
على عكس عيش عند أهل الحواضر
وحسن ابتسام من ثعور مواكر
كأن لم يبثوا منك قبلا لوائر
فيلقونهم بالمنظر المتخازر
يدجون منها في الدياحي الكوافر
يعودون في العقبى بصنفة خاسر
لكل كذوب بينهم مقشاعر
اعمرك منها كل طام وزاخر
قصائد سارت كالسفين المواخر
من الشعر شروى المألؤ المتناثر

ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم أَلْفِ إِلَّا مُنْكَرِينَ مَكَانَتِي
وكما راعني منهم تَمَاسِيحُ خِصَّةٍ
فَقَابَلْتُهُمْ بِالصَّفْحِ عَنْهُمْ تَرْفَعًا
أنا اليومَ من هذى الحياة على شَفَا
سأرحل عنهم عاتداً من شرورهم
مَنَاحَةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ الْحَرَاثِرِ
يَحِيدُونَ عَنِّي كَالْوَحُوشِ النُّوَافِرِ
تريد ازدرادى بالخلق الفواغر
وأعرضت عن شتم السفيه المأتري
أشرف منه مَرَقَدِي فِي الْمَقَابِرِ
بِرب كريم قَابِلِ التَّوْبِ غَافِرِ

في حفلة الميلاد النبوي

وضح الحق واستقام السبيل
قام يدعو إلى الهدى بكتاب
طالباً من المجد غاية قصوى
ووصولاً إلى مقام رفيع
همة دونها الكواكب نوراً
بعظيم هو النبي الرسول
عربي قرآنه ترتيل
صده عن بلوغها مستحيل
عز من قبله إليه الوصول
واعتلاء يعلوه به ويطول

• • •

جرد الله منه ثلح سيفا
فيه عزم للمهلكات قحوم
ودهاء لو ما كرته دواهي
تدلم الخطوب والرأى منه
كل أوصافه الجلياة بدع
كان ضدين حده والفلول
واضطبار للتأببات حمول
الدهر طرا لاغتالها منه غول
في دجاها كأنه قنديل
فهو من عبقرية مجبول

• • •

أطلق الناس من تقاليد جهل
كل فرد منهم بها مغلول

وشفاهم بهديه من ضلال
أنهض القوم للعلاء وكانت
فاستقالت به على الدهر يقضى
تلك في الدين نهضة هي
نهضة عالمية في وعاها
هي كالبرق سرعة والتماعا
خضعت فارس لها عن صغار
وإني اليوم قائم في الهند منها
يعرف النيل فضلها وعلاها
وبها الأرض والسماوات ترضى

* * *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا
حيث عدنا وفي النهوض قعود
واختلفنا في الدين حتى اختلفنا
والتزمنا الفروع منه فضاعت
كل حزب بما لديه فخور
بدع في حياتنا منكرات

* * *

حالة ساءت الرسول وساءت
لو رأنا والشر فينا كثير
وثغور الضلال مبتسمات
والدعاوى في الحق منا كبار

كل آى بها أتانا الرسول
مستفيض والخير نزر قليل
ووجوه الهدى عليها محول
طال فيها التزمير والتطويل

نعبُد الله والعبادة لحن
ونحج القبور كالبيت حجا
ونعد الركوع للقبر حلا
ونزجى إلى القبور ندورا
ونقول التوحيد قولاً وكل
قال مستكراً لما نحن فيه :
أين دين التوحيد منكم وأين
أنا حرمت كل ما كان فيه
كل من قال منكم إن هذا
لِإِيمٍ لِمَ تحفظون إخوة دين
كان جبل الإخاء فيكم وثيقاً
نست منكم بيأس بل نهوض
فأجمعوا الشمال ناهضين فإن
عند بعض وعند بعض عويل
يكثُر المسح فيه والتقبيل
وهو في الدين ما له تحليل
فضحايًا مسوقة وحول
هو للشرك عامد وفحول
ما بهذا قد جاءني جبريل
الأوب لله وحده والتقول
شبه للأصنام أو تمثيل
هو دين الإسلام فيو جهول
جاءكم ناطقاً به التنزيل
كيف أمسى وعقده محلول
منكم بعد فترة مأمول
الكفر في الدين عجركم والحول

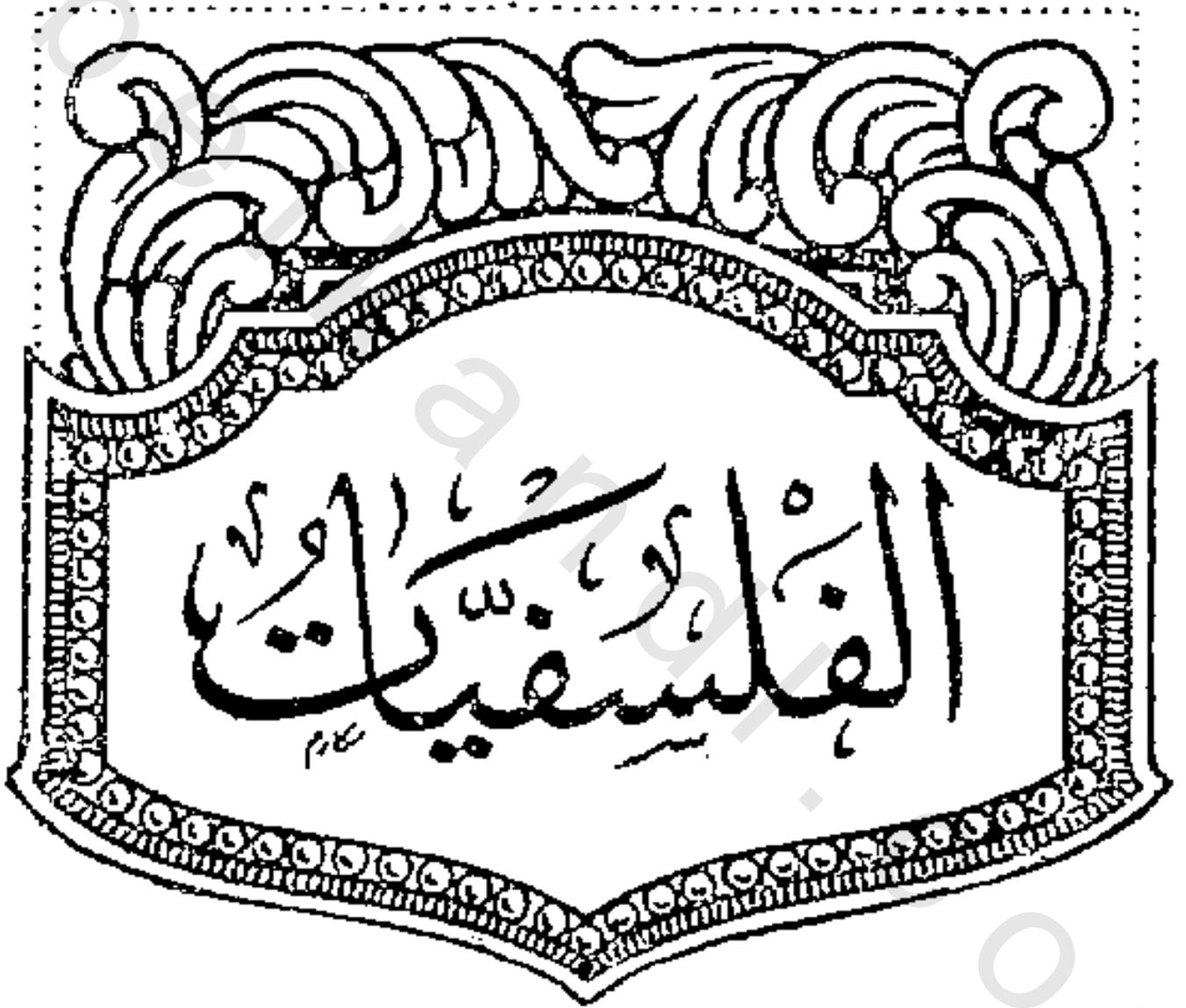
إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال
إن يطب في حياتنا الاجتماعية
وإذا كان في البلاد ثراء
نحن خلق المقدرات وفيها
عندنا اليوم في الحياة نظام
حيث يسعى التعمير يسعى أجبر
فترى الكثيرين في طيب عيش
ليس إلا نتيجة الأعمال
فبفضل الإنتاج والابدال
لا حياة للعاطل المكسال
قد حوى كل باطل ومحال
لغنى مستأثر بالغالل
أرغذته لهم يد الاقلال

وترى الغائضين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في النعيم يلهو وألف
حالة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضا لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثناها
فإلى كم نشقى وحتى م نبي
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نحى إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامنت
موصلات إلى السعادة في العيش
ليس المرء أن يعيش بلا كد
كل مجد يبني على غير معنى
ليس قدر الفتى من العيش إلا
ما رءوس الأموال إلا أداة
مثل شد الأحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها

لسواهم ما أخرجوا من آلى
كعبيد والنوسرين موالى
قدموا في قصورهم والعلالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الخاتل الختال
من خياناتنا مسح الثعال
قدما من العصور الخوالى
هكذا في عمارة وضلال
فيا يختص في الأموال
قدما في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمال
هواد إلى طريق التعالى
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجد مهدد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالى
المساعي كالحبيل للأحمال
ودنانيرها لها كالحبال
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذلك بسطة في الكمال
لا تحق الحياة للبطال

إنها مثل حومة الحرب ما دارت
وسوى الخلق ما بها من سلاح
بطل الحرب مثله بطل السعى
ونشاط منه يبيض المساعي
أيها العاملون إن اتحاداً
ما لعيش تشقون فيه سقاما
فليكن بعضكم لبعض نصيراً
وإذا قلت أنكم أنتم الناس جميعاً
فاعملوا دائبين غير كسالى
ثم قولوا معي مقالا رفيع الصوت
فلتحي زمرة العمال
رحاها إلا على الأبطال
وسوى الكد ما بها من قتال
ومنه الأعمال مثل الصيال
مثل إشراعه لسل العوالى
بينكم فرخص لكم كل غال
بسوى الاتحاد من إبلال
ومعيناً له على كل حال
فلا أكون مغال
وارقبوا ما به ستاتي الليالى
فلمحة صوت



خواطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسار له جبرٌ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كفَّ الحياة على الحجا ستاراً فعلم القوم في كنهها نزر^(١)
فقمنا جميعاً من وراء ستارها تقول بشوقٍ : ما وراءك يا ستر؟
حكمت سرحةً فنواء نبصر فرعها ولم ندر منها ما الأنايش والجذر^(٢)
وقد قال بعض القوم إن حياتنا كليل وإن الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقةً فيأشده ما قد شاقني ذلك الفجر
ورُوح الفتى بعد الردى إن يكن لها بقاء وحسٌ فالحياة هي الخسر
وإن رقيت نحو السماء فخبذا إذا أصبحت مأوى لها الأنجم الزهر

* * *

وأعجب شأن في الحياة شعورنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجر^(٣)
وللنفس في أفق الشعور مخايلٌ إذا برقت فالفكر في برقها قطر
وما كلُّ مشعور به من شئونها قد يرث على إيضاحه المنطق الحر
ففي النفس ما أعيى العبارة كشفه وقصر عن تبيانه النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

(١) يقول بهذا البيت والذي بعده : إن لنا من حياتنا ستراً مسدولاً على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلامنا قائم عند الستار وهو يسأل قائلاً : ما وراءك يا ستر؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفنواء : كثيرة الأذناب ، واسعة الظل . وأنايش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . بين في البين السابقين جم : بما بعد الحياة ، أي بمنتهىها ، وبين بهذا البيت جهلاً بما قبلها : أي بمبتدأها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشيء علم حس ؛ والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والنظرية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شعور الحياة ، فانها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعينات .

ويأرب فكر حاك في صدر ناطق
ويأرب معنى دق حتى تخاوصت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغا عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
وذاك لأن الشعر أوسع من لغا
وما الشعر إلا كل ما رنح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاغتندى
فمن نقتات الشعر سجع حمامة
ومن شذرات الشعر حوم فراشة
ومن صحكات الشعر دمة عاشق

فضاق من النطق انفسح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها أخزر^(١)
كفاية معنى فاقه العد والحصر^(٢)
يتيه إذا ما طار في جوّه الفكر^(٣)
لما كان في قول الحجاز لما عذر^(٤)
تنظم أحياناً كما تنظم الدر
يكون على فعل اللسان لها قصر
كما رنحت أعطاف شاربها الخمر^(٥)
مهبجاً كما يستن في المرح المهر^(٦)
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^(٧)
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكك الموصل ما فعل الهجر

(١) تخاوصت : أى غضت من بصرها شيئاً . يقال : تخاوص : إذا غض من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شىء دقيق . والخزر : جمع خزراء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعاني ما يدق حتى تقصر عن بيانه الألفاظ .
(٢) أسومه : أى أكلفه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعاني غير متناهية ، فكيف يحيط المتناهي بغير المتناهي .

الفكر : ترتيب أمور معلومة لتأدى إلى مجهول ، والفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة الخابل للنفس . والخابل : هى السحب المنذرة بالخطر ، فإذا برقت فى النفس خابلهما ، كان خطرهما الفكر .

(٤) يقول : إن البقاء لا عذر ذم فى استعمال الحجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعانى المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لسكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمشور ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين فى الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر فى المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فن نقتات الشعر » الخ . . .

(٦) مهبجاً : منقلاً تأثر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَعَاتِ الشعرِ نظرةٌ غادةٌ
ومن بَهْرَاتِ الشعرِ رنةٌ ثا كل
ومن نَفْحَاتِ الشعرِ ترجيعٌ مُطْرِبٌ
وإن من الشعرِ ائتلاقٌ كواكب
وإن لريحانينا شاعرية
وما الشعرُ إلا الروضُ أمّا أميننا
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن

بنجلاء تسي القلب في طرفها فتر^(١)
مُفجَّعةٌ أودى بواحدِها الدهر
تعاورَ تجرَى صوته الخفضُ والنبر^(٢)
يُجْحُ الدُّجَى باتت يضاحكها البدر^(٣)
من الشعر فيها يقال هي الشعر
فريحانة ، وأخلق منه هو النشْر^(٤)
لعمْرُ النهى للشعر عند النهى قدر^(٥)

وجه ابن آدم

لله سرٌّ في الأنام مُطْلَسٌ
براً ابن آدم وهو إن لم تلقه
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً
أمّا العجيب من ابن آدم فهو ما
والوجه أعجب ما رأيت وإنه
هو من طراز الله إلا أنه
أما الحواجب فهي فيه كواشف

حار الفصيح بوصفه والأعجم^(٦)
في الخلق أقدم فهو فيه مُقدّم
ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
نسق الكلام به إذا نطق الفم^(٧)
ليحار في سجنائه المتوسّم^(٨)
بسرائر النفس الحديثة معلّم^(٩)
والعين فيه عن الضمير تترجم

- (١) نجلاء : عين واسعة .
(٢) تعاور : تراول . التبر : رفع الصوت بالكلام والغناء ونحوها . (٣) ائتلاق : لمعان .
(٤) النشْر : الرائحة الطيبة . (٥) النهى : جمع نهيبة ، وهي العقل .
(٦) المطلس ، بصيغة المفعول : من طلسم الساحر إذا كتب الطلام ، والبراد يكون السر
مطلسها أنه كتب عليه طلسم بالألوان يصل إليه أحد .
(٧) أي أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تكلم نسق بواسطتها الكلام .
(٨) السجناء : محرّكة وكصجراء : الهيئة واللون . المتوسّم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب
سمته ، أي علامته .
(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز
فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول :
المجعول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولربَّ خافيةٍ يكتُمها الفَتَى والوجه منه بسرّها يتكلم
كلُّ يشير إلى السريرة وجهه فكأنه بضميره متلّم
فالوجه فيه من القرونة مسحة للخافيات بها وضوح مبهم (١)
صرع النهى فالوهم فيه تيقن تحت الملامح واليقين توهم (٢)
ولربَّ وجه في تبسمه البكا ولربَّ وجه في بكاه تبسم
والأنف في وجه ابن آدم زينة فالوجه لو لا أنفه متجمّم
كالهدب في شفر العيون فإنه لولاه تنشتر العيون وتسجم (٣)

إن الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتها ويشبها الدم (٤)
بينك تقرأ حرفها متفهمًا يبدو تحرفها فلا تتفهم
فالعقل فيها عالم متجاهل طوراً وطوراً جاهل منعلم
إني أرى هذى الوجوه نواطفاً بالسِرِّ لسنن نطقهنّ مججم (٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً عنها ولكن الحديث مرجّم
فكأنني البدوي يسمع راطناً وكأنا هي أعجمي ططم (٦)

- (١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهماً عندك ، إذ لا تعلمه يقيناً .
- (٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهيّة ، وهي العقل . واللامح : ما بدأ من محاسن الوجه ومساوئه ، جم لحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .
- (٣) الهدب : شعر أشجار العيين . وتنشتر : أي تكون شتراء ، أي ذات شتر ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشاقفه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدمع .
- (٤) مطموسة : محوّة . والمراد بمحو الدم . كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وبإبائه إياها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فاهم وغير فهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .
- (٥) مججم ، بصيغة المفعول : أي غير بين ، من مججم الكلام : إذا لم يبينه .
- (٦) راطن : متكلماً بالأعجمية . وأعجمي ططم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وَجْهٍ يَسْتَبِيكُ بِحَسَنِهِ فَيَتَرَوَّحُ مِنْهُ وَأَنْتَ صَبَّ مُعْرَمٍ
يَبْدُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خَلَوٌ مِنْ هَوَى وَيَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتَ فِيهِ مُتَمِّمٍ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدْوَرُ مَضِيئَةٌ وَإِذَا أَضَاءَ فَكُلُّ بَدْرٍ مُظْلَمٍ
لِلَّهِ فِي وَجْهِهِ ابْنِ آدَمَ حِكْمَةٌ يَعْنُو النَّسْفِيَّةَ لَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّمِ

ما وراء القبر

مَتَى تُطَلِّقُ الْأَيَّامُ حَرِيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عَقْلَةِ الْأَسْرِ (١)
وَيَصْدَعُ كُلُّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقًا وَيَتْرَكَ مَا لَمْ يَدْرِ مِنْهَا لِمَنْ يَدْرِ (٢)
أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بِيَانِ حَقِيقَةِ عَزَيْنَا مَعَادَ اللَّهِ فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ (٣)
جَهَنَّمَ أَشَدَّ الْجَهْلِ آخِرَ عُثْرِنَا كَمَا قَدَرْنَا جَهَنَّمَ قَبْلَهُ أَوْلَى الْعُمُرِ
هِيَ سَاحِلٌ بِحَجْرٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا مَجَّ فَفِي أَيِّ أَمْرٍ نَحْنُ بَيْنَهُمَا نَجْرِي
وَمَنْ أَيْنَ جِئْنَا أَمْ إِلَى أَيْنَ قَصَدْنَا؟ وَفِي أَيِّ لَيْلٍ مِنْ تَشَكُّكِنَا نَسْرِي؟
كَأَنَّا أَتَيْنَا وَالْعَيْشَةَ أَجَّةً لِنَعْبُرَ وَالْأَعْمَارَ جِسْرًا إِلَى الْقَبْرِ (٤)
وَمَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِمَّا تُرِيدُهُ وَهَلْ مِنْ مَدَى بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى الْجِسْرِ (٥)
تَسْأَلُنِي نَفْسِي وَالْمَوْتَ حَمُولَةً أَلَا هَلْ لِكَسْرِ الْمَوْتِ وَيَحْكُ عَنْ جَبْرِ (٦)
لَعَلَّ حَيَاةَ الْمَرءِ لَيْلٌ سَتَنْجَلِي غِيَاهِبُهُ مِنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ بِالْفَجْرِ (٧)
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَإِنْ حَيَاتِنَا كَمَا قِيلَ سِنَّزٌ وَالرَّدَى كَاشِفُ السَّيْرِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى فَبِلِهَا عُرُوجٌ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْأَنْجُمِ الرَّهْرِ
وَهَلْ تَعْرِفُ الْجَنَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا فَتَمَكَّتْ مِنْهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى ذِكْرِ

- (١) عقلة : ما تعقل به الرجل وتقيده .
(٢) يصدع : يجهر .
(٣) عزينا : نسينا .
(٤) اللجة : الماء الكثير .
(٥) المدى : الغاية .
(٦) صولة : قوة . ويحك : رحمة لك .
(٧) غياهبه : جمع غيب ، وهو الظلمة .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها
 وهل عرَّجت أرواح من في عطارِدِ
 خيالٍ به رُحنا نعلل أنفساً
 وشبهه بالنهر الحياة معاشرِ
 ولكنهم أعياء عليهم مصَّبه
 فياليت شعري أين ينصب جارياً
 لعمرِكَ ما هذى الحياة وما الذى
 نحاول عمماً بالحياة وإنَّ ذا
 ونسلك منها في تجاهل قفرةٍ
 على أننا نمضى إلى أمر ربنا
 فما من عُرُوج بل نزول إلى القمرِ
 إلى الأرض أم هذا الكلام من الهذر^(١)
 هزَّ أن به لنا رجعت إلى الحجرِ^(٢)
 فمتبعه في رأيهم قديم الدهر
 وإن رجَّحوا بالظن في منبع النهر
 أعوداً لبدء أم إلى غايةٍ يحرى
 يراد بنا فيها من الخير والشر؟
 منوط إلى ما ليس يدرك بالفكر
 فنخرج من قفرٍ وندخل في قفر
 كما أننا آتون من ذلك الأمر

لو

لو أسكرَ الإنسان باطل أمره
 لو قاس كل شئٍ فتي سواه بنفسه
 لو أنصف الخُصمان ما اصطاد الرشاً
 لو أخلص الإنسان في إحسانه
 لو لم يشكَّ بربه متفلسف
 لم تلق غير مُعرِّدٍ سكرانٍ^(٣)
 فيما أراد لما تعادى اثبات
 أهل القضاء بما ادعى الخُصمان^(٤)
 لم يرجُح أن يجزى على الإحسان^(٥)
 في الدين لم يحتج بالبرهان^(٦)

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذيان والكلام الذى لا يجأ به .

(٢) نعلل : نلئى ونسلى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور : « لو أنصف الناس استراح القاضي » غير

أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشاش .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن عسناً في الحقيقة إلا إلى

نفسه ، فهو لذلك غير محتج في إحسانه .

(٦) أن لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك .

و أن عقل المرء يغلب حبه
 لو لا جهود في الشرائع ممالك
 لو كان قصد الدين غير سعادة الله
 لو أخلص الرجل التقى بدينه
 لا خير في تقوى امرئ لو لم يخف
 لو كان أمر الحج معتولا لما
 لو حكم العقل الحجيج بحجهم
 لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
 كذبت قريش لو تقادم عهدها
 لو كان للشيطان معنى غير ما ال
 لو يجعل الناس التعاون دأبهم
 لو أن أخلاق الرجال تهذب
 ومحبة الأوطان لولاها لما

لنفس لم يلجأ إلى الأديان^(١)
 لتغيرت بتغير الأزمان
 نيا لكان الكفر كالإيمان^(٢)
 ما كان ذا طمع ببحور جنان
 نار الجحيم لنج في العصيان
 كان استلام القوم للأركان
 أبوا الطواف بتلكم الجدران
 ما حل سبي حرائر النسوان
 في الجند ما خدعت أباغيشان^(٣)
 إنسان ما آمنت بالشیطان
 لتمتعوا بسعادة العمران
 لتكشفت حجب عن النسوان^(٤)
 عرف الأنام عداوة الأوطان^(٥)

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في تعميل أفعال الانسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفتى وتذهب سدى بعد الموت .

(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قطرة الآخرة ، وإذا كانت القطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المطوب . ومعنى البيت : أنه لو صح ما يقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا ، ولكنهما غير متساويين في الدنيا ، لأن البهامة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدي في أمور دنياه من صاحب الكفر .

(٣) قواه أباغيشان : هو زجل من خزاعة كان يلى سدانة الكعبة قبل قريش ، وأسكده وهى ، واشترى منه مغانج الكعبة بزق خر ، ثم أفانى نادما ، فضرب به المثل في الحق والندم وخسارة الصفة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تحجب النساء عندنا معاشر الشرقين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذب أحوالهم لارتفع الحجب .

(٥) أراد بحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التى يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هى أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير في المجرة لم يكن في الأرض شرّ دائم الغليان^(١)
لو تمّ في فلك الثريا سعدُها لم تُمنّ بالعيّوق والدبران
لو لم يكن فزعاً سهيلاً لم يبت في أفقه متتابع الخفقان

حقيقتي السلبية

أحب صراحتي قولاً وفعلاً وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعت من أحدٍ بأمر ولا أضمرت حسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت بوحيٍ مُنزلٍ للأنبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع من العقلاء أرباب الدهاه^(٢)
ولست من الألى وهموا وقالوا بأنّ الرّوح تعرج للسماء^(٣)
لأن الأرض تسبج في فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخراً لمفتخر يهراق الدماء^(٤)
ولا ممن قد ارتبطوا بماضٍ فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حكماً سوى الحكام أرباب القضاء
ولا ممن تودّد في حضور وعند الغيب جاهر بالعداء
ولا ممن يرى الأنساب ممّا يمتّ به الأنام إلى العلاء^(٥)

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما في الأرض على ما في المجرة ، لأنها أي الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى في الأرض شراً دائماً الغليان ، في المجرة شر أيضاً دائم الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) . هذا البيت ينظر إلى بيت المعري في الازوميات :

أفيقوا أفيقوا ياغواة فإيما ديانانكم مكر من القدماء

(٣) نخرج : تصعد . (٤) يهراق الدماء : إسالتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدي .

(٥) يمت إلى الشيء : يتصل به بسبب .

ولا مَنَّ إِذَا وَبَّؤُوا استعاذوا بتمتمة الدعاء من الوباء^(١)
ولا من معشر حَمَلُوا وصاموا لِمَا وَعِدُّوه من حسن الجزاء
ولا مَنَّ يرون الله يجزى على الصلوات بالْحُورِ الوِضَاءِ^(٢)
ولا مَنَّ يرى الأشياء تقنى بحيث تكون من عَدَمِ هواء
ولكن هُنَّ في جمع وفرق تبدلُ منهما صُورُ البقاء
ولست من الذين يَرَوْنَ فضلًا كبيراً للرجال على النساء
ولكن دالت الأيامُ حتى بهلَوْنَ هَوْلًا بهولاء

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وَإِنَّمَا عليه الورى يمشون مشية عابر
وللموت كسر ليس يمكن جَبْرُهُ بَلْفٌ ضَادٌ أَوْ بَشْدٌ الجِبَائِرِ^(٣)
وقتل الردى قتل جَبَّارٍ فلم تكن لتندرك فيه ثأرها نفس ثائر^(٤)
فإن مَنَائِمَنَا سهام عوائر وكيف اثَّارٌ في السهام العوائر^(٥)
أرى الناس طُرًّا في الردى غير أنهم ثَوَّوْا بين مقبور هناك وقابر
وما الموت إِلَّا هُوَّةٌ أدلج الورى إليها بمسود الدجَّة كافر^(٦)
فهم أبدأ يساقطون لقمعها تساقطَ عُمِّي في عماق الحفائر
أرى كل حى في الحياة ممثلاً رواية رُؤْيَا من كتاب المقادر

(١) وبَّؤوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الحور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب .
والوضاء : جمع وضيمة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضاد : الخرقه تلبث على العضو الكسير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لا دية معه . (٥) السهم العائر : الذى لا يعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا فجائِعها حَتَّى انتهت في المقابر
لقد قدّم الموتُ الحياةَ أمامه نذيراً ومن يُنذِر فليس بغادر
فلا عَجَبٌ أَنّا نرى كل ساعةٍ أكفّ المنايا داميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنَجلاً نَجلاً أباي اللّمع إني عاشق نور فجرها الوضاح
هو للعلم خير فجر تجلّي مستنيراً بأشهر الأوضح
وصرير الأقلام في الطرّس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عطرتي بشرها الفياح
فكأنني في النّفس والطرّس منها ناظر في بنفسج وأقاحي
ثم إني قرأت فيه لأسماء كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أن في النّو م ارتياحاً لنا وأى ارتياح
صدقت في الذي تقولُ ففجّوى قولها في غني عن الإيضاح

• • •

حبّذا النّومُ فهو للرّوح رّوح من عناء الهموم والأتراح
وهو تجديد قوّة ونشاط لحسوم رّوازيح أطلّاح
حبّذا النّومُ ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشباح
« تيلفون » به إلى الغيب نُصغى و « تلسكوبنا » إلى الأرواح
حبّذا النّومُ إنه شريك يمتدّ في الجسم لاصطياد ارتياح
فهو للنفس من مرّاقى المعالي وهو للجسم من دواعي الصّلاح

حبّذا النومُ فهو كالزيت للبرؤ ح به تضيء كالمصباح
وهو معراجنا إلى أفق غيبٍ لن تنأهى أبعاده والنواحي
حبّذا النومُ واصلاً بين حيّ ذى ثواء وميت ذى برّاح
حبّذا لنوم جامعا بين معشوق مقيم وعاشق ذى انزراح
إن النوم لذة هي في الأنفوس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغفمت بإدراكها عن الإيضاح
أيها القومُ إن للنوم سلطا نا قويا لا يبتنى بسلاح
نافذ الحكم في القضاء على الإنسان في حُزّه وفي الأفراح
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى وعلى الطير وهي في الأدواح^(١)

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً خفياً لا تبين له رسومُ
تطيف به الهواجسُ شاعراتٍ وتعجز عن حقيقته النفوسُ
فإن الروح للجسمان تسلوا به منها ومنه بها ورسومُ
يتم كلاهما هذا كذلك تم أمرهما القويمُ
فلا جسد يقوم بغير رُوح ولا رُوح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل بغير قرينه أبداً لزومُ
لذلك كانت الأرواح منا بحيث تهبي إذا وهت الجسومُ
ولست أظن أن الروح تبقى إذا محيت من الجسد الرسومُ
وربّما يكون لها دوام ولكن غير شاعرة تدوم

(١) دأى له بدأى دأيا ودأوا : إذا ختله ، والدأب يبدأ للغزال ، وهي مشية شبيهة بالخنزير .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وما هبطت من الخضراء ولكن من الغبراء أنبتها الحكيم^(١)

وأما هذه الأجسام منا وترويتها المشارب والمحاسبي ويوهنبا التقشف والتضنى وبعض من مطاعنا غذاء وبعض من مطاعنا وقود له في جوف آكله احتراق

فتبينها المآكل والطعوم وتذويها اللوافح والسموم ويحسنها التترف والنعيم^(٢) تحاك على العظام به اللحوم تديم به حرارتها الجسوم تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد هو النعم الرقيق من المثاني فإن الرُوح تغدوها الأغاني ويصقلها الجمال إذا رآته فلا تنفر بسمعك من غناء ولا تترفعن عن الملاهي وكن في المطربات فتى طروباً وقف عند الحدود بلا تعدٍ ولا تشتط في طرب ولهو فإن واقفتي وجريت جرّبي

به تنمو المشاعر والخلوم هو الأدب الرفيع ، هو العلوم^(٣) ويجلو همها الصوت الرخيم^(٤) وتصدئها القبائح والمهموم به غنتك شادية بغوم^(٥) ولو شهدت برفعتك النجوم فإن الناس أطربها الكريم إلى ما ليس يحمده الحليم فكل مقارف شططاً ذميم وإلا فانتك الطبع السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .

(٢) يوهنبا : يضعفها . والتقشف : التخشن في العيشة . والتضنى : تفعل من الضنى ، وهو الهزل والجهل . والتترف : النعم . يقال ترف الرجل وترفه : دله وماسكه . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضنيف .

(٣) المثال : جمع مثني ، يوزن مفعل ، وهو ما يثني ويكرر من الكلام ، في الغناء أو الإنشاد .

(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذي ليس غليظاً ولا أجش .

(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغال ، وهو صياح الظبية إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعاً عاليات يأتين بالثمـرات

* * *

إن للفلس في الثراء محلاً كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن جمعه موصل إلى العظام
يتساوى فيه السخى وذو البخيل ورب الأقاليل والمثارة
هو هين على الذي قال ها كم حين يعطيه للذي قال هات

* * *

إن ترد غرس نخلة من ثراء فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلساً كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده مسعداً مسعفاً على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان - حميداً أو ذمياً - وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات عموم ضرب من السيآت
يا شباب العراق هبوا إليه وتوخوا بجمعه البركات
إن تكونوا اعترتم الأمر فيه فالبدار البدار قبل الفوات



أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يحيش بخاطري
ويبدل ما قد عزّ لي من مَصُونِهِ (١)
ويسكن أحياناً فأشجى وإنما
تحرّك شجوى ناشئ من سكونِهِ (٢)
وقد أتوخي الحزن منه تجارياً
لنهر أراء مَوْغِلاً في نُجُونِهِ (٣)
ولكنّ نفسي وهى نفس حزينه
تميل إلى المُشجى لها من حزينه
وقد علم الراون شعري بأنهم
إذا أنشده أطربوا بلحونه
وإني إذا استنبطته من قريحتي
شفيت صدى الراوى ببرّد مَعِينِهِ (٤)
وإني على علم طويت سهوله
ولم أتخّر خابطاً في حُرُونِهِ
وإني لمأحص له بسليقة
أبت غنّه واستوثقت من سَمِينِهِ (٥)
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
إذا كان في طوعي اخشاب مَتِينِهِ (٦)
ألا لا اهتدت للشعر يوماً هواجسى
إذا هى لم تنزع إلى مستبينِهِ (٧)
ولا غصت في بحر القريض مخاطرأ
إذا لم أفز من درّه بشمينه
على أن لي طبعاً لبيقاً بوشيه
نزوعاً إلى أبكاره دون عُونِهِ (٨)
إذا انتظمت أياته في قصائدي
ترى كل بيت ممسكاً بقيرينه

- (١) يحيش : يضطرب ويتحرك ، كما تحيش القدر عند الغليان .
(٢) أشجى : من الشجر ، وهو الحزن .
(٣) أتوخي : أقصد . مَوْغِلاً : ذاهباً بعيداً .
(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العيش . والمنين : الماء الظاهر ، تراه العين جارياً على وجه الأرض .
(٥) الفث : المهزول ، ضد السمين .
(٦) الاخشاب : اذئمال من خشب الشعر يحشبه . (من باب ضرب) أى يمره كما يجيشه ، ولم يتألق فيه ، ولا تعمل له .
(٧) هجس الأمر بالقلب هجسا ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطاً فى السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوْحُ الشعري يوماً لَتُجْتَنِي
بغير اليدِ الصُّوْلَى يُمَارِ غصونه
ولم يستقدِ إلا لذي المَعِيَّةِ
يكون كراي العين رَجْمَ ظنونه (١)
وإني قد مارسته بَفَطَانَةٍ
يلوح سناها غُرَّةً في جبينه

لعمرك إنَّ الشعرَ صَمَامٌ حِكْمَةٍ
وإنَّ النهيَ معدودةٌ من قِيُونِهِ (٢)
إذا جَنَى ليلَ الشكوكِ سَمَلْتَهُ
عليه فقراه بفجـرٍ يقينه (٣)
وما الشعرُ إلا مؤنسي عند وحشيتي
ومسلي قُوادي عند وري شُجونهِ
تقوم مقامَ الدمعِ لي نَفَثَاتِهِ
إذا الدهرُ أبكاني بريئَ مَنْونهِ (٤)
وأجعله لكونِ مرآةٍ عِبْرَةٍ
فيظهر لي فيها خيالَ شئونهِ
فأبصرُ أسرارَ الزمانِ التي أنطوت
بما دار في الأحقابِ من مَنجُونهِ (٥)
والشعرُ عين لو نظرت بنورها
إلى الغيبِ لاستشفقت ماني بطونه
وَأدْنُ لو استصغيتها نحو كاتم
سمعت بها منه حديثَ قُرُونِهِ (٦)

وليلٍ إلى شعراه أرسات فكرتي
رسولاً بشعري حاملاً لِرَقِينِهِ (٧)
سلي الليل عنى نَسْرَهُ وَسِمَاكَهُ
ونجمَ سُهَابِهِ وَالجُدَى خَدِينِهِ (٨)

- (١) استفادته الأمر : ذل وانقاد . الأنيمة : مصدر صناعي من الألمع . والألمع والألمى ، واليلمع واليلمى : الداهي الذي يتظن الأمور فلا يخطئ . ، وإذا ألمع له أول الأمر عرف آخره ، كقني بظانه دون يقينه ، مشتق من النعم ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفي .
- (٢) الصمصام : السيف . والنهي : جمع نهيبة ، وهي العقل .
- (٣) قراه بتخفيف انراء وتشديدها : مزقة .
- (٤) النفثات : جمع نفثة ، وهي ما يلفظه الانسان من فم من بصاق ونحوه . شبيهه خواطره ومعانيه بالنفثات .
- (٥) المنجئون : الدولاب ، يستقي به الماء لإرواء الأرض .
- (٦) القرون : النفس . (٧) الرقين : الكتاب المزين .
- (٨) النسر والسماك والسها والجدي (تصغير جدي) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه طالما سهر في صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بت في نهر المجرة في الدجى من الشعر أجرى مُنشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدنا لِمَا عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهدته
في الأعظمية عياناً من منظر الغروب

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً مَبْتُولاً^(١)
تهتز بين يد المغيّب كأنها صبّ تملّل في الفراش عليلاً^(٢)
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاربها الدماء أصيلاً
مذحان في نصف النهار دلوكها هبطت تزيد على التزول نزولاً^(٣)
قد غادرت كبد السماء منيرةً تدنو قليلاً نالافول قليلاً^(٤)
حتى دنت نحو المغيّب ووجهها كالورس حال به الضياء حنولاً^(٥)
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأيدت صفرةً وذبولاً^(٦)
غربت فأبقت كالشواظ عقيبتها شففاً بحاشية السماء طويلاً^(٧)
شفق يروع القنب شاحب لونه كالسيف ضمخ بالدماء مسلولاً^(٨)

(*) من الديوان الأول .

- (١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقريته المقام الذي هو وصف غروبها .
- (٢) الصب : وصف من الصباية ، وهي العشق . وتملّل : تقلّب في فراشه من الأرق أو المرض .
- (٣) دلوك الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضاً .
- (٤) الأنول : الغروب .
- (٥) الورس : نبت أصفر ، يزرع باليمن ويصنع به . أو هو صنف من الكراكم .
- (٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو العرجس البري .
- (٧) الشواظ : بضم الشين وكسرهما : اللهب الذي لا دخان فيه .
- (٨) الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازج أدمعاً هملت بها عين اليتيم هولاً (١)
رقت أعاليه وأسفله الذي في الأفق أشبع عُصْفَرًا محلولا (٢)
شفق كأن الشمس قد رفعت به رُدْنًا يذوب ضيائها مبلولا (٣)
كالخود ظلت يوم ودع إلفها ترنو وترفع خلفه المنديلا (٤)
حتى توارت بالحجاب وغادرت وجه البسيطة كاسفًا مخدولا
فكأنها رجلٌ تحرم عزه قرع الخطوب له فعاد ذليلا
وانحطت من عُرف النباهة صاغراً وأقام في غار الهوان خولا

* * *

لم أنس قُرب (الأعظمية) موقفي والشمس دافية تريد أفولا
وعن اليمين أرى مروج مزارع وعن الشمال حدائقاً ونخيلا
وتروع قلبي للدوالي نعة في البين يحسبها الحزين عويلا (٥)
ووراء ذلك الزرع راعى ثلثة رجعت توئم إلى المراح قفولا (٦)
وهناك ذو برذونتين قد انثنى بهما العشي من السكراب نجيلا (٧)
وبتمتهى نظري دخان صاعد يعاو كثيراً تارةً وقليلاً
مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل بالأرض متصلاً يمدُّ أصولاً
وتراكبت في الجوّ سُود طباقه تحكى تلولا قد حمان تلولا
فوقفت أرسل في المحيط إلى المدى نظراً كما نظر السقيم كليلاً

(١) الضمير في يحكى : يعود إلى الشفقى في انبت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم .
مازجته دموع يتيم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فامحاً وهو مع ذلك مشعر بالحزن .
(٢) العصفور : نبت أصفر ، يصنع به . (٣) الردن : أصل الكيم .
(٤) الخود : الفتاة الحسننة الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء في الأخير .
(٥) الدوالي : جمع دالية ، وهى الناعورة تدبرها البقرة . والذرة : بالفتح : المرة من نعر
لذا صوت .

(٦) الثلث : القطيع من الغنم . والمراح : المساكن تروح إليه الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .
(٧) السكراب مصدر كرب الأرض كرباً وكرباً : قلبها للحرث ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غرّبت ولما ودّعتْ
غابت فأوحشتِ الفضاء بكثرة
حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
وأتى الظلام دجّةً دجّةً
ليل بغيبه الشخصوس تلفعتْ
ثم اثنتيت أخوض غمر ظلامه
إن كان أوحشني الدجى فتجومه
سبحان من جعل العوالم أنجما
كم قد تصادمتِ العقول بشأنها
لا تحتقر صغر النجوم فإنما
دارت قديمافي الفضاء رحي القوى
فاقرأ كتاب الكون تلق بمنته
ودع الظنون فلا وربك إنها
أبكت حزوناً بعدها ومهولا
سقم الضياء بها فزاد نحولا
غير الظلام هناك عزرائيلا
يرخي سدولاً جمةً فسدولاً^(١)
فظللت أحسب كل شخص غولاً^(٢)
وتخذت نجم القطب فيه دايلا
بعثت لتؤنسي الضياء رسولا
يسبحن عرّضاً في الأثير وطولا
وسعت لتكشف سرها المجهولا
أرقى الكواكب ما استبان ضئلا
فعدا الأثير دقيقها المنخولا
آيات ربك فصلت تفصيلا
لم تغن من علم اليقين قتيلا

(١) الدجّة: الظلمة . والسدول : جمع سدول ، وهو الستر .

(٢) الغيب : شدة سواد الليل والمجل ونحوه .

لمسلة في ملهى^(*)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ أخذ جماعة
من فضلاء فلسطين ، معهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى
مرقص من مرقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا
عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

ظرب الشعر أن يكون نسيباً مَدَّ أجالت لنا القوامَ الرطيباً
وتجلت في مسرح الرقص حتى أرقصت بالغرام منا القلوباً^(١)
أقبلت تنثني بقصدٍ رشيقي ألبسته البرد القصير قشياً^(٢)
قصرت منه كمه عن يديها وأطالت إلى النهود الجيوباً^(٣)
حبس الحصر حيث ضاق ولكن أطلق النحرَ باديا والتريبا
هو زى يزيد في الحسن حسنا من تزيًا به ، وفي الطيب طيبا
خطرت والجمال يخطر منها في حشا القوم جثيةً وذهباً
وعلى أروس الأصابع قامت تتخطى تبخترًا ووثوباً
يعبس الأنس أن تروح ذهاباً ويعيد ابتسامه أن تئوبا
فهي إن أقبلت رأيت ابتساما وهي إن أدبرت رأيت قلوبا
نحن منها في الخالتين ترانا نرقب الشمس مطعماً ومغيبا
تضحك الجوّ في الصباح طلوعاً ثم تبكيه في المساء غروباً
أظهرت في المجال من كل عضو لعباً كان بالقلوب لَعوباً
حيزتنا لما أرتنا عجبياً فعجبياً من رقصها فعجبياً

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تشرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذي يلعب
فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكاتين يقدم الرأ فيه على السين (مسرح) وهو
خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الشدين ، وليس المراد الفتحة

التي يوضع فيها المنديل والكيس ونحوهما .

شابهت عطفة العصور اثناء
 تلفت الجيد للرجوع انصياعا
 تثب الوثبة الخفيفة كالبر
 حركات خالها سگنات
 وخطا تفصح العقود اساقا
 بسست كوكبا ومرت نسيا
 لو غدا الشعر ناطقا بلسان
 او غدا الحسن شاعرا ينظم الحب
 هي كالشمس في البعاد وإن كا
 عمت الناس بالغرام فكل
 زهرة تبهج النواظر حسنا
 هي دأى إذا شكوت من الدا
 وأتت بعدها من الغيد أخرى
 فأرتنا من الجبين صباحا
 حملت بندقية صوبتها
 واستمرت رميا بها عن بدان
 تحسن الرمي تارة مستقيا
 وانكبأبا إلى الأمام وإقعا
 وحكت خطرة النسيم هبوبا
 كفظيم رأى على البعد ذيبا^(١)
 ق صعودا فى رقصها وضبوبا^(٢)
 يقف العقل بينهما سايبا
 نظمها تسرعاً وديببا^(٣)
 وشدت بلبلا وفاهت خطيبا
 لتغنى بوصفها عندليببا^(٤)
 قريضا أبدى بها التشيببا
 ن إلينا منها الشعاع قريبا
 قد غدا عاشقا لها ورقيببا
 ورؤا وتنعش الروح طيببا
 وطبي إذا أردت طيببا
 يقتفى إثرها الجمال جنببا
 ومن الخد كوكبا مشبوبا^(٥)
 نحو مستهدف لها تصويببا^(٦)
 لطفه ضامن له أن يصيببا
 وإلى الخلف تارة مقلوببا
 ساء كثيراً إلى الوراء عجيببا

(١) الجيد : العنق . والانصياع . النكوص والرجوع بسرعة .

(٢) صبوبا : انحدر .

(٣) الديق : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المغردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمي فى الحرب . عرفت فى القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات فى قنبر البندق الذى يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرمى بها قذائف من الرصاص نفذ فى الجسم ، وترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وَهَيَّ فِي كُلِّ ذَا تَصِيبِ الرَّمَايَا مِثْلَمَا طَرْفَهَا يُصِيبُ الْقُلُوبَا
لَوْ أَرَادَتْ رَحَى الْغُيُوبِ وَأَغْضَتْ لِأَصَابَتِ خَفِيهَا الْمَحْجُوبَا

مَشْهَدٌ فِيهِ لِلْحَيَاةِ حَيَاةٌ تَتْرَكَ الْوَالِدَةَ الْحَزِينَةَ طَارُوبَا^(١)
قَدْ شَهِدْنَا لَيْلَةَ جَعَلْتَنَا نَحْمَدُ الدَّهْرَ غَافِرِينَ الذُّنُوبَا
بَيْنَ رَهْطِ شَمِّ الْعَرَانِينَ يَنْفِي الْهَمَّ عَنِ حَلِيثِهِمْ وَالصُّكْرُوبَا^(٢)
كَرَّمُوا أَنْفُسًا وَطَابُوا فِعَالًا وَسَمَّوْا مَحْتَدًا وَعَفَّوْا جُيُوبَا
كُلُّ ذِي نَجْدَةٍ تَرَاهُ لَدَى الْفَعْلِ كَرِيمًا فِي الْمَقَالِ أَدِيبَا
تِلْكَ وَاللَّهِ لَيْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِي فِي بِلَادِي قَضَيْتَهَا أَمْ غَرِيبَا
كِدْتُ أَنْسَى بِهَا الْعِرَاقَ وَإِنْ أَبْقَى نَدُوبَا بِمَهْجَتِي فَنُدُوبَا^(٣)
يَا سَوَادَ الْعِرَاقِ بَيَّضَكَ الدَّهْرُ فَأَشْبَهْتَ مَقَاتِي يَعْقُوبَا
شَمَلْتَ رِيحَكَ الْعَقِيمُ وَقَدْ كَانَتْ لِقُوحًا تَهَبُ فِيكَ جَنُوبَا
أَيْنَ أَنْهَارِكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ ضَغَالًا بِسَيْحِهَا وَحُبُوبَا^(٤)
إِذَا حَكَتْ أَرْضَكَ السَّمَاءُ نَجُومًا مَاحِيَاتِ أَنْوَارِهَا الْجُدُوبَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَضَارَةِ بَغْدَا دَاسْتَحَالَتْ كَدُورَةٌ وَشُحُوبَا
أَيْنَ بَغْدَادُ وَهِيَ تَزْهَوُ عُلُومًا وَزُرُوعًا وَأَرْبَعًا وَدُرُوبَا
أَقْفَرْتُ أَرْضَهَا وَحَاقَ بِهَا الْجَهْلُ فَجَاشَتْ دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا^(٥)

(١) المراد بالطروب هنا: المسرور . وقد يكون الحزون أيضا في غير هذا الموضع .

(٢) أشم العرنيين : مرتفع قبة الأقف ، كناية عن الأباء والشمم وعلو النفس .

(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٤) السيح : النهر يسبح مائه على وجه الأرض ، أى يسيل .

(٥) « جاشت دواها وخطوبا » : اضطربت من كثرة الدواهي والخطوب .

في انقطار (*)

ظلمت لي ركاب القطار من الآستانة إلى سالانيك سنة ١٨٩٨

تذكرت في أوطاني الأهل والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابلُهُ سكباً

وبت طريدَ النوم أختلس الكرى

بشاخص طرف في اللجى يرقب الشهباً

كئيب كأن الدهر لم يلق غيره

يقبل كروباً بعضها فوق بعضها

وإني إذا ما الدهر جرَّ جريرةً

وقد علم القوم الكرام بأنني

وأني أخو عزم إذا ما انتضىته

وأني أعاف الماء في صفوه القذى

ولكن لي في موقف الشوق عبرةٌ

إذا ضربت أوتار قلبي شجونه

عَدُوًّا قَالِي أَنْ يهادنه حرَّبا

إذا مارى كريباً رأى تحته كريباً

لَتَأْتِي نَفْسِي أَنْ أُكَلِّمَهُ عَتَباً

غلام على حب المكازم قد شبَّأ

بنا كل غضب عنه أو أنكر الضرباً (٢)

وإن كان في أحواضه بارداً عذباً

تَسَاقِطُ مِنْ أَجْفَانِي اللُّؤْلُؤُ الرِّطْبِ (٣)

بدت نغمت ترقيص الدمع منصباً

قطارا كصف الدَّوْح تسحبه سحبا (٤)

• • •

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها

لها منخر يبدى الشواطئ تنفساً

تمشَّت بنا ليلاً تجرُّ وراءها

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أفسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه في القرآن : « تالله نفثاً تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيفه : إذا سلاه من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . وبنو السيف عن الضريبة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه بالليل ، واسكنته جعلها لآلى رطبة .

(٤) الدوح : جم دوحه ، وهي الشجرة الواسعة الظلال .

فَطَوْرًا كعصف الريح تجري شديدةً وطورا رخاءً كالنسيم إذا هبًّا (١)
تساوى لديها السهل والصعب في السرى

فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعباً (٢)

تلك متون الحزن دكاً وإيها لتنهب سهل الأرض في سيرها نهباً (٣)
يمرّ بها العالى فتعلو تسقفا ويعترض الوادى فتجتازه وثباً

وتحترق الطود الأشم إذا انبرى وقد وجدت من تحت قنته نقباً (٤)

يرن بجوف الطود صوت دويها إذا ولجت في جوفه النفق الرحبا (٥)

لها صيحة عند الولوج كأنها تقول بها يا طود خل لي الدربا (٦)

وتمضى مضى السهم فيه كأنما ترى أفعواناً هاأجماً دخل الثقبا

تغالب فعل الجذب وهى ثقيلة فتغلب بالدفع الذى عندها الجذبا

طون بالمسير الأرض طيًّا كأنها

تسابق قرص الشمس أن يدرك الغربا

وما إن شكت أيننا ولا سئمت سرى

ولا استهجت بعدا ولا استحسننت قربا (٧)

عشية سارت من فروق تقلنا وتقذف من فيها بوجه الدجى شهباً (٨)

فما هى إلا ليلة ونهارها وما قد دعونا من سلايك قد أبى (٩)

فجئنا ولم يعنى السفار مطينا كأن لم نكن سقرا على ظهرها ركبا (١٠)

* * *

تعاليت ياعصر البخار مفضلاً على كل عصر قد قضى أهله تحباً

(١) رخاء : هادئة لينة .

(٢) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالهضبة ونحوها .

(٣) (٤) الطود : الجبل العالى .

(٥) النفق : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين .

(٧) الأين : النعب والكلال .

(٨) (٩) سفار : اسم القسطنطينية . وتقلنا : حملنا .

(١٠) سلايك : بلد باليونان .

فكم ظهرت للعلم فيك معاجز
تظاهرت من قبل البخار بقوة
واقسم لو لا المكهرباء فوقه
هو العنم يعز بالحياة سعادة
فكل بلاد جادها العلم أمرت
متى ينشئ الشرق الذي اغبر أفقه
فإن دبور الذل ألوت بعزه
تبصر إذا دارت رحي الشرق هل ترى

بها آمن السيف الذي كذب الكتبا
يدلل أدنى فعلها المطالب الصعبا (١)
لقلت على كل القوى ته به عبجا (٢)
ويحطبا كالعلم محودة تعقبى
رُباها وصارت تذب العز لا العسبا (٣)
سحابة علم تمطر الشرف العذبا
وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا (٤)
سوى الجهل في أثناء دورتها قطبا

الأرملة المرضعة

لقيتها ليقنى ما كنت ألقاها
أولابها رثة والرجل حافية
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها
مات الذي كان يحميها ويسعدنا
الموت أجمعها والفقر أوجعها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها
كرّ الجديدين قد أبلى عبايتها
ومرّق الدهر ويل الدهر مئزرها

تمشى وقد أثقل الإملاق ممشاها
والدمع تذرفه في اخذ عيناها
واصفر كاورس من جوع نحياها (٥)
فالذهر من بعده بالفقر أشقنا
واهم أنحيا والغم أضناها
والبؤس مرآه مقرون بمرآها
فانشق أسفلها وانشق أعلاها
حتى بدا من شقوق الثوب جنبها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) المكهرباء : يريد الكهربا ، والكلمة مقصورة ، ولكن المؤلف جرى على استعمالها
محدودة هنا وفي مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرت : أخصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهي حارة . والسموم : الريح الحارة تحمل التراب والحصى
ونحوه ، وفي الكلام تشبيه للذل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصنع به . والحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبرد ينسها كأنه عقرب شالت زباها (١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا كالغصن في الريح واطصطكت ثناياها

* * *

تمشى وتحمل باليسرى وليدتها قد قمطتها بأهدام ممزقة ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها تقول : يارب لا تترك بلا لبن ما تصنع الأم في تريب طفلتها يارب ما حيلتى فيها وقد ذبكت ما بالها وهي طول الليل باكية يكاد ينقد قبي حين أنظرها ويأمنها طفلة باتت مروعة تبكى لتشكو من داء ألم بها قد فاتها النطق كالجماء أرحمها ويح ابنتى إن ريب الدهر روعها كانت مصيبتها بالفقر واحدة حملًا على الصدر مدعومًا بيمنها في العين منشرها سمج ومطواها تشكو إلى ربها أوصاب دنياها هذى الرضية وارحنى وإياها إن مسها الضر حتى جفت ثديها (٢) كرهرة الروض فقد الغيث أطاها والأم ساهرة تبكى لمبكاها تبكى وتفتح لى من جوعها فاها (٣) وبت من حولها فى الليل أرها (٤) واست أفهم منها كنه شكواها ولست أعلم أى السقم آذاها بالفقر واليتم آها منها آها (٥) وموت والدها باليتم ثناها

* * *

هذا الذى فى طريقى كنت أسمع منه فأنثر فى نفسى وأشجاها حتى دنوت إليها وهي ماشية وقلت : يا أخت مهلاً إننى رجل

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .
(٢) تريب : تربية .
(٣) ينقد : يذيق .
(٤) وبلغها : أصله وبل لأمها ، حذف اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .
(٥) ويوح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه .
(٦) بلاياها : جمع بلية ، بمعنى البلوى والمصيبة .
(١٤)

سمعت يا أخت شكوى تهمين بها في قالة أوجعت قلبي بفجواها (١)
هل تسمح الأخت لي أنني أشاطرها ما في يدي الآن أسترضى به الله
ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت أستبقى بقاياها (٢)
وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي

بأخذها دون ما من تغشأها (٣)
فأرسلت نظرة رعشاء راجفة ترمي السهام وقلبي من رماياها
وأخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من أعماق أحشائها
وأجهشت ثم قالت وهي باكية واها لملك من ذى رقة واها (٤)
لوعم في الناس حس مثل حسك لي ما تاه في فلوات الفقر من تاهها
وكان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشك أرملة ضمنكا بدنياها

• • •

هذي حكاية حال جئت أذكرها وليس يخفى على الأحرار مغزاهها
أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس من في المال واساها

عهد الصبا

أواخر الحياة

عهد الصبا سقيما لأيام الصبا أشبه شيء بأزاهير الربا
إن الصبا كالورد في نضرتة وعمره واللون منه والشذا
واها على شرح الشباب المشتبهى خلف ذكراه بقلي ومضى (٥)

(١) فجواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسى .

(٣) لنن : لإفساد الصفة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أى تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرح الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذَوَى غصن حياتي بعده وكان رِيَّان التصابي والمُنَى
أطيب عيش المرء في شبابه فإن تولى فهو هيشٌ مُرْدَرَى

* * *

إن حياة المرء ما عاش تُرى أحوالها مختلفاتٍ في الرُؤَى^(١)
كالنهرِ الجارى الذى تغيّرتُ أوضاعه في الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع صَحْضَاحٌ وفي مَصَبَهُ تلقاه بجرّاً قد طمأ^(٢)
بيناه يجرى في الترى مُنعطفاً إذا بواديه تَمَطَّى واستوى^(٣)
طوراً كأسياف الوغى منحنياً في الأرض ينساب وطوراً كالقنا^(٤)
وربما عادت مجاريه به راجعةً من حيث جاء القمقرى^(٥)
وربما صادف غوطاً فانهبى فيه وقد خرَّ خريراً ورغاً^(٦)
والماء فيه قد يرى منبسطاً وتارةً منزوياً فوق الثرى
وتارةً تلقاه في مشجرة يجرى وأخرى بين أصلاذ الصفا^(٧)
حتى إذا أبحر مجراه به كان إلى الدأماء منه المنتهى^(٨)
وهكذا أنهار أعمار الورى تجرى فتنصبُّ إلى بحر الردى

* * *

وإنما العمر شباب فإذا زال فخرنٌ وشقاءٌ وضى
ما كان أحلى العيش لو أن الفتى لم يجد الشيبُ إليه مختطى^(٨)

(١) الرؤى : جمع رؤية ، أى النظر .

(٢) صحضاح : ليس عميقاً . (٣) تمطى : امتد واستقام .

(٤) القمقرى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .

(٥) غوطاً : أرضاً منخفضة . ورضا البعير : صوت .

(٦) مشجرة . أرض كثيرة الشجر . وأصلاذ جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع

صفاة ، وهى الحجر الأملس .

(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدأماء : البحر .

(٨) مختطى : مصدر ميمي من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دام الشباب ولم

تجد الشيب إلى المرء سيلاً .

ليت الفتى كالبدر في النشأة إذ
أو ليته كالشجر النابت إذ
أوليت هذا الشيب إن كان ولا
شبية الإنسان مرآة المنى
والمرء فيها إن تمرأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردانٍ هذا من وقارٍ وهبى
لكن وقارُ الشيب لا يعدل ما

عاد هالاً كل شهر فما
يُورق في الصيف ويعرَى في الشتا
بدَّ من الشيب أتى قبل الصبا
بدائع الآمال فيها تُجتلى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُننصى
حيك وهذا من تصابٍ وهوى
في طيه من لؤثة ومن ونى (١)

يَا مُسْلِيًّا ذَا الشيب عن شيايه
أَقْصِرْ هَذَا ذِيكَ عَنِ الْقَوْلِ فَلَا
وما الصبا بمنع من الحجاب
وليس من أصبح يمشى الخيزلي
وما إياة الشمس في تظليلها
وهل يطيب العيش للهيم الذي
يبيت طول الليل في مضجعه
وإن ظهر الأرض يستقل من

بأنَّ وَخَطَّ الشيب أزهارُ النهى
يُقاس ذِيَالِكَ تالله بذا (٢)
بل هو في الشيخ يكون والفتى
في معرض سبق كاشي الهيدبي (٣)
مثل إياة الشمس في رآد الضحى (٤)
إن همَّ بالنهضة خائته القوى (٥)
مستانس السعلة وحشى الكرى (٦)
أمسى يدب فوقها على العصا

(١) لؤثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثى هذاذ ، أى هذا بعد هذا . والهند . القطيع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تحاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهيدبي ، والهيدبي : ضرب من مشية الخيل سريرة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتظليل : وقت الأصيل . ورآد الضحى : ارتفاعه ورونته حين يعلو النهار .

(٥) الهيم : الرجل المسن البال ، جمه أهلام .

(٦) أى حاضر السعال ، نأى الكرى .

السفر في التومبيل

- وقَدَّفِدِ قَاتِمِ الأعماقِ متَّسعٍ طَوَّيْتِ أجوازَه ضَيَّ المكاتيبِ^(١)
تُومبِيلِ جَرِي فِي الأرضِ منسرحاً كما جرى الماءُ في سفحِ الأهاضيبِ
ينسابُ مثلُ انسيابِ الأيِّمِ تحمُّله عوامِلٌ عَجَلاتٌ من دَوالِبِ^(٢)
كأَثْمِها وهي بالمطاطِ مُنْعَلَةٌ تمشي بأخفافِ أنواقِ مطاريبِ
يمرُّ كالريحِ لم تسمع لأرجله سوى حفيفِ كنفخِ في الأنابيبِ
وتنسكرُ الخيلُ إن جارتَه في سَنَنِ ماتعرفُ الخيلُ من حُضُرٍ وتقريبِ^(٣)
تُظَلُّ قَبَّةً فِيهِ مُنْجَدَةٌ قد زانها حسنُ تنجيدِ وتقريبِ
يَنخالُ من حلٍّ فيها نفسه ملكاً يُرْهِمِي بِتاجِ عَلي الفوَدِينِ معصوبِ
ركبته وبياضِ الصبحِ تحسبه صدرِ المليحةِ مكشوفِ التلايبِ^(٤)
والبدرِ في الأفقِ العَرَبِيِّ مُنْتَمِعِ يرنو إلى الفجرِ في الخاظِ مرعوبِ^(٥)
ولنجومِ بقايا في جوانبِهِ كالعقدِ منفرطاً من جيدِ رُعبوبِ^(٦)
وللنسيمِ هُبوبِ في مدارجِهِ ماينعشُ الروحَ من نَشْرِ ومن طيبِ^(٧)
فطارِ من غيرِ تخليقِ براكبه بل مرَّ يَمْطُرُ مَطْراً فوقِ مَلْحوبِ^(٨)
وسارَ سيراً دِرا كَ ملءِ مَهيبة كالوَبَلِ يتبعُ شُوباً بِشُوبِ^(٩)

- (١) القَدَفِدِ : الفلاة الواسعة لاشئ بها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى ، أو المكان الصلب .
والعمق : ما بعد من أطراف المساويز . أو المطنن من الأرض . والأجواز : جمع جوز ، وهو
وسط الشيء .
(٢) الأيِّم : الحية .
(٣) الحضر : السير السريع . والتقريب : ضرب من السير بطيء .
(٤) التلايب : جمع تلبيب ، وهو من الثوب ما كان على أعلى الصدر والرقبة ، يقال : أمسك بتلاببه
(٥) ممتنع ، ومقطع : مصفر اللون .
(٦) منفرطاً : يريد منتثراً ، ولم يسمع في اللغة انفرط بمعنى انتثر . والرعبوب : الشابة المثلثة
الحسنة الناعمة .
(٧) مدارجِه : مسالكه وطرقه . والنعش : الرائحة الطيبة .
(٨) الملحوب : الطريق الواسع .
(٩) درا كا : متتابعاً . والمهبج الطريق . والشُوبوب : الدفعة من المطر .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلاً فأحسبها
ما زال يجتاز بي ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجزت
وكم علا بي أنشازاً تسلقها
لا يعرف الأين منه أين موقعه
وكيف يتعب ما لا حس يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه
كمثل تيار بحر وهو يجري بي
من سرعة المرّة قد صفت بترتيب^(١)
سهل ومن جبل عالي الشناخيب^(٢)
عنه العناق من الجرد السراحيب^(٣)
وشاب في السير تصعيداً بنصويب^(٤)
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب^(٥)
ولا يسير على ساق وظنوب^(٦)
دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

...

جربته هابطاً أجزاء أودية
ومئبها في سهول الأرض ينهبها
فكان أسبق مركوب لغايته
تلك المطية لا ما كان يذكرها
لو امتطأها ليبد قبل تاه بها
وظالعا في الثنايا والعرايب^(٧)
نهبها ويخلط ألحوبا بألحوب^(٨)
وكنت أقرب طلاب لمطلوب
أديب ذبيان من عيرانة النيب^(٩)
على الحواضر قدما والأعاريب

- (١) يقول : يخيل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .
(٢) الشناخيب : جمع شخوب وشخابة وشنخاب ، وهو رأس الجبل .
(٣) الجرد : التي أنجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العناق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهي الفرس الطويلة الجسم .
(٤) أنشازا جمع نشز ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .
(٥) الإدلاج : سير الدجلة في الليل ، والتأويب : السير بالنهار .
(٦) الظنوب : مقدم عظم الساق .
(٧) الأجزاء ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجزع الواد والطريق ، أي ينعطف .
(٨) الألحوب : العدو الشديد تلهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .
(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبياني ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، في وثاقة خاقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة .

ولم يَرَمَ لورأى ابن العبد منظرها من وصف عوجائه في كل أسلوب^(١)
ولأطل ابن حجر وصف مُجَرَّد على السَّراة كَمَيِّت اللون يَعْبُوب^(٢)

من ويالات الحرب

مرَّت تقول ألا ياربُّ خذروحي
مَهزُولَةٌ الجِسم من قَهْرٍ ومن نُكْدٍ
كَي أَسْتَرِيحَ بِمَوْتِي من تَبَارِيحِي^(٣)
مُصْفَرَّةَ الوِجْه من هَمٍّ وتَرِيحٍ
بَاتت بِغَيْرِ عَشَاءٍ وَهِيَ طَاوِيَةٌ
وَأَصْبَحْتُ وَهِيَ غَرَّتِي دُونَ تَصْبِيحِ^(٤)
ضَنْكُ المَعِيشَةِ أَضْوَى جِسمَهَا فَبَدَتْ
بَشْرَوِي خِيَالٍ بِطَرْفِ العَيْنِ مَأْمُوحِ^(٥)
وَأَذْبَلَتْهَا هُمُومُ النَفْسِ نَاصِبَةٌ
فَصَوَّحْتُ وَجَنَّتِيهَا أَيَّ تَصْوِيحِ^(٦)
وَيَأْمِيهَا عَيْشَةٌ نَكْدَاءٌ يَابِسَةٌ
لَمْ تُبَيِّنْ من جِسمِهَا غَيْرَ الأَلْوِاحِ^(٧)
فِي طَرْفِهَا نَظْرٌ وَإِنْ تُرَدِّدُهُ
لَمَحَ المَرِيضِ إِذَا مَا جَادَ بِالرُوحِ
تَلَفَعْتُ بِدَرِيْسٍ من تَحْرِيقِهِ^(٨)
تَخَالُ طَرْفَتَهُ بَعْضَ التَّقَارِيحِ
فَكَمْ تَرَى العَيْنُ خَرْقًا غَيْرَ مَرْتَمَعِ^(٩)
فِي جَانِبِيهِ وَفَتْقًا غَيْرَ مَنصُوحِ

- (١) ابن العبد : هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري . وعوجاؤه : ناقته التي وصفها في معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتفتدي » وانعوجاء : الموجة من شدّة الضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هي لا تستقيم في سيرها ، من فرط نشاطها .
- (٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر الكندي . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظاهر . والكميت : الأجر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية في الجري .
- (٣) التباريح : كلف المعيشة في مشقة ، وهو من الجمع التي لا مفرد لها .
- (٤) التصبيح : هنا بمعنى النداء ، أي ما يؤكل صباحا ، وهو اسم يني على تفعيل ، لامصدر .
- (٥) شروى : بمعنى مثل ، أي مثل خيال .
- (٦) التصويح : التجفيف ، أي جففت وجنتيها .
- (٧) الألواح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العرائض . والمعنى : لم يبق في جسمها غير العظام ؛ يقال لهزول : لم يبق منه إلا الألواح .
- (٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقاريح : جمع التقريح ، وهو رأس نبت أو شجرة ينشعب كبرتن الكلب . أي تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المنتصب شعبا .
- (٩) منصوح : أي محيظ ، من نصح الثوب : إذا حاطه .

تمشى انخزالاً بعبء الفقر مُثَقَلَةً كظالع في الطريق الوعر مَكْسُوحٍ (١)
خارت قواها فمارت في تخزُّلها يكاد يسقطها هبُّ من الريح (٢)

* * *

لما دنوت إليها كئ أمائلها والقلب في خطرٍ ان كالأراجيح
تأوهت آهة حمراء داميةً تشف عن كعبد بالهم مجروح
وأجهشت ثم أرخت من محاجرها عنان دمع على الخدين منضوح (٣)
وأعرضت وهي لم تنبس سوى نظراً

يُغني الألباء عن نطق وتصريح (٤)
فرحت من عجبى منها ومن جزعى أبكى لها بين ترجيع وتسبيح (٥)
من ليس يُبكيه من أبناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
ولا يقوم بعبء الجد مضطلعا من لا يقوم إلى إنهاض مفدوح (٦)
وما السعادة في الدنيا بحاصلةٍ إلا بإسعادٍ أطلاقٍ مرازيج (٧)
إن المروءة شيء لا تناوشه إلا سواعدُ أجواد مساميح
أرى كنوز المعالي مالاً فقهاها غير السباح لعمري من مفاتيح
والعيش غيبٌ آمالٍ وليس لنا سوى التعاون فيه من مصابيح

* * *

- (١) الانخزال ، كالانخزل : هو المعنى في تناقل ؟ يقال : انخزل و تخزل : إذا مشى متثاقلاً .
والظالع : الذى يغمز فى مشيه ، أى يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جهل مكسوح :
إذا كان به ظلم شديد .
- (٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أى اضطربت
(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، وتنهأت له . ومنضوح : مرشوش .
- (٤) لم تنبس : أى لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفياً .
- (٥) الترجيع : هو قول المصاب بحصبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول
المتعجب : « سبحان الله » ! ففى الكلام لف ونشر غير مرتب .
- (٦) المفدوح : المثل ، يقال : فداحة الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .
- (٧) أطلاق : جمع طليح ، وهو المعنى والمهزول . وكذلك مرازيج ، يقال : إبل مرازيج ، أى
مهزولة ساقطة .

- قامت قيامةُ أهلِ الغربِ فانبعثتُ هزاهزٌ بينهمُ عمتُ بنى نُوحٍ^(١)
 واستفحلتُ فتنةَ عمياءَ جائحةٍ تمخضتُ في دمِ الأرضِ مسنوح
 وقامتِ الحربُ باللاأواءِ شاملةً كلَّ البسيطةِ حتى الأبحرِ الفيح^(٢)
 والأرضِ قد أصبحتُ من مكرسا كنها
 ضاقت على الناسِ وانسدت مسالكها
 فعاد كلُّ طريقٍ غيرِ مفتوح
 والحربُ أغنت أناساً غنيةً عجبا وأخرينَ رمتهمُ بالمجاليح^(٤)
 ومعشراً أسكنتهم في الذراغُرَقا ومعشراً بطنَ ملحودٍ ومضروح^(٥)

- أما التي أوجعتُ قلبي بمنظرها وأوهنته بتبضيبٍ وتقريح
 فعادةُ عضتِ الحربُ الضروسُ بها عضاً بنابِ حديدٍ غيرِ مرضوح^(٦)
 أمست تكابدُ من فقرِ ألمِ بها الآلامَ عيشِ تبشيعِ الطعمِ مذروح^(٧)
 ترنو إلى الناسِ بالشكوى فتحسبها ظمآنٍ يشكو لآلِ حُرقةِ اللوح^(٨)

(١) الهزاهز: الفتن التي تهب الناس ، والمراد بنى نوح : البشر كلهم . لأن نوحا هو آدم الثاني .
 (٢) اللاأواء : الشدة والمجاعة . والفيح : جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .
 (٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احرار اللوح ،
 واغبرار السوح : كناية عن وفوع القحط والجذب .
 (٤) المجاليح : السنون التي تذهب بالمال ، وهي ذات القحط والجذب .
 (٥) الملحود والمضروح : القبر .
 (٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
 (٧) مذروح : مسموم .
 (٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس .
 بلا فائدة . كشكوى الظمآن ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها بصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربعمهم ولا الأطلا لا وارياً بحبك أن يكون حبالاً (١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها مما يزيدك بالسؤال ضلالاً
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه حسن يفيدك في الحياة كلاً
حسن يقيّد من رآه بحبه ويفكّ من أفكاره الأغلالاً
ويطير في جوّ السرور مرفقاً بالمشتكين كتابةً وملاً
أو ما ترى البدر المنير إذا بدا يكسو الدجى من نوره سربالاً (٢)

واقف بحسر مود عشيةً والبدر في أفق العلى يتللاً
والليل يلبس من سناه مطارفاً منها يجر بدجلة أذلالاً
أما النسيم فقد جرى متعطراً وحكى بطيب هبوبه الآمالاً
وجبين دجلة قد صفا متألّفاً فحكى السماء محاسناً وجمالاً
فحسبت نفسي في السماء مشاهداً تحتى بدجلة للسماء مثلاً
ورأيت من فوق السماء حقيقةً ورأيت من تحتى السماء خيالاً
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه قد مد فى جوّ السماء مثلاً
وكأنما أنا فى السماء محلقٌ طورا أسف وتارة أتعالى (٣)

لله ما شاهدته من منظر يدع الكئيب كشارب جريالاً (٤)
حفت جوانبه بكل بديعةٍ فرها جمالا واستقلّ جلالاً
حتى نخيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة إجلالاً

(٢) السربال : القميص .

(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

(١) الخيال : ضرب من الجنون .

(٣) أسف الطائر : دنا من الأرض

على البسفور

وقفتُ على البسفور والريحُ عاصفٌ ولدَّوْحٌ ظلٌّ دونه متقلِّصٌ
وفي البحر تجرى موجة إثر موجةٍ
كجری طموح الخيل إذ يتوقَّصُ^(١)
هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
تغنى وهذا الموج في البحر يرقص
بها العيش يصفو أو بها يتنقص
بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
تزيد لمن فيه المروءة تنقص
ويظير إخلاصًا وما هو مخص^(٢)
يروغ أو الكلب الذي يتبصبص^(٣)
جهولًا على علاته يتعنقص^(٤)
بغیضٍ إلى الكاذب المتخرص^(٥)
فإني بأثواب العلى متقمص
وإني على ذافي المغيب لأحرص
إذا كان فيه باطن متلصص^(٦)
فلما دنا مني إذا هو أبرص
ويزيد أعلى الموج حتى كأنه
كأن رياح الجوّ عند هبوبها
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصًا
وفي كل يوم للزمان عجائب
وأعجب ما في الدهر أن هباته
وربَّ أفیکِ جاء يمدق وُدّه
ولكنه في ودّه الثعلب الذي
تعاليتُ عن تبكيتِه إذ رأيتُه
وقلت له لا تدن مني فإني
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد
حرصت على تكريم محضر صاحبي
وما غرّني ذو ظاهر متوددٍ
ويا ربَّ وجهٍ لم يرقني بياضه

(١) يتوقص : يثب في عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفیک : كاذب . ومدق : يخلط . بهال : هو يمدق اللبن بالماء .

(٣) يبصص الكلب بذنبه : حركة تملأ لصاحبه ، وتبصص الذنب تحرك ، مطاوع بصبص ،

وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصبص معنى يتماق .

(٤) العنقص : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل بعنقص

(٥) المتخرص : خائن .

(٦) المتلصص : الكاذب .

فيا شعراء القوم كفوا و غاكم
دعوا كشف مكنون الصدور لفطنتي

فإني بدا من دونكم متخصّص
ذكلاء لو اجزت الجدار بنوره
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصاً

إذا كان للمستضعف الرأي منكصاً^(١)

على أن لي في معرض الشك ربيعة^(٢)
و رُبَّ يقين ناله المتربص^(٣)
إذا أنا لم أنكر على الدهر جوراً
فلا و طئت بي موطئ العزّ أخص

إلى غرة آل سعدون

أعيد الحسن سعدون إني
وأبصر من فعالك بدر تم
لذلك قد أتيت إليك أشكو
قد رقت ثيابي اليوم حتى
غدت شفافة حتى كاني
وليس العري من ثوب معيباً
وما ضرّ المهند فقد جفن
فإن لم تدرك الأيام عري
لبستُ قرار بيتي في نهاري
أراك مناط أسباب الرجاء^(٤)
يلاليء من فخارك في سماء
رثائة بزتي وبي كسائي^(٥)
تكاد تذوب من مسّ الهواء
لبست بهنّ أثواب الرياء
لكاسي النفس من حلّ الإباء
إذا ما كان محمود المضاء^(٦)
بثوب منك يا غمر الرداء^(٦)
ولم أخلعه إلا في المساء

(١) منكص مصدر ميمي : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .

(٢) ربيعة : وقته وانتظار . (٣) مناط الشيء : موضع تعلقه .

(٤) بزتي : ثيابي .

(٥) المهند : السيف المنصوع في الهند . والجفن : قراب السيف .

(٦) غمر الرداء : واسع الغطاء .

فإن جاء المساء لبست منه
وصرت أجول كالخفاش ليلاً
ولست أريد ثوباً أتحمياً
ولكن بزّة البدويّ أبغى
ومن كوفيّة صحبت عقلاً
فذا زىّ ييم به رجوعى
وما صيرت ملبوسى خفيفاً
وكيف وأنت أكرم من حبانى
ولكنى رغبت عن اكتساء
وكيف يكون مطلوبى حقيراً
وهل أنا غير عبد أنت منه
لأأخذن إخلاصى وصدقى
وأجعل ما حيت جميل شكرى
ولست أرى الحياة تطيب إلا
وأعلم أن ما أشكو إليكم
ويُسمت بي الذين لهم نفوس
ولم يسمت بأحرار البرايا
ولكن هونّ البرحاء أنى
شكوت إلى فتى جمّ المزايا
فتى يؤليك عند البؤس خيراً
رحيبُ الباع مؤتلق الحيا

ظلاماً ما تمزق بالضياء
وأجأ في النهار إلى الضراء^(١)
ولا من زىّ أرباب الثراء^(٢)
فمن ثوب على ومن عباء
يكون الرأس منها في غطاء
إلى عيش بسيط ذى هناء
لأنى خفت من ثقل العطاء
بأكرم ما رجوت من الحباء
يطول به من الدنيا عنائى
وأنت أجل من تحت السماء
خصّصت أبا علىّ بالولاء
لكم من كل موبقة وقائى^(٣)
لما أسديت من نعم غذائى
بحسن تحمدى لك والثناء
يسرّ الماردين على عدائى
مرضن من العيوب بكل داء
سوى لؤماتهم والأدنياء
شكوت إلى جدير باشتكائى
كبير النفس منفرد السناء
ولا ينسك في حال الرخاء
أصيلُ الزأى وقاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر المتلف في الوادى . يقال : توارى الصيد منه في الضراء . أو هو ما وارك من أرض

(٢) الأحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج .

(٣) موبقة : مهلكة .

صريحٌ في مقاصده إذا ما أسرَّ القومُ حسواً في ارتقاءِ^(١)
زكتُ أخلاقه فصفتُ ورقَّتْ فهنَّ لكلِ مَكْرُمَةٍ مراني^(٢)
يلاقى الزائرين يبشر وجهه تجلَّلَ بالمروءة والحياءِ
إذا رَأَسَ البلادَ أبو عليٍّ فقد وضَّحتُ بها طرق العلاءِ
وإن ولىَّ الوزارة وهو أهلٌ فيا حسن السياسة والدَّهائمِ

الوسام

ونخامة رئيس الوزراء

حَسَنَ الوِسامُ بصدْر عبدِ الحِسنِ وبدا عليه كزَهْرَةٌ من سَوَسَنِ
صدر به كَمَنَتْ سرائِرُ مجدهِ فاستعصمت منه بأشرفِ مَكَمَنِ
واستأمنتَه المَكْرُماتُ فأصبحتُ من كلِّ شائِئَةٍ بأكرمِ مَأْمَنِ
لاح الوِسامُ بأفْقِ صدركِ لامعا كالنجمِ في الأفقِ السعيدِ الأيمنِ
هو للعلِيِّ من فوقِ صدركِ شارةٌ أكرمِ بصدركِ للعلِيِّ من معدِنِ
شرفٌ حُبَيْتَ به فكانَ مَسْرَةً للمخلصينِ وحسرةً المتخوِّنِ^(٣)
جعلته لَنَدَنِ للعراقِ كرامةً إذ أكرمتك به سياسةُ لَنَدَنِ
ليكونَ فيك علامةٌ منها على ما تبتغيه من اعزازِ الوطنِ
فافخرْ به كلِّ الفخارِ وسِرِّ بنا ماشئتِ سيرَ حضارةٍ وتمدِّنِ
تناسبُ الأشياءُ معَ أصحابِها شرقاً فيعظمُ حسنُها في الأعينِ
وكذاكِ صدركِ والوسامُ كلاهما ذونسبةٍ في المجدِ ذاتِ تفنِّينِ
فكلاهما عنوانُ مجدِ قريتهِ فاعجِبْ لحسنِ مَعْنونِ بمعنونِ

(١) الحسو : الشرب . والارتقاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة ، وهو يحسو اللبن الذي تحته . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .
(٢) مراني : جمع مراة .
(٣) المتخون : المنتقم .

يا أصدق الوزراء معرفة بما يَهْدِي البلادَ إلى المآبِ الأحسن
سِرًّا بالبلادِ إلى معالمِ عزِّها وأبلغُ بهنَّ مَدَى الرقيِّ الممكنِ
إنَّا نترجو للعراقِ وأهله بك يا أصيلَ الرأيِ فضلَ تحسُّنِ

نحن

في يومِ حادثةِ الرئيسِ

شاعَ كالبرقِ في العراقينِ يوماً خَبِرُ أترعَ القلوبِ كِتابَهُ (١)
خَبِرُ قُطْرانا العِراقِيَّ قد زلُّـزلَ منه حتى خَشِينا انقِلابَهُ
شاعَ أنَ الرئيسِ أهوى إليه ذو اعتداءِ بِمُدِيَةِ فأصابَهُ
إذَ رماه بطِئعةِ منه في الزنْدِ وأخرى في رأسِهِ والنُّوابِ
فيوَي بِخِيطِ الصَّعيدِ صَريعاً بدماءٍ قد ضَرَجَتْ أَثوابَهُ (٢)
خَبِرُ صاحِ عندَهُ الناسُ يا لَـللهِ للمجدِ والندى والنِجابِ
واستمرَ الكرامِ يرجونَ أنَ لو حَقَّقَ اللهُ خُلقَهُ وكِذابِ
ويقولونَ من أصيبَ؟ أعبِدُ الأسمَحسَنَ العِبقريُّ لِيثُ الغابِ
أسلِيلُ الدَّاوديِّ من آلِ سَعْدونَ أربُّ الشائِلِ المُستطابِ
ويَحْكُمُ ما الذي تقولونَ لنا سَ أجدُّ مقالِكُم أم دُعابِ
إنَ يَكُنْ صَحَّ ما تقولونَ لاصحِّحْ فَقَدْنَا من العلاءِ لُبابِ

ثمَ مرَّتْ سُوَيْعَةَ فتولَّتْ سَحَبُ الغمِّ والأسى مُنْجَابَهُ (٣)
إذَ علمنا أنَ الرئيسِ بحالِ غيرِ قَتَّالَةٍ ولا رِيابِ
وعلمنا انخطبَ الذي أكبروه غيرَ خطبِ وإنَ يَكُنْ ذا غرابِ

(١) أترعه : ملاءم ، وإناء مترع : ملان .

(٢) ضرجت أثوابه : لطحيتها بالدماء .

(٣) انجباب : انكشف .

يَدَ أَنْ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُهُ أَرْجَفُوا نَافِخِينَ فِي الشَّبَابِ (١)
فَإِذَا كُلُّ مَا جَرَى هَذَا أَسَدٌ قَدْ عَدْتُ عَلَيْهِ ذِبَابَهُ
فَهَيْئَتَا لَا لِلرَّئِيسِ وَلَكِنْ لِلْعَالِي ، وَالنَّهْيِ ، وَالنَّجَابَةِ

في ملعب كرة القدم

قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم
وقفوا لها متشمرين فألقيت
يتراكضون وراءها في ساحةٍ
رفساً بأرجلهم تساق وضربها
ولقد تُحلق في الهواء وإن هوت
وتخالها حيناً فذيفة مدفع
ولربما سقطت قمام حياها
فتخالها وتخاله كقريسة
لا تستقر بحالة فكأنها
تنحو الشمال بضربة فيردها
وتمر واثبة على وجه الثرى
وتدور بين اللاعبين فمُحجِم
وكأنها والقوم يحتوشونها
راضوا بها الأبدان بعد طلابهم
أبناء مدرسة أولاء وكلهم

كرة تُراض بلعبها الأجسام
فتعاورتها منهم الأقدام (٢)
للسوق مُعترك بها وصدام (٣)
بالكف عند اللاعبين حرام
شرعوا الزعوس فناطحتها الهام
فتمر صائتة لها إرزام
للضرب عبل الساعدين هام
سقطت فزحجر دونها الضرغام
أمل به تتقاذف الأوهام
نحو الجنوب مُلاعب لطم
مرّاً كما تتواهب الآرام
عنها وآخر ضارب مقدم
قلب عليه تهاجم الآلام
علماً تُراض بدرسه الأفهام
يقع مرير المرققين غلام

* * *

(١) الشبابة : نوع من المزامير مولدة . (٢) تعاورتها : تداولتها .

(٣) يتراكضون : يتسابقون في العدو وراء الكرة .

لا بدّ من هزّل النفوس فجدّها تعبٌ وبعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقل فألهُ سويعةً فاللهو من تعب العقول جمام^(١)
والفكر منهكة فباستمراره تهنُّ العقولُ وتهزّل الأجسام
إن الجسم إذا تكون نشيطة تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذي ملاعبهم فجسمك رُض بها واسلك مسالكهم عداك الدّام^(٢)

الاحسان

أنشدت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية
الخيرية الاسلامية في بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن
الكبير مناجم صالح دانييل من أشرف الملة الموسوية وأغنيائها
في بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبدُ قانياً في ذى الدّنا لعبدتُ من دون الإله المحسناً
وجعلت قلبي مسجداً لتعبدي سراً وفهت له بشكري مُعلناً
كي لا أكون مرأياً بعبادتي ولكي أكون بشكره متفناً
في نُجنتي غرس الخليفة لم أجده

غرساً سوى الإحسان حلو الهجنتي
هو في الخليفة ذو عجائب سرّها أعياء اللبيب وأعجز المتفطنا
بيناه يغدو للنفوس مُقيداً بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صنيعهم ويرد بغض المبغضين تحمنا
كم بلّ نائرة فأطناً نارها من بين مُشترك الصوارم والقنا
ما لاح كوكبه بموهن غمة إلا أعاد ضحى سناء الموهنا^(٣)
ما إن تظلل موطن بظلاله إلا أعزّ الله ذلك الموطننا

(٢) الدّام : العيب .

(١) جم : راحة .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحَاتِهِ تَمَحُو مَعَايِبَ أَهْلِهِ
لَمْ أُدِرِ وَالْآثَارَ مِنْهُ كَثِيرَةً
أَفْنَحْنَ نَجْهَلَهُ وَقَدْ عِلْمَ الْوَرَى
أَوْ مَا أَمَرْنَا فِي عِظَاتِ كِتَابِنَا
مِنْ حَيْثُ تَعْمَى عَنْ رُؤَاهَا الْأَعْيُنَا
فِي الْغَرْبِ لَمْ نَزُرَتْ وَقَلَّتْ عِنْدَنَا
فِي الشَّرْقِ نَشَأَتَهُ رِيْبَا بَيْنِنَا
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ نَتَدِينَا

* * *

وَيَسِّرُنِي أُنَى أَشَاهِدَ مَوْطِنِي
وَإِذَا اسْتَرْيَبَ بِمَا أَقُولُ فَشَاهِدِي
قَدْ شِيدَ لِلْأَيْتَامِ مَأْوَى وَاهِيَا
لِيَكُونَ فِيهِ شَفَاؤُهُمْ مِنْ
قَدْ نَالَ مِنْ بَرَكَاتِهِ بَعْضَ الْمُنَى
هَذَا الْبِنَاءِ وَمَنْ حَمَاهُ وَمَنْ بَنَى
يَهْتَمُّ بِالْأَيْتَامِ فِيهِ وَيُعْتَنِي
جَهْلِيهِمْ

وَمَنْ الظَّمَا وَمَنْ الطَّوَى وَمَنْ الضَّنَى
بِالْمَالِ مُشْتَرِيَا بِهِ كُلَّ الثَّنَا
مُسْتَعْرِقَاتٍ بِالثَّنَاءِ الْأَزْمَنَا
إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسُورِ الْكُنَى
أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
قَدْ صَارَ طَبْعًا لِلنَّفُوسِ وَدِيدِنَا
حَسَنًا وَإِلَّا فَيُؤَى بِئْسَ الْمُقْتَنَى
عَفَّوْا وَعَوِّدْ نَفْسَهُ أَنْ يُحْسِنَا
أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ حَضْرَوَاهِنَا
جَادِبِنَ «دَانِيلَ» الْكَرِيمَ إِذَا الْبِنَا
فَاسْتَوْجِبَ الْحَمْدَ الَّذِي كَلِمَاتُهُ
فَلَنْكُنْهُ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا
رَجُلًا عَامِنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ
لَا يُحْسِنُ الْإِحْسَانَ إِلَّا هَكَذَا
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ
سَعِدَ امْرُؤٌ بِذَلِكَ الْفَوَاضِلِ لِلرَّوَى
وَالْجَهْدُ مِنِّي هَيْبَنَا هُوَ أُنَى

الجُرَائِدُ (*)

وما كانت عليه في الآستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصوى
وتذهب مِحْيَارِ الظلام تَحْبُطًا
وتمشي فما تدرى إلى قعر هوة
فطالع أراجيف الجرائد إننى
جرائد فى دار الخلافة أضمرت
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما
فما بين مكذوب عليه وكاذب
ترى فى فروق اليوم قراء صحفها
جدال على مرّ الجديدين دائم
فدائد مهم عن رمي يردّه
وهذا إلى هذى وذلك لغيرها
وما هى إلا ضجّة كل صائت
أضاعوا علينا الحق فيها تعدا
ولم أر شيئًا كالجرائد عندهم

يدوى بقطريها هزيم الرواعد^(١)
وتعثر فى ظلماتها بالجلامد^(٢)
تروح بها أم للمدى التبعاد
أرى الويل كل الويل بين الجرائد
لهيب خلاف بينها غير خامد
أطافت بنقص فى الحقيقة زائد
وما بين مجرود عليه وجاحد
فريقين من ذى حجة ومعاند
بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد^(٣)
وأخر رام سمة نحو ذائد^(٤)
من الصحف يدعو آتيا بالشواهد
بها مدّ الدنيا حيلة صائد^(٥)
وعقبي ضياع الحق سود الشدائد
عبادته منقوضة بالمقاصد

(*) من الجزء الأول .

- (١) كافرة الصوى : كناية عن الصحراء التى لا علم فيها بهتدى به . ويدوى : يكون له دوى . وهزيم الرواعد : صوت السحب ذوات البرعد .
(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .
(٣) تفنيد الرأى : نسبه إلى الفند ، بالتحريك ، وهو الكذب . وتزييف القمد : نسبه إلى الزيف ، وهو فى الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد إبطال كلامه واعتباره لغوا .
(٤) ادائد : المدافع عن الشىء والمرى : المرى ، فحبل بمعنى مفعول .
(٥) حيلة الصائد : ما يستعمل به من الحيل لصيد الحيوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد
وكيف يبين الحق من نقضاتهم
فإياك أن تغترّ فيهم فكلمهم
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما
لهم في مجال القول غير المفسد
وكل له في الحق نقشة مارد
يجرُّ إلى قرصيه نار المواقد
يضل امرؤ عن غيهم غير حائد

• • •

على رسلكم يا قوم كم تسمعونا
ألا فارجحوا بالصفح عن نهج صحفكم
مقالة محفود عليه وحاقدا^(١)

فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصحف إلا أن تدور بنهجها
وأن تنشر الأقوال لا عن طاعة
وألا تعاني غير نشر حقائق
وتتوير أفكار وإنهاض قاعد
أتبغون في تلقيبها نفع واحد

وتغضون عن إضرارها ألف واحد
وما جاز في حكم النبي كذب رائد
بها تتجلى رُوحهم للمشاهد
وديوان أخلاق لهم وعوائد
به الصحف في طرق العلي والمحمد
كما يهتدى السارى بضوء الفوائد
مع الغرب حتى في شئون الجرائد
فإني عليكم خائف غير حاقدا
فإن تجدوا منها فاست بواجدا
إلا أن صحف القوم رائد نُججهم
لعمري إن الصحف مرآة أهلها
كما هي ميزان لوزن رقيهم
ألا تنظرون الغرب كيف تسابقت
بها يهتدى القراء للحق واضحا
ولكن أبي الشرق التعيس تقدما
فلا تحملوا حقا على ما أقوله
وما هي إلا غيرة وطنية

(١) على رسلك: أي تمهل.

وقفة في الروض (*)

ناح الحمام وغرد الشحرورُ هذا به شجنٌ وذا مسرورُ
في روضة يشجى المشوق ترققُ للماء في جنباتها وخريرُ
مأى قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كأنه بلورُ
قد كاد يمكن عند ظنى أنه بالماس يوشر منه لى موشور^(١)
وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزهور كأنهن سطورُ
حيث الغضون مع النسيم موائيل فكانهن معاطف وخصورُ

* * *

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيان ويعجز التعبير
عني الربيع بوشيا فتنوعتُ للعين أنوارُ بها وزهور
مثلت بها الأغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور^(٢)
متعطرٌ فيها النسيم كأنما جيبُ النسيم على الشدا مزور
للترجس المطول ترنو أعين فيها وتيسم للأقاح ثغور^(٣)
تخذت خراماها البنفسج خدنها وغدا يشير لوردها المنثور
وكان حمراً الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور^(٤)
شمع توقد في زجاج أحمر فغدا حوالبه الفراش يدور

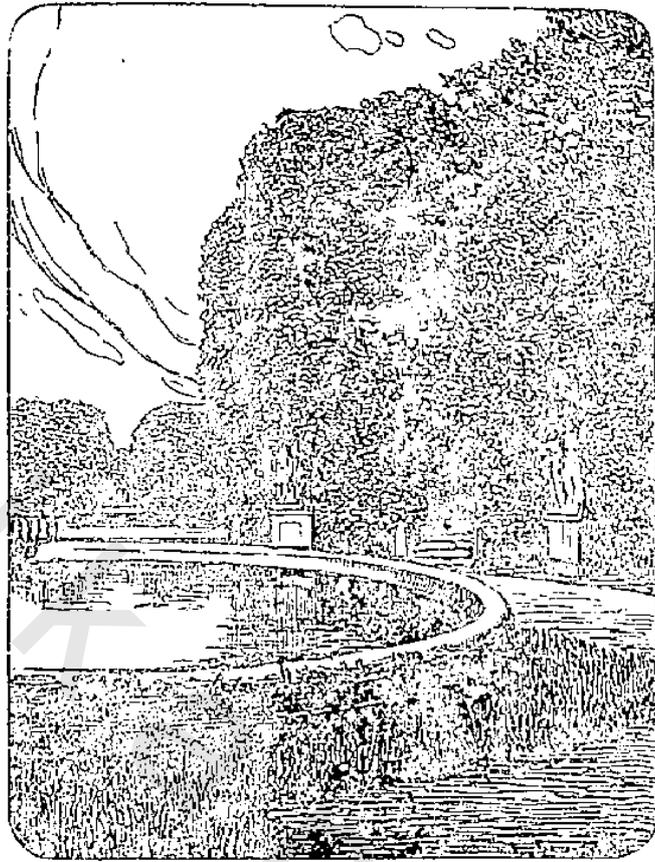
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور . ثم زاد في هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت لك ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المطول : الذي أصابه الطل ، وهو الندى . والأقاحى : جمع ألقاح ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان في بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتمايل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة في الجوّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكي عمودُ الماء فيها آخذاً صُعداً عمودَ الصبح حين ينيرُ
ناديت لما أن رأيت صفاءه والنور فيه مغلغلٌ مكسور
هل ذلك ذوّب الماس يجمد صاعداً أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في أطرافها فكأنما هي لؤلؤٌ منشور
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علّنتي نضرة وسرور
فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتهم مرور
فنظرتهن تحسّيراً ونظرتهن حتى كلانا ناظر منظور
فكان طرف الزهر ثمة ساحر لنا وكانني مسحور

إن الزهور تُكِنِّنَ بَراعِمَ^(١) مثل العلوم تجنِّين صدور^(٢)
وتَضَوِّعُ^(٣) النِّفحات منها مثله تبيِّنُها للناس والتقرير^(٤)
وبتلك قلب الجهل مصدوع كما ثوب الهموم بهذه مطرور
والزهر يُنبِتُه السحاب بمائه كالعلم يُنبِت غرسه التفكير
إن كان هذا في الحدائق بهجة يزهو فذلك في النهى تنوير
أو كان هذا لا يدوم فإن ذا ليدوم ما دامت تسكر عصور

ما رأيت في بك أو غلى^(٥)

قالها عند ما ذهب إلى حى بك أوغلى في الآستانة سنة ١٨٩٨
وقد كان إذ ذاك معهما ، وذلك قبل أن يستقبل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لحي في فروقٍ تزاومتُ به الخلق حتى قلت ما أكثر الخلقا
ترى الناس أفواجا إليه وإنما إلى التلعات الزهر في درج ترقى
يضى به شعراً الحضارة باسمًا بلامع نور علم السحب البرقا
رأيت مبانيه وجلت بطرقه فما أحسن المبنى وما أوسع الطرقا !
فكم فيه من صرح ترى الدهر متلعا يمدُّ إلى إدراك شرفته العنقا^(٦)
قصور علت في الجور لم تاق بينها وبين النجوم الزهر في حسنها فرقا
هنالك للأرضين أفق برؤجه تضاحك أبراج السموات والأقما
بروج ولكن شارقات شموسها تدور بأفق يجمع الغرب والشرقا
بحيث ترى حمر (الطرايش) خالطت (برانيط) سودا كالسلاحف أو ورقا^(٧)

(١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنين : استمرز ، وتحفظين .
(٢) تضوع انتفحات : تحريكها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهى رائحة الزهر ،
تصيق في الهواء . (*) من الجزء الأون .
(٣) المتاع : الذى يمد عنقه ، يرى شيئا عاليا أو بعيدا .
(٤) الورق : جمع أوردى أو ورقاء ، وهى التى لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجودَ البيضَ حُمرًا خدودُها
 خدودًا جرى ماء الشبيبة فوقها
 محاسن كالأزهار قد طابها الهوى
 فمن ذات دَلٍّ أعجز الشعرَ وصفها
 ومن ذى دلالٍ رنح الحسن عطفه
 وتلقى العيون السود والأعين الزرقا
 ففيه عقول الناظرين من الغرقى
 وهب نسيم العشق من بينها طلقا
 وإن كان فيها الشعر ممتلئًا عشقا
 إلى أن رجا من حسنه عطفه الرقيقا^(١)

• • •

وكم مسرَّح فيه الحسان تلاعبت
 حسان علت في الحسن خلقتا وخلقتة
 تمثِّل ما قد مرَّ منا وما حلا
 فتدقِّ دروسا لو وعثها حياتنا
 إذ امتلت شكوى الحزين بكَّت لها
 وإن صوّرت حقا هوى كلُّ باطل
 وتمثِّل كيف الناسُ تسعد أو تشقى^(٢)
 وهل خِلقة تعلو إذا سفلت خلقتا
 وما جلَّ من أمر الحياة وما دقا
 لبُدِّل كذبٌ في سعادتها صدقا
 عيونُ البلايا والزمانُ لها رقيقا^(٣)
 على رأسه حتى تجدِّل مُندقا^(٤)

* * *

وماذا ترى فيهِ إذا زرت حانته

ترى الأُنس يشدو في فم يجهل النطقا^(٥)
 سَكوتٌ على قرع الكئوس مغرَّد
 بلحن سرور يترك الهمَّ منشقا
 عليهم سحاب الإحتشام يظلمهم
 متى همُّ أرادوا سَحَّ من قبلٍ ودقا
 أوانس قد نادى من كلِّ غرائق
 فمنهن من تسقى ومنهن من تسقى^(٦)

- (١) يقال : رنح الشراب الرجن : جمعه يتميل سكرًا . والعطف : الجيد .
 (٢) المسرَّح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .
 (٣) البلايا : جمع بليّة ، وهى الرزية والمصيبة .
 (٤) تجدِّل : سقطت على الجدالة ، وهى الأرض . والندق : المنكسر .
 (٥) الحانة : بيت الخمر .
 (٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها . والغرائق : الفتى الشاب اتام الحسن

فمن ذا يراهم ثم لم يك واعثلاً
ألتُ بمعذور إذا أنا زرتهم
فقد لامني لما رأني بحيمهم
فقال أفي الحى الذى شاع فسقه
فقلت أجل إن العمام عندنا
ولكننى ما جئتُ إلا توضحلاً
عليهم وإن أمسى يُعدّ الفتى الأتقى^(١)
وساجلتهم شوقاً فقل ويحك الحقا
فتىً منه قحف الرأس ممثلي حقا^(٢)
تجولُ ألم تمنع عمامتك الفسقا
لمنّع فى لوئائها الفسق والرّزقا^(٣)
لذكرى شقاء فى العراق به نشقى

شقاء تمطى فى العراق تمطياً
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلننى على بغداد إذ قد أضاعها
جزّوها عقوقاً وهى أمٌّ كريمة
أدامت لها الأحداث مخضاً كأنها
سأبكى عليها كلما جلتُ سائحاً
وأنديها عند الأغاريد شارباً
وألقى جراناً لا يزحزحُ واستلقى^(٤)
نيوب الدواهي فهى تعرقه عرقاً^(٥)
بياضاً ومدت للبوار به ربّنا
بنوها فسحقا للبنين بها سحقا^(٦)
وألأم أبناء الكريمة من عقاً
قد اتخذتها الأحداث لها زقا^(٧)
وشاهدت فى العمران مملكة ترقى
من الدمع كأساً لا أريد لها مذاقاً^(٨)

- (١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرهم .
(٢) القحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .
(٣) لاف العمامة يلويها لوئا : لفها حول رأسه ، اللوئة : المرة من اللوث .
(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجله ، فيكون جسده أطول ما يكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء الجران : أن يسب البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .
(٥) نشبت : علفت . تعرقه : تأكل ما على العظم من اللحم .
(٦) سحقا : بعيداً .
(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .
(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذاق اللبن بالماء : خلطه . يريد أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغلهم يهوان أن يصيب باكياً بلاده ، شارباً من فيض دموعه كأساً صرفة غير مشوبة بماء .

السد في بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويوة »
من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ، وهذه هي الحادثة التى
قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقب :

نَجَّيْتَ بالسدَّ بغداداً من الغرقِ فَمِمَّا الأمان بعد الخوفِ والتَرَقِّ (١)
قد قمتَ بالحزمِ فيها والياً فجرتُ أمورها فى نظامِ منك متسقِ
لقد نجحتَ نجاحاً لا يفوز به من خالقِ الحزمِ إلا حازمُ الخلقِ
ويح الفراتِ فلو كانت زواجرُهُ تَدْرِى بعزمك لم تطفَحْ على الطرُقِ (٢)
ولا غدت تجرُّفُ الأَسَدَادَ قاذِفَةً منها بسبيلِ على الأُنْحَاءِ مُنْدَفِقِ (٣)
حيث « الحَوَيُّوَّةُ » أمست منك طالبة

رَتَقًا لَسَدٍ بِطاحى السبيلِ مُنْفَتِقِ
باتت تجيش بتيار ويات لها أهلُ العراقين فى همِّ وقى قَلَقِ
حتى إذا أيقنت أرض العراق بأن تَفَنَى من الظَّمِّ أو تَفَنَى من الغرقِ (٤)
سَمَّرتَ عن همِّ تعلو النجوم وقد أمسى الزمان إليها مُتَلِعِ العُنُقِ (٥)
فكذت تملأ فرغ الواديين بما حَشَّرتَ من طَبَقِ يَأْتِيكَ عَن طَبِقِ (٦)
لما خرجتَ وكان الخرق متسعاً والناس ما بين ذى شكٍ ومَتَّقِ (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواجره : جمع زاخر ، وهى أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجرى

(٣) تجرف : تتجى وتزيل . الأَسَدَادُ : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به فى مجرى

الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظم : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت

والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل فى إصلاح السد

المنكسر جموعاً غفيرة من الناس ، ينلو بعضها بعضاً .

(٧) متثق : مفتعل من الوثوق بالشيء .

قالوا : نحاشقة قصوى وما علموا
فصدق الله ظناً فيك أحسنه
إذجتت والسد تحت الغمر مكتسح
وثلمة السد كالمهواة واسعة
سالت صارم رأى قد أزلت به
فما تموج ماء النهر من غضب
ثبتت عزمك في أمر يذل به
تقضى النهار برأب الثأى مجتهدا
حتى بنيت وكان النهر منفلقاً
أرسيته جبلاً قامت ذراه على
فراحت الناس تمشى فوقه طرباً
وصار معكس فخر أنت مرجعه
وقد ركزت به الرايات خافقة
من كل أحمر فإن وسطه قر
فظل حاسدك المغبون منطويا
ود الفرات حياة منك يومئذ

بأن عزمك يدني أبعد الشقق^(١)
قوم وكذب ظن الجاهل الخرق^(٢)
والنهر يرغو بموج فيه مصطفق^(٣)
يهوى بها السيل من فوق إلى العمق^(٤)
ما كان في السيل من طيش ومن نرق^(٥)
وإنما أخذته رعدة الفرق
عزم الحصيف لما يحوى من الزلق
وتقطع الليل بالتدبير والأرق^(٦)
سداً عليه رصيناً غير منفلق
أصل مع الموج تحت الماء معتنق
والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
كالنور يرجع معكوساً إلى الحدق
ما بين طاقين مرفوعين في نسق
يتلوه نجم بلون أبيض يقق^(٧)
على فؤاد بنار الجهل محترق
لوغار يسلك تحت الأرض في نفق^(٨)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذي أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرهاء الإبل ، والمصطفق : الذي تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهطبة المنخفضة .

(٥) الصارم : القاطم . والنرق : الطيش والحنق .

(٦) رأب الثأى : إصلاح القاسد ، وهو من الرؤية ، وهي الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخرف ونحوه .

(٧) فإن وثاقى : شدة الحمرة ، ويقق : يفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالدهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحت زناد الرأي مفكرا
فأدبرَ الهمَّ وانثقتُ غياهبَه
إن الأمور إذا استعصتْ توافرُها
وإن تصاممتِ الأيامُ عن طاب
تنحلّ بالرأي منك المشكلات لنا
وكما زدتَ تفكيرا بمعضلة
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطمه
لك الثناء علينا أن نخالده
رتبته لو بلغت زهرَ النجوم يدي
رتبتها حيث كلُّ الناس تقرأها

في الخطب ألهمت منه فحمة الغسق
كما قد انشق سَجْف الليل بالفلق (١)
أخذتهم من التدبير في وهق (٢)
أسمعتهم بصوت منك صهصلاق (٣)
كالنور ينحلّ ألوانا من الشرى
زادت وضوحا لنا حتى على الشفق (٤)
حد يسابق خطف البرق في الطلق
أبدى سواطع نور منه منبثق
نقشا على الصخر لا رقما على الورق
من كل جرم يصدر الليل مؤتلق
سَطرا بمدحك مكتوبا على الأفق

(١) غياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ما تحته
والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الميل المقتول يجعل فيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهصلق من الأصوات : الشديد . ورجل صهصلق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التي ترى في السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الساعة (*)

وخرساء لم ينطق بحرف لسانها
حكّت لهجة التمثام لفظاً ولم تكن
لها ضربان في الحشا قد حكّت به
جرت حركات الدهر في ضرباتها
على وجهها خطت علامتهم تهتدي
مشّت بين آفات الزمان تقيسه
بها يتقاضى الناس ما يوعدونه
غدت كأخي الإيمان تأكل في معي
تدور عليها عقربٌ دور حائر
تريك مكان الشمس في دوراتها
فأعجب بها مصحوبة جاء صنعها
بتبها النهى في الغابرين بسطة
تنادى بني الأيام في تفراتها
ولا تهملوا الأوقات فهي بوانتر

سوى صوت عرق نابض بحشاها
لتفصح إلا بالزمان لغاها
فواداً تغشاه الهوى وحكاها^(١)
وبانت مواقيت الورى بعها
بها الناس في أوقاتها لمتها^(٢)
وما هو إلا مشيها وخطاها
ويرشيد ضلال الزمان هداها^(٣)
وما أكلها إلا التواء معها^(٤)
بتيماء غمت في الظلام صواها^(٥)
إذا حجبت عنك الغيوم ضياها^(٦)
نتيجة أفكار الورى وحجاها
فم على مر الزمان بناها^(٧)
أن اسعوا بجد بالعين مداها
تقطع أوصال الحياة شبها^(٨)

- (*) من الجزء الأول .
(١) ضربان : أى ضرب وخفق .
(٢) منها : جمع منية ، وهى ما يرغب فيه الانسان ويتمناه .
(٣) أى أنها تهتدي الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريد .
(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى موى واحد » أى أنه يتقل من الطعام والشراب ، ولا يسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أمعاء ، لشربه ونهمته .
(٥) تيماء : صحراء لا يهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والورى : ما ينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .
(٦) يريد أنها زين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .
(٧) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد العقل حين فكرت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالزولة ، والزجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .
(٨) بوانتر : جمع بانتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بِرَزَتْ تَمِيسُ كحَطْرَةِ النَّشْوَانِ هَيْفَاءُ نُحْجَلَةٌ غُصُونِ الْبَلْبَانِ (١)
 وَمَشَتْ خُفًّا بِهَا الصَّبَا فَمَا لِمَتْ مَرَّحًا فَأَجْهَدَ خَصْرَهَا الرَّدْفَانِ
 جَالِ الْوَشَاحِ عَلَى مَعَاضِفِهَا انْتَى قَعَدَتْ وَقَامَ بِصَدْرِهَا النَّهْدَانِ
 تَسْتَبْعِدُ الْحُرَّ الْأَبَى بِمُقَلَّةٍ دَبَّ الْقَتُورُ بِحُفْنِهَا الْوَسْنَانِ
 وَإِذَا بَدَتْ تَهْفُو الْقُلُوبُ صَبَابَةً فِيهَا وَتَرَكَعَ دُونَهَا الْعَيْنَانِ
 أَخَذَ الدَّلَالُ مَوَاقِفًا مِنْ عَيْنِهَا أَلَّا تَزَالَ مَرِيضَةَ الْأَجْفَانِ
 تَمَشَى فَتَنْشُرُ فِي الْفَضَاءِ مَحَاسِنًا بَسَطَ الزَّمَانُ لَهَا يَدَيَّ وَهَلْهَانَ
 وَيُلَوِّحُ لِلنَّظَرِ اتَّقْرِيبَ بَوَاجِبِهَا عَقَلَ الْخَلِيمَ وَعَصِمَةَ الصَّبِيَّانِ
 لَمْ أَنْسَ فِي قَلْبِي صُعودَ غَرَامِهَا إِذْ نَحْنُ نَصْعَدُ فِي رُبَا لُبْنَانَ
 حَيْثُ الرِّيَاضُ يَهْرَى عِطْفُ غُصُونِهَا شَدُوُ الطَّيُورِ بِأَطْرَبِ الْأَحْزَانِ
 لُبْنَانَ تَفْعَلُ بِالحَيَاةِ جَنَانَهُ فَعَلَّ الزَّلَالَ بِقَلَّةِ الظَّمَانِ
 وَتَرْدُ غُضْنِ الْعَيْشِ بَعْدَ ذُبُولِهِ غَضًّا يَمِيدُ بِفِرْعَسِهِ الْقَيْنَانِ
 فَكَأَنَّ لُبْنَانَ عَرُوسٌ إِذْ غَدَا يَزْهُو بِنَشْرِ غَدَائِرِ الْأَغْصَانِ
 وَكَأَنَّهَا الْبَحْرَ الْخِضْمُ سَجَنَجَلٌ يَبْدَى خِيَالَ جَمَالِهَا الْفَتَّانِ
 جَبَلٌ سَمَتْ مِنْهُ الْفُرُوعُ وَأَصْلُهُ تَحْتِ الْبَسِيطَةِ رَاسِخَ الْأَرْكَانِ
 تَهْفُو الْغُصُونُ بِهِ الذَّيَارَ وَفِي الدَّجَى تَهْفُو عَلَيْهِ ذَوَائِبُ النَّيْرَانِ
 وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرٌّ عَلَى تَيْجَانِ (٢)
 لَهْ لُبْنَانُ الَّذِي دَخَبَاتُهُ ضَحِكْتُ مُنَازِلَةً مَعَ الْوُدْيَانِ

(١) من الديوان الأول .

(١) تَمِيسُ : تَحْطُرُ وَتَتَمَاطَلُ . وَالنَّشْوَانُ : السُّكْرَانُ ، وَالصَّبَا : الضَّامِرَةُ الْبَطْنُ . وَالْبَلْبَانُ : شَجَرٌ غُصُونُهُ لَدُنَّةٌ تَتَمَاطَلُ وَنَهْرٌ .
 (٢) ذُرَاهُ : أَعْلَاهُ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ .



(تمى قنبر في النضاء حاسنا . . .)

يجرى النسيم الغضُّ بين رياضه
جَلَّتِ الطبيعةُ في رُياه بدائِعاً
يا صاحبي أتذكرانِ فإني
إذ كان يغبطننا الزمانُ ونحن في
في ليلة حسد الضياء ظلامها
متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه

مُرَّخَى الذبول مُعَطَّرَ الأردان^(١)
تكسو الكهولَ غَضاضَةَ الشبان^(٢)
لم أنسَ بعدَ كما سَوَى النسيان
وادي القريكة مَنبِتَ الرِّيحانِ^(٣)
وعنا لفضل نجومها القمران^(٤)
رَكُضَ البيانُ بها بغيرِ عِنان^(٥)
غيرُ الكواكب فيه من آذان
سِرٌّ يحولُ بمخاطر الكِتمان

° ° °

ما كنتُ أحسبُ أن أحلَّ ببقعة
حتى نزلت من الشُّورِ بجنة
هضرت أغصان الأمانى ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تم اللقاء قصدتُ من
يا يوم بكفياً وبيت شبابه
وسقى زمانك ياديارَ بحنِّسٍ
فلقد رأيت ضياء مجدك مُشرقاً
أفيدكر اللبكي يومَ بحنِّسٍ
أم ليس يعلم أنى أحببته

للحسن مُنبتةٌ ولاحسان
فيها الحياة كثيرة الألوان
غيرَ السرور بهنَّ قِطْفُ دان^(٦)
كفُ القريضِ مشيرةً بينان
ربوات بكفياً ظلال جنان
أفديك من يومٍ بكل زمان
صوبُ المسرِّ دائمُ التهنان
في وجه كل حلالِ ديان
حيث اجتمعنا في حمى كنعان
حباً أذبتُ بناره سُلوانى

(١) الغض : البليل ، ومرخى الذبول : كناية عن التهلل في السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف السم . (٢) الكهول الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : روقه وحسنه . (٣) يغبطننا : يحسدنا . (٤) عنا : ذل وخضع . (٥) يتجاولان في مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : الاجرام : أى جرى البيان كما شاء حراً طليقاً . (٦) هضرت النصن : جذبتته . والقطف : ما يقطف من الثمر .

ليست رباً لبناناً ثوباً أخضرا
 نثر الربيع بهنَّ زهراً مؤنقاً
 فبرزنَ من وثنى الطبيعة بالخلّى
 وكان صنيئنا أطلَّ مراقبا
 تلك الربا أما الجمال فواحدٌ
 رجلٌ يسير إلى النجاح وآخرٌ
 متخاذلين بها وهم أعوانها
 ضعفت مبانى كلِّ أمرٍ عندهم
 وتفرقوا دنيا كأن لم يكفهم
 وسعوا فرادى للحياة وفاتهم
 يأهل ذا الجبل المنيع مكانه
 أما محاسنها فهنَّ بمنزل
 ومن الفخامة هنَّ في غلوائها
 فتبوءوا جنائهنَّ أنيقاً
 ماذا يثبطكم بها أن تنهضوا
 إني لأرجو أن أراكم للعلّى
 وأودّ لو تمشون مشية واحد
 لا تقرنوا بتشتت آراءكم
 أمناجرى لبنان طال غيابكم

وزهتُ بحيث الحسنُ أحمر قان
 يزرى بنظم قلائد العقيان
 فكأنهنَّ بحسنهنَّ غوان
 يرنو لهنَّ بمقالة الغيران
 فيها وأما أهلها فائتاف
 يسعى وغايته إلى الخسران
 ومن البلاء تخاذل الأعوان
 ما بين هادمها وبين البانى
 فى النائبات تفرق الأديان
 أن التضامن رائد العمران^(١)
 تفدى مواطنكم بكل مكان
 تنحطُّ عنه بدائع الأكوان
 ومن الشبيبة هنَّ فى ريعان^(٢)
 وابنوا بهنَّ كأكرم البنيان^(٣)
 نحو الفخار كنهضة اليابان^(٤)
 متهيّجين تهيج البركان
 متكاتفين تكاتف الإخوان^(٥)
 فالبدر يمحق عند كل قران^(٦)
 أين الحنين إلى رباً لبنان

(١) فى الأصل : لنايات ، فى موضع الحياة ، ولا معنى لنايات هنا .

(٢) الغلواء : العفران والقوة ، وريعان الشبيبة : عفتوانها وأولها .

(٣) تبوء المكان : جعله مباءة ومثلاً له .

(٤) ثبطه عن الشئ : نفى عزمه عنه .

(٥) متكاتفين : متعاونين ، وفى الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحق : أى يكون فى الحاق ، وهو احتجاب ضوءه آخر الشهر لحيولة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم وتئن شاكية من المهجران
أفترحون أئينها أم أنتم لا ترحون أنين ذى أشجان
إني أرى هجر الرجال بلادهم شيئاً يضيع كرامة البلدان
وإضاعة الوطن العزيز جنابة ضلّ الزمان بها عن الغفران
من كان ذا جدّة فأحرّ بمثله ألا يضمنّ بها على الأوطان^(١)

لبنان

ولع لبنان بالرصافي ، غسارت قصائد شاعر العراق على
أسنة اللبنانيين ؟ ولع الرصافي ببلنات ، فجاءته قريحته
بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كأمها ،
عليقة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان :
(الأحرار — بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسنَ في لبّنانٍ أينعَ غرسُهُ وقارب حتى أمكن الكفّ لئسُهُ
إذا ما رأته عينُ ذى اللبِّ مشرقاً تنزّت به في مدرج الحبّ نفسه^(٢)
زكا مغرساً فالذامُ ليس بيومه وطاب جنّي فالسوء ليس يمسّه^(٣)
قسا صخره لكن تفجّر ماؤه فلان بكيف العيش منه حجسه
لقد ليس الجوّ اللطيفَ فزانه بما فيه من غرّ الحاسن لبسه
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه وفي الظهیر لم تلفحك بالحر شمسه
وقد عبّدت للسالكين ضريقه وحرّر أهلوه وبورك أنسه^(٤)
فمن كان في طرُق التواصل عترةً فقد جاز في شرع الحبة دمسّه
تضىء نجومُ السعدِ واليمن فوقه فينجابُ شومُ الدهر عنه ونحسه
ويهمس في أذن الطبيعة جوّه فيضحكها فوق الربا الخضر همسه

(١) الجدة : المال والغنى .

(٢) تنزّت : جانت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .

(٣) الذام : العيب .

(٤) عبّدت : ذالت مهبت .

كَأَنَّ النسيمَ الطَّلَقَ بَيْنَ جَنَانِهِ
كَأَنَّ جِبَالَ المَتَنِ حَدْبَةٌ عَابِدٌ
يُقَالُ عَنِ الأَصْوَاءِ فِي جَوْفِ لِيَاهِ
تَزَوَّجَ صَنِينُ الفَتَى بِنْتَ جَارِهِ
وَنَبَعَ الصَّفَا والقَاعَ فِيهِ كِلَاهُمَا
جَرَى المَاءُ فِي وَادِيهِمَا مَتَدَفِقًا
وَإِنْ تَرَى الشَّاعُورَ يَوْمًا تَجِدُ بِهِ

مِنَ الحَسَنِ مَا قَدْ خَصَّ بِالفَضْلِ جَنَسَهُ
جَرَى مَاءُ العَذْبِ الزَّلَالُ مَحَاكِيَا
بِهِ المَاسَ صَفَوْا أَوْ هُوَ المَاسُ نَفْسَهُ
تَرَى طَبَعَ وَادِيهِ رءُوفًا بِأَهْلِهِ
شَدِيدًا عَلَى مَا يَزْعَجُ النَفْسَ بِأَسِهِ
فَمِنْ زَارِهِ مَسْتَوْحِشًا فَهُوَ أَنَسُهُ
أَحْسُ لِعَمْرَى مِنْهُ مَا لَأَحْسَهُ
إِذَا كَانَ لِبْنَانٌ كَلْبِي كَحَاسِنَا
وَمِنْ جَاءَهُ مَسْتَنْزَهَا فِيهِ قَدْسُهُ
وَإِنْ تَحْمَدُوا مِنْهُ الأَيَادِي فَإِنِّي
فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنِّي اليَوْمَ قَيْسُهُ
عَجِبْتَ لِمَدْفُونٍ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَنَا اليَوْمَ مِنْ بَعْدِ الأَيَادِي قَيْسُهُ
فَمَنْ لَمْ يَزُرْهُ وَهُوَ رَبٌّ اسْتَطَاعَةَ
وَلَمْ يَنْتَفِضْ حَيًّا وَيَنْشَقُّ رَمْسَهُ
وَمَنْ زَارَهُ مَسْتَشْفِيًا زَارَهُ الشِّفَا
تَحَمَّ فِي سِجْنِ الحِقَاقَةِ حَبْسَهُ
وَلَوْ جَاءَهُ مَنْ فِيهِ مَسٌّ وَرِجْنَةٌ
وَإِنْ كَانَ قَبْلًا يَا أَسَا مِنْهُ نُطْسُهُ
وَمَا حَلَّهُ مَسْتَوْحِشَ النَفْسِ وَاحِمٌ
مُحَلِّ اصْطِيَافِ الأَغْنِيَاءِ مِنَ الوَرَى
فَمَنْ يَبْنُلُ الدِينَارَ فِيمَا يَرِيدُهُ
مُحَلِّ حَلِّهِ مَسْتَوْحِشَ النَفْسِ وَاحِمٌ

(٢) دَمَسُهُ ظَلَامَةٌ .

(١) جَرَسُهُ : صَوْتُهُ .

(٣) صَنِينٌ : اسْمُ جَبَلٍ .

(٤) النُّطْسُ : بِسُكُونِ الطَّاءِ : أَصْلُهُ النُّطَّاسُ بِضَمِّهَا وَهِيَ الأَطْيَابُ الحَذَاقُ المَدْفُونُونَ . وَلِغَلَبَةِ جَمْعِ

نَطِيسٍ يوزنُ أَمِيرٌ . وَهُوَ العَالِمُ بِالشَّيْءِ . (أَنْظَرَ تَاجَ العُرُوسِ) .

كمثل الذي لا تصرف الفأس كغفهُ ولو كان دون الفأس يقلع ضرسه
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثلث ما يحويه بل هو خمسُه
ألا إن في لبنان جواً مروّفاً إذا ماشى السلول لم يحش نكسه (١)

في مكتبة الأوقاف

أنشدت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي
الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخ هذى الكتبُ فأنقذها من أكَفِّ العطبِ (٢)
ورتبها فهي معروضة لمن يتناولها مني كُتِب (٣)
وكانت لعمرُك رهن الغبار مكدسة في زوايا الشجَب (٤)
يمر بها الدهر مطمورة تعاني الحراب وتدعو الحَرَب (٥)
نسيج العناكب من فوقها ومن تحتها السوس فيها انسرب (٦)
يعيث بها آكلاً طرسها كما تأكل النارُ جزلَ الحطب (٧)
وكانت على علم حرّاسها تحفُّ الظنونُ بها والريب
فمد إليها معالي الوزير يدا دأبها الغوثُ عند الكُرب
فأخرج منها كنوز العلوم لأهل الفنون وأهل الأدب

(١) مروفاً : صافياً بما يكدره من غبار ونحوه ، والسلول : من أصابه السل ، وهو تدرت
الرئة والنكسر : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كتب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أي محبوسة في الغبار والتراب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على
غير نظام ، كأنها أكداس الطعام في الجرين . والشجَب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أي تنادي : واحربا . والحرب : التنس والمهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعات .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوي .

فَمَا إِنَّ أَرْوَاحَ مَنْ أَوْقَفُوا مَرْفِرْفَةً فَوْقَهَا مِنْ طَرْبٍ^(١)
 كَمَا أَنَّ أَرْوَاحَ مَنْ أَلْفَوْا قَدْ ابْتَسَمَتْ كَالْتِمَاعِ الشُّهْبِ
 لَقَدْ رَضِيَ الْعِلْمُ عَنْ فَعْلِهِ وَإِنْ أَخَذَ الْجَاهِلِينَ الْغَضَبُ
 فَمَا بِالْقَوْمِ غَدَاوًا يَصْرُخُونَ صُرَاخًا بِهِ يَقْصِدُونَ الشُّغْبَ^(٢)
 يَقُولُونَ هَذَا خِلَافَ لِمَا لَدَى النَّاسِ فِي وَقْفِهَا مِنْ أَرْبٍ^(٣)
 فِيهَا لِلْعُقُولِ لِهَذَا الْعَبَاءِ وَيَا لِلْفَحُولِ لِهَذَا الْعَجَبِ !
 أَلَلُّشُّوسُ أَوْقَفَهَا الْوَاقِفُو ن ، أَمْ لِلْعَنَاكِبِ ، أَمْ لِلتَّرْبِ !
 إِلَى كَمِّ نَظَلَّ لِأَغْرَاضِنَا نَعَارِضُ مِنْ دُونَ أَدْنَى سَبَبِ
 وَنَجْمُدُ فِي غَفْلَةٍ هَكَذَا وَنَمْرُحُ فِي لَهْوِنَا وَاللَّعِبِ
 أَرَى هَؤُلَاءِ ضِعَافَ الْعُقُولِ وَإِنْ قَدْ نَزَّاهُمْ غِلَاطُ الرَّبِّ
 تَضْيِيقَ عَنِ الْحَقِّ أَرْوَاحَهُمْ وَإِنْ لَبَسُوا وَاسِعَاتِ الْجَبِّ
 فَهَمَّ يَقْطَعُونَ عَلَى الْمَصْلِحِينَ طَرِيقَ الْقِيَامِ بِمَا قَدْ وَجِبَ
 فَسِرْ فِي طَرِيقِكَ مُسْتَعْلِيَا وَخَلَّ صَفَادَعِيهِمْ تَصْطَلِحِيهِ
 فَلَلْشَّرِّ مَا صَخَّبَ الصَّاحِبُونَ وَاللَّخَيْرِ جَمَعَكَ هَذَى الْكُتُبِ
 لَقَدْ صَنَعْتَهَا مِنْ طُرُوقِ الْبَلِي وَخَلَّصْتَهَا مِنْ يَدِ الْمَسْتَلِبِ^(٤)
 وَأَعَدَدْتَهَا لِشِفَاءِ الْعُقُولِ مِنَ الْجَهْلِ وَهُوَ أَشَدُّ الْوَصَبِ^(٥)
 وَمَا كُنْتَ فِي الرَّأْيِ بِالْمَسْتَبَدِّ وَلَا كُنْتَ فِي الْفِعْلِ بِالْمُضْطَرِبِ
 وَقَدْ كَانَ عَزَمَكَ فِيهَا أَرَدْتَ يَقْلُ ظُبِّي الْمَرْهَقَاتِ الْقُضْبِ^(٦)
 فَمَنْ كَانَ جَذْلَانًا فَلْيَبْتَسِمْ وَمَنْ كَانَ غَضْبَانًا فَلْيَبْتَسِمْ^(٧)

(١) رفررف الطائر يجناحه : حركهما . والطرِب : هنا : نشوة السرور .
 (٢) الشُّغْب : الفتنه والافساد . (٣) من أرب : من قصد وغاية .
 (٤) يريد : إنك حفظت السكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلي ، بسبب قلة
 العناية بها . والثاني : أن تمتد إليها يد السارق ، الذي طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف
 الشرق ومفاخرة . (٥) الوصب : الألم .
 (٦) يقل : بكسر . والظبي : جمع ظبية ، وهي حد السيف . والمرهقات القضب : هي
 السيوف المرققة الحادة . (٧) فليبتسم : أي ليليك ماشاء .

آل الجميل

آلُ الجميل سرور كل حزين كهف اليتيم وملجأ المسكين^(١)
 تعنو لهم سرّوات كل قبيلة وتهابهم آساد كل عرين^(٢)
 وإذا تماحكت الحصوم فبأسهم يدع الحصيم مجدّع العرين^(٣)
 وإذا تلوّثت الجباه بجزيّة فجباههم أنقى من النّسرين
 عزّت بهم دار السلام فيهم بها أركان عزّ كالجبال مكين
 فإذا تقطعت المنى بك فاعتصم منهم بجبل في الرجاء متين
 تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم كتفاخر الدنيا بفخر الدين
 ذاك الذي مجدّ الحدود بمجده قد زيد تمكينا على تمكين
 إنّ ابن عيسى بن الهمام محمد لأجل نجلٍ بالثناء قين^(٤)
 يابن الأكا بر قد دعوتك ظامئا ظمأ الحياة فجد بما يرويني^(٥)
 وأنا العليل بحاجة تدرى بها وأظن فضلك ناجدا يشفيني
 قد عاقني الإملاق عن سفرى إلى من طال معتلجا إليه حنيني^(٦)
 وأنا المشوق ولست ممن شاقهم بقرّ العذيب ولا ميا يبرين
 نكن قلابي لا يزال يشوقه ضبي أقام بدار قسطنطين
 فأرش جناحي كى أطير بريشه فيكون ظنى فى نذاك يقينى^(٧)
 واعدر فإنى بالحقيقة لم أبح إلّا إليك وأنت خير فطين
 إنى إذا آوى إليك فأعما آوى إلى ركن أشدّ ركين

(١) كهف اليتيم : ملجأه الذى يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحك الحصوم : تجادلهم بالحجج . الحصيم : الخضم . ومجدّع العرين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجّة ، لأن قوة الحجّة تورث الإنسان شموخا بأنفه ، وكبرا على خصمه .

(٤) فلان قين بكذا : جدير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحي : أنبت فيه الريش . والقول ثلاثى ، ولكن الشاعر هنا حسبه رباعيا .

البلبل والورد

إِنَّ بَلْبِلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ
أَخْبَرَ رِيَّاهُ أَصْحَاحَ الْخَبَرِ
إِذْ هُوَ مُذْ أَلْقَى بِهِ نَاطِرَهُ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةً زَاهِرَهُ
مُضْمُومَةٌ أَوْ رَاقِبًا النَّاضِرَهُ
مِثْلَ فَمٍ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمٍ

* * *

فَطَّلَ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ
وَهِيَ غَدَّتْ عَمَّا بِهَا مِنْ خَفَرِ
ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا
يَنْطِقُ بِالْحَبِّ لَهَا بِأَحْمَا
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِخًا
حَتَّى غَدَا الْبَلْبِلُ مِنْذُ الصَّغَرِ
يَنْشُدُ فِيهَا شَعْرَهُ الْمَبْتَكَّرِ
رُنُوءٌ ظَمَانٌ إِلَى مَنْهَلِ
مَحْمَرَةٌ مِنْ نَظَرٍ مُجْجَلِ
يُعِينُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِنْطَاقَهُ
كَأَنَّهَا تَقْصِدُ إِشْاقَهُ
فِي حَبِّهَا مِنْطِقَ الْمَقُولِ
وَلَا يَنْبِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ اغْتَدَّتْ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ ارْتَدَّتْ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ
تَحْمَلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرُ
فَرَأَشَةُ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
مَلَاءَةً مَوْشِيَةً مِنْ حَرِيرِ
أَرْسَلَهَا الْبَلْبِلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
رِسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبَلْبِلِ
وَاسْتَوْجِبَ الْعَطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَانْقَضَى
مَسَّتْ حَشَا الْبَلْبِلِ نَارُ الْغَضَى
لَا تَسْأَلِ الْبَلْبِلَ عَمَّا مَضَى
وَعَادَتِ الرُّوضَةَ كَالْبَلْقَعَةِ
مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَاهُ

ولكن اسأل في السماء القمرَ عن خبير الورد مع البليل
إذ كان يُصنئ منيما للسمر وهو مُطَّل ناظر من علِّ

فراشة الروضة ظلمت لدا تحوم والأزهار من تحتها
تقبل الزهرة ذات الشدا طائرة منها إلى أختها
وتسأل الأزهار عما إذا مرَّ فقيد الورد من سمَّتها
لتخبّر البليل بعض الخبر لعاه غمته تنجلي
فإنه بات حليف السهر مذ نزع الورد عن المنزل

أغرودة العندليب

سمعت شعراً للعندليب تلاه فوق الغصن الرطيب
إذ قال نفسي نفس ربيعة لم تهو إلا حسن الطبيعة
عشقت منها حسن الربيع أحسن بذاك الحسن البديع

فالعيش عندي فوق الغصون لا في قصور ولا حصون
أطير فيها لفرط وجدى من غصن ورد لغصن ورد
وفي فروع الأشجار بيتي فالظل فوق الزهر تحتى

فسل نسيم الأسحار عني كم هز عطف الأغصان الحني
وسل بشدوى زهر الرياض إني بحكم الأزهار راض
فكم زهور لما أفوه أصغت وقالت لأفض فوه
يا قوم إني خلقت حرًا لم أرض إلا الفضا مقرًا
فإن أردتم أن تونسوني ففي البساتي لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني فأطلقوني ، فأطلقوني

الصيف



أُنظِرْ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الضَّمْحَى

جاء المصيف فحقت الأنداء
وتوقدت عند المبحيرة شمسهُ
وعلى الديار تراكت من شمسهِ
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت
مدت إلينا في الهجير أشعة
فحكّت أشعتها حراباً أشرعت
حتى استجار الليل من لفحاتها

وشكت بيوستها به الأشياء
فتلمّظت بأعابها الصحراء^(١)
ملء الفضاء حرارة وضياء
غضبي تحيش بصدرها الشخفاء^(٢)
كالصخرة نلؤها بيضاء
بيضا فما تحديدها أصداء^(٣)
ركب مروا فهدتهم الجوزاء

(١) تلمّظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فيه ، وأخرج لسانه ، فسحبه شفثيه .

(٢) الشخفاء : السدده .

(٣) أشرع الريح : العداوة .

نظروا إلى الحسناء في رَأْد الضحى
وتمر لاغبةً وفوق جبينها
إن كان حرَّ الشمس لوَّح وجهها
تمشى فتلفحُ وجهها الرَّمضاء^(١)
عَرَقٌ ووجتُ خدَّها حمراء^(٢)
فكذلك تؤذى الضرةُ الورَّهَاءَ^(٣)

* * *

إني لأغفر للمصيف ذنوبه
فالمصيف أرفأ بالفقير من الشتا
قلت به الحاجاتُ فالفقراء في
من كان أعوزه كساء منهم
والأرضُ إن طلبوا الرقادَ وطأؤهم
ولئن يكن كدرِ النهارِ فليله
ولئن قسا عند الهجير فريحه
أضحى فطابت في ضحاه ظلاله
والمصيفُ أحسنُ ما به تُشاهدُ
وأجلُّ ما يُرتاد فيه جَنينةٌ
فعليك فيه بسرحةٍ في منبَع
ولو أن غارةً هيضه شعواء^(٤)
ولذا تحب قدمه الفقراء
أيامه والأغنياء سَواء
فالمصيفُ ملحفة له وكساء
من دون مني والسماء غطاء^(٥)
طلق وفي وجه السماء صفاء
هبت بحاشيته وهي رُخاء
وأني الأصيل فطابت الأفياء^(٦)
صبح أغرُّ ولياة قراء
ترف الظلالُ بها ويمجى الماء
تحنو عليك غصونها الخضراء^(٧)

(١) رَأْد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٢) لاغبة : متعبة . (٣) الورَّهَاء : الخفاء .

(٤) الهيض : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .

(٥) من عليه بما صنع منا : ذكر وعدد مفعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .

(٦) الأفياء : جمع فيء وهو الظل .

(٧) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو التي لاشوك لها .

الشتاء

قد كانت الأغصانُ مخضرةً وكانت الطيرُ بها تسجعُ
فصارت الأوراقُ مصفرةً تسقطها الرّادةُ والزّرعُ (١)
ثم غدت جرداءَ مزورةً والغيمُ أمست عينه تدمعُ (٢)
من أجل هذا المشهدِ الحزينِ

والليلُ قد طال على من شتا وصار ليلا باردا مظلمًا
لعلَّ هذا الرعدَ مذ صوتنا هرب منه تليكمُ الأجمًا
علامَ قد غيمَ ليلُ الشتا فارتاعت الأجمُ مذ غيمًا
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صرصرُ والجو يبدو عابسا مطرقا
قد حار فيه التّربُ المعسِرُ إذ لم يجد فيه له مرفقا (٣)
يأيها الناس ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُملقا
وأحسنوا فالقوزُ للمحسن

إنَّ الشتا أرحمُ للمعدمِ منكم وإنَّ أوجعه بردهُ
لأنه بالعارضِ المسجِمِ يُنبئُ زرعًا يُرتجى حصدهُ (٤)
حتى تفوزَ الناسُ بالأنعمِ مما لهم أنبّه جودهُ
ويشبعُ المعدمِ والمعتنى

(١) الرّادة : الريح اللينة الحبوب . والزّرع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وترزعها

(٢) مزورة : معوجة .

(٣) التّرب : الفقير المعدم . والمرفق : ما يستعان به .

(٤) العارض : السحاب يعترض في السماء . والمسجِم : الهائل المنظر .

التلغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاكٌ توَدَى الأخبارُ
فوق النَّزَى مُدَّتْ وتحت الأبحار
ما بين كلِّ عشرات الأمتار
شاخصةً أشباحها للأنظار
لكهربائيةٍ فيها تيار
جوانبَ الأنباء نحو الأمصار
في الأرض مجرى لجليل الأخبار
في كنهه أهلُ النهى والأفكار
ولم ينزل مُحتجبا بالأسرار
وكم لها بين الوَرَى من آثار
وتنقلُ الأخبار ذات الأخطار
فتجعلُ الأصالَ مثل الأبيكار
وقد تُداوى كلَّ داءٍ ضرار
والجرحُ تأسوه بغير مسبار
لها نفوذٌ في جميع الأقطار
وفي رياحِ الجوّ ذات الإعصار
وقد سرتُ في كان غيمٍ مذرار

فتوى بهذا الكون سر الأمرار

(١) البقار : اسم وادء و اسم موضع في بلاد العرب .

(٢) أسقر : انكشف . (٣) انعقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح . داواء . والمسبار : ما يختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لِبَيْرُوتَ بَعْمَرَانِهَا أُمَكْنَةَ تَعَاوِ التَّبَارِيسَا^(١)
لَا سِيَا أَرْبَعُ لِبِنَائِهَا تَلِكُ الَّتِي تَحْكِي الْفَرَادِيسَا
فَكَمِ كِنَاسٍ قَدْ حَوَتْ لِلظُّبَا وَكَمْ حَوَتْ لِلأَسَدِ عَرِيسَا^(٢)
وَمَا التَّبَارِيسُ سِوَى مَقْمَرٍ يَقْضِي عَلَى اللَّاعِبِ تَقْلِيسَا^(٣)
يَشُدُّ بِالْإِفْلَاسِ أَيَامَهُ مَنْ حَلَّ فِي مَلْعَبِهِ الْكِيسَا
مُعْرَسٌ يَقْصِدُهُ مِنْ نَحَا فِي أُخْرِيَاتِ اللَّيْلِ تَعْرِيسَا^(٤)
وَمَرْقَصٌ تَرْقِصُ فِي بَهْوِهِ أَوَانِسٌ تَحْكِي الطَّوَاوِيسَا
مَا فِيهِ مِنْ بَارِيسٍ إِلَّا الَّذِي يُؤَثِّرُ عَنْ غَادَاتِ بَارِيسَا
لَكِنَّ بَيْرُوتَ بِلِبْنَانِهَا تَكْشِفُ عَنْكَ الِهْمَّ وَالْبُوسَا
عُرُوسَ لِبْنَانٍ أَمَا وَالَّذِي صَيَّرَ مِرْآتِكَ قَامُوسَا
مَا أَنْتِ إِلَّا جَنَّةٌ آمِنٌ أَدَمٌ فِيهَا مَكْرَ إِبْلِيسَا
فِيكَ تَجَلَّى اللهُ رَبُّ الْعَالَا بِالْحَسَنِ مَرْتَبَا وَمَامُوسَا
لَوْلَا جَمَالُكَ فِيكَ مَسْتَوْدَعٌ مَا شَرَحَ الْحَبَّ لَنَا عِيسَى
كَنِيسَةً لِلْحَسَنِ فِي حُبَّهَا قَلُوبُنَا صَارَتْ نَوَاقِيسَا
مَا الْحُسْنُ فِي شَيْءٍ بِمَسْتَحْسَنِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ سُوسَا^(٥)
قَائِنٌ مِنْ هَذَا تَبَارِيسُكُمْ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ تَبَارِيسَا

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .

(٢) الكناس : بيت الطي . والعريس : بيت الأسد .

(٣) مقمر : ناد للقتال . (٤) المروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل

(٥) السوس : الأصل والطمع .

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه ،
وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد ، فأشده هذه الأبيات :

أطمت أبا سعدون مُكثك هينا فحيتي متى تبقى مقيا بمستشفى
فدع عنك طيبا هينا تستطبه ففي الجد طب ضامن لك أن تشفى
أرى مجلس النواب أو حشت بهوه وقد كاد من صمت تغشاه أن يغفى (١)
فيها هو مُشتاق إليك منزلزل يكاد إليك الشوق ينسفه نسفا
فإن لم تداركه بوصل معجل تداعت به الجدران أو ألفت السقفا
وما استظرت ببغداد مذجت هاهنا مجالس فيها كنت تملؤها ظرفا
فكم لك في تلك المجالس نكته تهز لها الآداب من فرح عطفا
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطبا فأية أذن لا تنوط بها شفا (٢)
رأينا صريح القول فيك سجية فلم ترض يوما للحقيقة أن تخفى
إذا عن تبيان الحقيقة قلبها ولو أغضبت أهل السياسة والصحفا
هنيئا لحزب أنت منه فإنه يمثلك فردا في النهي يغلب الألقا (٣)
تلطفت في آدابك الغر ناطقا بما قد حوى كل اللطائف واستوقى
فتمرب أحيانا وتلحن تارة ولكن بلحن أعجب المنحور والصرفا (٤)
أدامك رب الناس للناس معلنا مكارم جأت أن نحيط بها وصفا

(١) غمى يغفى من باب ضرب ، وأغمى يغفى : نام نومة خفيفة . وقد جعله الشاعر من باب فرح ، ولعلها لغة .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشنف : القرط في أعلى الأذن .

(٣) النهي : جمع نهية وهي العقل .

(٤) الأعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . واللحن : الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد اللحن الذي هو الخطأ في الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِرًا
إذا خفيت يوماً عليك حقيقةً
وإن ليلةً أخطب ادلهمت كشفها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أختمت حالي عليك وقد بدا
أنتك من بغداد لم أدر ما الذي
وأحمل في جنبي نفساً غنيّةً
ولو كنت في بغداد أرضى بذلة
ولكنني قد عفت أن أريد الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفائه
ولو أنني بهت النساء بنائل
وإن حديثي عنك غير مرجم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا
وسوف ترى مني لدى الدهر شاكراً
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب

خفايا أمور أعجزت كل مُبْصِرٍ
نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
بأوضح صبح من فمالك مُسْفِرٍ
بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
لكل صديق أنها حال مُقْتَرٍ
أني بي إلا أنتي في تحييرٍ
وإن شقيت مني بجهنم مُعْسِرٍ
لما جئت إلا ساحبا فضل مزرى
ونفسي في قيد من اللب مُعْفِرٍ
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مشترى^(١)
وإن مقالتي فيك غير مزور^(٢)
بعزلة لا وإن ولا متفقير
وإن كنت أعيان تمام التشكر
ليجعله أهدوءة كل مخبر

(١) النائل : العطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الظنون .

يادار قسطنطين

يادار قُسْطَنْطِينَ أَنْتِ فَرِيدَةٌ
أَقْدَ اجْتَوَيْتُكَ لَا لَفَقْدِ مُحَاسِنِ
أَبْدَا سَمَاوِكَ وَجَهَّهَا مَتَلَوْنَ
وَأَرَى هَوَاءَكَ نَاضِجًا بِرَطُوبَةٍ
تَسْرَى الرَطُوبَةُ مِنْهُ بَيْنَ عُرُوقِهِمْ
فَتَأْتِي شِرَّتَهُمْ وَلَيْسَ بِهِمْ ضَنْيٌ
وَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ يَعُودُ مَحْوِقًا
رِيحَانٍ تَنْدَفَعَانِ فِيكَ فَتَارَةٌ
أَمَّا الشَّمَالُ فَعَقْرَبٌ لَسَاعَةٌ
لَا كَانَتَا مِنْ ضَرَّتَيْنِ عَلَى الْوَرَى
وَأَرَى بِكَ الْأَخْلَاقَ ذَاتَ تَلَوْنَ
وَطِبَاعَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كِهَوَاهِمِ
أَمْسَى التَّصَنُّعَ فِي بَنِيكَ صِنَاعَةٌ
فَإِذَا تَلَأَلَّتِ الثَّغُورُ تَبَسُّمًا
وَلَرَّبَّمَا أَحْتَرَمَ الْبَغِيضُ بَغِيضَهُ
عَجَبًا فَكَمْ حَمَلٍ رَأَيْتَ وَمَذْنُضًا
حَلَمْتَ نَمُورِكَ خُدْعَةً وَنَظَاهَرْتَ
لَمْ أَلْقُ شَيْئًا فِيكَ غَيْرَ مَغْشَشِ
هَذِي صِفَاتِكَ يَا فَرُوقُ بِرَغْمٍ مِنْ

فِي الْحَسَنِ لَوْلَا جَوْكَ الْمَتَقَلِّبُ
لَكِنْ هَوَاؤُكَ عَارِمٌ مَتَذَبْذِبٌ (١)
فَأَرَاهُ يَبَسِّمُ تَارَةً وَيَقْطُبُ
هِمُّ الرِّجَالِ بِهَا تَجْفُ وَتَنْضُبُ
فَتَكَادُ مِنْ أَعْصَابِهِمْ تَتَحَلَّبُ (٢)
وَتُشَيِّبُ أَرْوُسَهُمْ وَمَا هُمْ شَيْبٌ (٣)
حَتَّى يَرُوحَ لِعِنَّةٍ يَنْطَبِّبُ (٤)
صِرًّا تَهَبُّ وَتَارَةً تَتَلَهَّبُ (٥)
وَعَنِ الْجَنُوبِ وَذِكْرِهَا أَتَجَنَّبُ
هَذِي تُجَمِّدُهُمْ وَتَلَاكُ تَدُوبُ
كِهَوَاؤِكَ الْقَلَابُ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
سَبَبُ الطَّبَاعِ مِنَ الْهَوَاءِ مَسَبِّ
مَنْ كَانَ يَحْسِنُهَا قَدْ ذَاكَ مَهْدَبُ
فَالْبَرْقُ فِي تَلَاكِ الْمِبَاسِمِ خَلَبُ
كَيْمَا يَقْسَالُ بِأَنَّهُ مَتَادِبُ
ثَوْبِي تَصْنَعُهُ إِذَا هُوَ ثَعَلَبُ
بِصَدَاقَةِ الْخِرْفَانِ فِيكَ الْأَذُوبُ
حَتَّى الْمِيَاهُ تَغْشَى فِيكَ وَتَكْذِبُ
أَنْوَرًا عَلَيكَ بِغَيْرِ ذَاكَ وَأَطْنَبُوا

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .

(٢) تنحلب : تسيل .

(٣) الشرة : الحدة والنشاط .

(٤) المحوِّق : الضعيف الذي قلَّ أربه في النساء .

(٥) الصر : البرد الشديد .

فلـكس فارس

إِن فَلَكَسَ بَنَ فَارِسٍ رَجُلٌ بِنَا افْتِقَارٌ إِلَى غَنَى أَدَبِهِ
تَمَّ لَهُ السَّبْقُ فِي الْعِلَاءِ بِمَا أَحْرَزَ يَوْمَ الْفَخَّارِ مِنْ قَصَبِهِ
مُفَوَّهٌ لَوْ رَأَاهُ يَخْطُبُ فِي الْمَحْفَلِ قَسٌّ جِثًّا عَلَى رُكْبِهِ
يَنْطَلِقُ عَنْ فِطْنَةٍ لَهَا حِكْمٌ تَبْرَى قَلْبَ الْجَهُولِ مِنْ وَصَبِهِ (١)
لَمْ يُصْغِرْ مُصْغِرٌ إِلَى خَطَابَتِهِ إِلَّا وَقَدْ رَاقَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ
تَعَوَّدَ كُلَّ الْخُطُوبِ هَيْئَةً إِذَا فَرَعْنَا مِنْهَا إِلَى خُطْبِهِ
أَتَعَبَ فِي النَّصْحِ نَفْسَهُ فَأَتَتْ رَاحَةَ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ تَعْبِهِ
يَطْلُبُ أَنْ تَنْهَضَ الرِّجَالُ إِلَى مَجْدِ يَحْيَى الْكِرَامِ فِي طَلْبِهِ
سَلَّ عَنْهُ لَبْنَانٌ كَمْ تَطَرَّبَهُ مِنْهُ خُطَابٌ فَمَادَ مِنْ طَرَبِهِ
وَمَلَّ دِمَشْقَ الشَّامِ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ دِمَشْقَ الشَّامِ مِنْ حَلْبِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ لِلشُّكُوكِ دَاجِيَةٌ أَنْارَهَا بِالْيَقِينِ مِنْ شَهْبِهِ
حَرَّ يَوْأَخِي فِي الْحَقِّ كُلِّ فِتْيِ حَرٌّ وَلَوْ شَطَّ عَنْهُ فِي نَسْبِهِ
إِنْ قَالَ قَوْلًا أَوْ انْتَضَى قَلَمًا فَنُصْرَةٌ الْحَقِّ مِنْتَهَى أَرْبِهِ
فَارَكَنَ إِلَيْهِ وَخَلَّ حَاسِدَهُ مَحْتَرِقًا مِنْ جَوَاهِ فِي لَهْبِهِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

ملیكة غناء العرب

هَلَمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ هَلَمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرَبِ
هَلَمَّ إِلَى ذَا الْغِنَاءِ الَّذِي مِنْبِرَةٌ مِنْهُ أَتَتْ بِالْعَجَبِ
أَلَيْسَتْ مِنْبِرَةٌ فِي عَصْرِنَا مَلِيكَةٌ فَنَّ غِنَاءَ الْعَرَبِ^(١)
وَلَا غَرَوَ أَنْ مُلِّكْتَ فِي الْغِنَاءِ وَأَنْ أَحْرَزْتَ فِيهِ أَعْلَى الرَّتَبِ
فَقَدْ أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسْلِهَا وَنَالَتْ أَقْاصِيَهُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
وَأَيْدِهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا بِأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
أَرَى فِيهَا صَيْغَ مِنْ حِكْمَةٍ وَأَبْجَسَهُ إِنْ أَقْلُ مِنْ ذَهَبِ
تَلُوحٌ فَتَبَيَّرَ بَدْرُ الدَّجَى وَتَشْدُو فَيَعْتَرِّ فَنَّ الْأَدَبِ^(٣)
بَلَحْنٍ إِذَا امْتَدَّ هَزَّ الْقُتُوبِ وَخَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
تَرْفُفٌ أَرْوَاحُنَا تَحْتَهُ كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
وَتَخَفُّقٌ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ كَمَا خَفَقَتْ فِي الرِّيَّاحِ الْعَذَبِ^(٤)
فَكَادَ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرَ إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِنَا جَمَّؤُنَا لَهَا وَثَيْنَا الرُّكَبِ
فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا لَشَقُّوا عَمَائِمَهُمُ وَالْجَبَبِ
أَرَى أَلْهَمَّ يُتَعَبُ قَلْبُ الْقَتِي وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
فَبَادَرُ إِلَيْهَا وَلَا تَكْثُرُ لَمَّا جَاءَ مِنْ ذَمِّهَا فِي الْكُتُبِ

(١) ملیكة : أى ملكة ، بمعنى رئيسة هذه الصناعة .

(٢) أدركته على رسلها : أى فى تمهل ورفق .

(٣) تبتر : تغيب وتفوق فى حسنها .

(٤) العذب : الأطراف من كل شىء ، وما يسدل إلى الخلف من العمامة .

إلى جميع الغواني

وقفتُ عليكِ قلبي الذي يمرُّ به الحُبُّ مرَّ السحابِ
وممكنٌ أحببتُ هاتي وذى وألفيتُ عذبًا بكنَّ العذابِ

فمنكنَّ بيضاء ما مثلها (عدا حمرة الخلد) إلا القمرُ
فتلك التي طاب لي وصلها كما ليلة البدر طاب السمَرُ

وممكنٌ حمراء جدابةً حكي وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها (وهي خلابة) فأمسك بالكف مني الضلوع

وممكنٌ صفراء في لونها كأن تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على هونها أصحَّت هبوب النسيم العليل (١)

وممكنٌ سمراء تحكي الدعي وتبعث في القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح الأعمى فيضرم في الصب نار الجوى (٢)

وممكنٌ من هي مثل الرياح لها في ذرى كل قلب هبوب (٣)
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب (٤)

وممكنٌ من هي مثل النجوم من البعد ناظرة تبسم
فتلك عليها فوادي يحوم وتلك إليها الردى أقتحم

ففيكنَّ طراً بوادي الهوى أهيهم وإن لم تعد عائدة
ألا إن حباً بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

(١) مشت على هونها : أى في رفق وتؤدة .
(٢) الأعمى : سواد الشفة ، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب .
(٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت .

لعمرك إن قصر البحر قصرٌ به يسألو موطنه الغريبُ
وتمتلىء العيون به ابتهاجاً إذا نظرت وتنشرح القلوب
تروق الناظرين بجانبه مناظرٌ دونها العجبُ العجيب
ومن شمسٍ يصافحها طلوع ومن سفن تجيء بها شمال
وأخرى حوله خمدت لظاها وأخرى في الفؤاد بها لميب
أطلَّ على المياه فقابلته كدأن البحر مشغوف كئيب
يقبل جانبه البحرُ حتى أحاط به فكان له رقيباً
وما هذا التموج من هواءٍ ولكن من هوى فهو الوجيب (١)
كأن الموج في الدأما رجال وهذا القصر بينهم خطيب (٢)
تخاطبهم مبانیه فيعلو من الأمواج تصفيق مهيب

* * *

تلمُّ به المسراتُ ازدياراً فتعرفه وتجهله الكروب
وما انقردت به بيروت حسناً ولكنَّ القصور بها ضروب
تبسّمت البلاد بكل أرض وما زال العراقُ به قُطوب
فها هو من تكاسل قاطنيه تجرّ عليه كلَّها الخطوب
إذا تدعو الرجالُ به نخير يجيبك من تخاذلهم مجيب
فيا لهفي على بغداد أمست من العمران ليس لها نصيب

(*) من الديوان الأول .

(٢) الدأما : البحر .

(١) الوجيب : الحققان والارتجاج .

سأبكي ثم أستبكي عليها
أيا بغداداً لا جازتُك سَحْبٌ
تطاول ساكنوك على ظلاماً
وكم نطقوا بالسنه جِداد
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً
ألا يا قوم سوف يجدّ جدّى
فمن ذا منكم قد شق قلبى
فعند الله لى معكم وقوف
يقينى شرّاً فرّيتكم يقينى
ولم تخفّر لكم عندى ذمام

إذا نصّبت من العين الغروب^(١)
ولا حلتّ بساحتك الجُدوب
فضاق على مغناك اترحيب
يسيل بها من الأشداق حُوب^(٢)
وقالوا عنده شكّك مُريب
وسوف يخيب منكم من يخيب
وهل كُشفت لكم فى الغيوب
إذا بلغت حناجرها القلوب
بأن الله مطّلع رقيب
ولكن عادة الريح الهبوب

محاسن الطبيعة (*)

الى حضرة الفاضل ندره بك المطران

البحرُ رهوٌ والسما صاحيه
والتفخت فى الليل شبیه السديم^(٣)
والبدرُ فى ضلعتة الزاهيه
قد ضاحك البحر بشعر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما
والبدرُ فى مفرق هام السما
أغرق فى أنواره الأنجما
والبحر فى جبهته الصافية
لم تخف فى أثنائه خافيه
فالليل لم يسمع ولم ينطق
تحسبه التاج على المفرق
وبعضها عام فلم يفرق
قام طريق للسنا مستقيم
حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

- (١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .
(٢) الحوب : الإثم . (*) من الديوان الأول .
(٣) رهو : ساكن . والتفخت : ضوء القمر . والسديم : التريق من الغياب .

وقفتُ والريحُ سرتُ سَجَجَا
أنظر ما فيه يحار الحَجَجَا
يا منظرًا أضحكَ ثغرَ الدُّجَى
ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه
إذا وَعَتَهَا أُذُنٌ واعيه

* * *

وزان عَرَضَ البحرِ ما قد بدا
عامَ بذَوْبِ الماسِ أو قد غدا
في صامت الليل جري مفردا
من غادة في حسنِها غانيه
ومن فتى أدمعه جاريه

* * *

قالبها والحبُّ قد شَقَّه
وظلَّ يرنو تارة خلفه
ثم تدانى واضعا كفه
وخرَّ من وَجَدَ على الناصية
وهي غدت من أجله جائيه

* * *

ثم رمى نظرةً مُسْتَرَحِمِ
وقال قولَ الكَلِفِ المعرَمِ
أيتها الأرضِ قفى واسلمى
في الكونِ طَرَفٌ له حائرِ
في حب ذات النظر الساحرِ
من أجل هذا المشهد الزاهرِ

(١) الريح السجج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل في الفصاحة وياقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) شفه الحب : هزله وأضناه .

(٤) الظلم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقية محفوظة من وصلنا بالنعيم
فإن هدى ليلةً حالیه تزهو ببدرين وطلق النسيم

• • •

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا في الجوّ قفْ وقفةً غير الرقيب
ما أبهج النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كانه « ندره » لما دنا نحو المعالي ينتغيها النصيب
فحاز منها جملةً وافيه ما حازها من أحد من قديم
وصار يدعى الرجل الداهيه في الفكر والمجد وخلق عظيم

* * *

يا آل مطرانَ لكم « ندره » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرة يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليه و « ندره » الشهم عليها زعيم

* * *

يا من بنى المجد فأعلى البنا فكان أعلى الناس في مجده
أقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصر عن حده
ومره ثم احكم به إن ونى ما يحكم السيد في عبده
إذ أنت بالثقة الساميه قد خصك الله العزيز العليم
فأهنا ودم في عيشة راضيه رغم المعادي وسرور الحميم

ليلة في دمشق (*)

من كان يَارتُقُّ بالهمو م فقد أَرِقْتُ من السرور
وطربتُ من صوتِ يَجىءُ ءِ إلى من غُرِفَ القصور
صوتِ كَأَنَّ الغانِيَا ت أَعْرَنَه هَيْفَ انْخِصُور
ونضحن من ماء الحيا ة عليه في شَبَّ الثغور
سَرَى الهموم عن الفؤَا د بجوف حالكَة السُتور
والعوود ينطق باللحو ن بلهجتى بِمَّ وزير
يرى به الصوت الرخي م على الدجى لمعات نور
ملاء الظلام توقدًا كالكهرباءة في الأثير
يحكى الزُّلالَ لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
أصغيتُ منقطعا إِلَيْه عن المُوَاطِن والعشير
فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغيرِ وِلْدَانٍ وحوُر
وظفقتُ أَدَّكِر العرا قى فعاد صفوى ذا كدور
فرجعت عن ذلك السما ع وغبث عن ذلك الشعور
وذكرت من تبكى هنا ك على بالدمع الغزير
تستوقف العجَلان ثَمَّه بالرنين عن المسير
وتقول من مَضَّضَ القرا ق مقال ذى قلبٍ كبير
أَبْنَى سِرِّ سِيرِ الأما ن من الطوارق فى خَفِير
يا أمَّ لا تخشى فإِنَّ الله يَأْتِي مُجِيرى
ودعى البكاءَ فإن قَلْبِي من بكائك فى سَعِير

أعلمت أنى فى دمشق أجرّ أذبال السرور
بين الغطارفة الذين تخافهم غير الدهور^(١)
من كل وضاح الجبين أغرّ كالبدن المنير
حرّ الشائل والفا نل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليلى قوما بى لنشهد للربا • بجانبى البسفور مشهد أسرار
أجيلا معى الأفكار فيها فإنها مجال عقول للأنام وأفكار
خليلى إن العيش فى ماء شرشر سفوح جبال بعضها فوق بعضها
يروق بجانبها خير مياهاها ويشجى بفطريها ترنم أطيوار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه تبخرت بيضاء الترائب معطار
معاهد زرها فى الهواجر تلقها موشحة فى برقة أسخار
نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت على منحى الوادى ذوائب أنوار
وقد ظل من بين العصون شعاعها يوقّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها جيوب من الأنوار زرت بأزرار
تميل إذا هبّ النسيم غصونها فتأتى بظل فى الجوانب موار^(٢)
ترانا إذا ما الطير فى الدوح غرّدت تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسمنها بها الريح ضحوة فمّت لنا من طيبين بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسمها فيفتّر منها عن منات أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .

(*) من الديوان الأول .

(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .

(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التريية (*)

فالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبة
وحصنوه من الأعلى بمشبتك
به الأسود تمطى في مراتبها
والذئب يبصر جدى المعز مقتربا
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجلي تمشي معامة
تخشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسوط حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجرى في إطاعتها

مجرى الكلاب يحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافا إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لابد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراسا يد السغب (٢)
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
إكسيرا وهو من تراب إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(١) القشب : جمع قشيب ، وهو الحديد .

(٢) السغب : الجوع .

هذا إذا حسنتُ أما إذا قبحت
فكل ماهو في الإنسان مكتسبٌ
إني أرى أسوأ الآباء تربيةً
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته
فالمندلىُّ بها يمسى من الخطب (١)
فلا تقلُ فيه شيء غير مكتسب
للإبن أحرى بأن يدعى أعقَّ أب
وليس ينبت نبعٌ منبتَ الغرب (٢)
حتى علا في المعالي أرفعَ الرتب
فإنما قيمة الإنسان بالأدب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به

يقظة الشرق

أنشئت في مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة
المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ في أوتيل «كارلتون» ببغداد.

أرى — بعد نوم طال — في الشرق يقظةً

مُوضِيَّةٌ فيها طموحٌ إلى المجدِ

ففى « مصر » شيدت للعلوم معاهدٌ

على أسس التحليل والبحث والنقد

فلم تتخذ غير التجارب منهجاً

وفى الأفق « التركي » سارت إلى العلى

جيوش بأعلام التجدد تستهدى

وفى « الهند » قامت للتحرر ثورة

و« فارس » حلت عقدة من جمودها

وفى « الصين » حرب نارها وطنية

و « بغداد » بين الأجنبي وبينها

(١) المندلى : عود يتبخر به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقذاح .

على أن حول « النيل » مثل صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تحل من أعشابها بتجددٍ
على جذبها أرض « الحجاز » ولا « نجد »
زمان أتى من كل قوم بنهضةٍ
تباشيرُ صبح لاح بعد نحوسةٍ
فيا وفد مصر أتم خير شاهد
لقد جئتم رواد علمٍ وحكمةٍ
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتم « دار السلام » زيارة
ومن ذكرها في كل عصرٍ ومواطن
وتمتدبين « النيل » منها و « دجلة »
سلام على « مصر » التي أرسلت بكم
لكم عند أهل « الرافدين » تجلة

إلى القزويني

هو المرحوم أبو العز السيد محمد القزويني العالم المشهور .

قف بالديار الدارساتٍ وحيها
وانشد هنالك للمقيمٍ مهجةً
وسل المنازل هل علمن بأنني
يا قلب أي هوئى أصابك عند ما
واقر السلام على جاذرٍ حيها (١)
فنيبت من الأهواء في عذريها
قد شف جفاني الهوى بظبيها
أحسيت بالاحظات من ثعلبيها (٢)

(١) الجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ثعلبيها : رام منسوب إلى بني ثعل ، وهم حي من طي . مشهورون بلرمي ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

رَشَاءٌ إِذَا أَبَدَى ابْتِسَامَةَ شَائِقٍ
شغَلَ القلوبَ بِجَبِّهِ وِلطَالِمَا
مَنْ لِي بِلِثْمٍ مُقْبَلٍ مِنْ شَادِنٍ
يَاعَاذِلًا صَدَعَ القلوبَ بِلُومِهِ
مَنْ ذَا اسْتِطَاعَ يَرُدُّ عَنِ غِيِّ الهوى
دَعُ يَا عَذُولُ أَخَا الغرامِ مَعْظَمًا
كَأَفْضَلِ «الفيحاء» حَيْثُ تَفَاخَرَتْ
السيدَ السُّنْدِ الهمامِ مُحَمَّدَ
كَمْ شَاعَ للفيحاءِ بَيْنَ بِلَادِنَا
ذَاكَ الَّذِي كَمْ مِنْ مَنَاهِلِ فَضْلِهِ
يَا سَيْدَا فِي المجدِ أَحْرَزَ شَهْرَةَ
وَالتَّبِكَ نَفْسِي تَرْتَدِي بِكَ سُوْدِدَا
لَمْ لَا أَسُوْدُ بِجِبْكَمْ فِي أُمَّةٍ
زَهَتْ المكارمُ فِيكَ حَيْثُ لَبِسْتَهَا
فَعَشَقْتُ مِنْكَ عَلَى البِعَادِ خَالَاتَهَا

شغلت - وحقك - مهجتي عن حبيبها

فَالْيَكْبَا عِزَاءً عَزَّ قِيَادُهَا
وَأَفْتِكَ فِي «رَمَضَانَ» تَنْشُرُ مَدْحَةً
لَتَشْدَّ مَعَكَ عُرَا الوُدَادِ وَثِيْقَةً
إِنِّي لِأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَعَدَتْ تَجِيْدُ المَدْحِ مِنْكَ لَسِيْدِ

لَوْلَا مَدِيْحُكَ لَمْ تَبْحُ بِرُويْهَا
عَبِقَتْ نِهَانِيكَ الحِسانُ بِطِيْبِهَا
بِيْدٍ ، وَلَاؤُوكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيْبِهَا
بِنْدِي عَفَ الذَّيْلُ مِنْكَ ذَكِيْبِهَا
شَهْمُ العَطَارِفَةِ السُّكْرَامِ أَيْبِهَا

- (١) الرشأ : ولد الطيبة .
(٢) المقبل : الفم . والشادن : ولد الطيبة .
(٣) هي مدينة الحلة . والسري : السيد الثمري السخي . والججاج : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) المحلاة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق للجمعية حماية الأطفال أن اعتبرت لإفاعة مهرجان كبير،
حاولت أن يكون الأول من نوعه ، وقد تفضل شاعر العرب
الحالد المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ، فأرسل هذه القصيدة
العصماء ، ووعد أن يلقبها بنفسه ، ونحن فنشرها اليوم ليرى
القراء جانباً من إحساس التقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتُ برجالٍ قاموا بأمرِ حماية الأطفال
وعُنُوا بتربية البنين عناية زادوا بها شَمًا على الأجيال (١)
وَبَنُوا لهم داراً بما جادت به أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها ومن الحقوق صيانة الأنسال (٢)
دار تقيمهم بالأوقى كلَّ ما يُخشى من الأوجاع والأوجال (٣)
ضمّنت لأيتام الأرامل طيبهم وعِذاءهم وبشائر الإقلال (٤)
لم يخشَ فتكَ السقمِ فيها رُضع في البؤس قد وُلدوا وفي الإقلال
لله تلك الدارُ من متبواً بذّ النجوم بقدره المتعالى (٥)
هي مفرّج المعسرّين وملجأ أجيالهم يأتية كلَّ حينٍ من الأطفال (٦)
أحياة أطفال الأيامي إنكم جدّراه بالتمظيم والإجلال (٧)
مرت لكم تلك السنون وكلّها عُزّر تُزاني بأنتفع الأعمال
كانتكم الأدوية في أيتامنا دأبا بغير كلاله وملال

(١) شَمًا : أصل الشمم الارتفاع في قصبة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقاً : والأجيال : جمع جيل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم الدراري .

(٣) الأوقى : أصغرها للوواقى ، جمع وانية . والأوجال : الخواف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهي الفقيرة ، أو التي مات زوجها . والإبلال : الخروج من المرض .

(٥) متبواً : مكا التبوء ، وهو النزول في المكان . وبذّ ، بالذال أخت اللال ، وبالزاي أيضاً ،

يقال بزه وبذّه : أى فاقه .

(٦) مفرّج : ملجأ ومعتصم . والضئى : المهزول .

(٧) الأيامي : جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها

في حَوْمَةِ الإِحْسَانِ طَالَ صِيَالِكُمْ حَقًّا فَأَنْتُمْ أَشْرَفُ الأَبْطَالِ^(١)
 سِيدُومَ مَسْعَاكُمْ وَيَبْقَى دَابُّكُمْ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُهَدَّدٍ بِزَوَالِ
 وَلَسَوْفَ يَذْكُرْكُمْ وَيَشْكُرْ سَعِيَكُمْ مِنْ سَوْفٍ يَخْلُفُكُمْ مِنَ الأَجْيَالِ
 اللَّهُ أَنْتُمْ مِنْ أَفْضَلِ خُلُصِ فَاقْوُوا الأَنْامَ بِأَشْرَفِ الإِفْضَالِ
 إِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ مُعِينَكُمْ لَوْلَا مَوَانِعُ يَعْتَرِضُنِ حَوَالِي^(٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاتَ يَدِي اسْتَطَاعَتْ رِفْدَكُمْ مَا فَاقَ نَوْلُ الرَّاغِبِينَ نَوَالِي^(٣)
 وَلَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَجُودُ بِصَحْتِي مَا جَالَ أَقْوَى العَامِلِينَ بِجَالِي
 إِنْ لَمْ أَعْنِكُمْ بِالفِعَالِ فَإِنِّي مَا زَلْتُ مِنْ أَعْوَانِكُمْ بِمَقَالِي
 فَالِيكُمْ هَذَا التَّنَاءُ مَخْلُودًا مِنْ مَادِحٍ فِي المَدْحِ غَيْرِ مَغَالِ

شاعر البشر

حَيْبَلُ يَا أَخَا مُضَرَ نَدَّكَرَّ خَيْرَ مَدَّكَرَّ^(٤)
 نَدَّكَرَّ شَاعِرَ البَشْرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَرَ

حَيْبَلُ أَيُّهَا المَلَأُ نُحِّي ذِكْرِي أَبِي العَلَاءِ^(٥)
 شَاعِرِ شَعْرُهُ اجْتَلَى صُورًا كَلَّمَهَا غُرَّرُ

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرغد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حَيْبَلُ : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وَأَخَا مُضَرَ : هو من : ينسب إلى مضر . وَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . أما اليمينيون فأولاد يعرب بن قحطان . ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقا ، مع غض النظر عن أصولهم الأولى ، وآية ذلك أن القصيدة في الدعوة لذكرى شاعر البشرية الأكبر ، أَبِي العَلَاءِ المَعْرَى ، وهو من تنوخ ، وتنوخ من قحطان ، لا من مضر . ونذكر أصله نذكر بذال مدغمة ، فأبدلها ذالا .

(٥) الملاء : الملاء ، وهو جماعة من الناس ، أو أشرف القوم وعليتهم .

شاعر يملأ القضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غيره^(١)

• • •

هو بالفكر منذ سما كان من نوره العمى^(٢)
شاعر الأرض والسما شارف الشمس والقمر^(٣)

• • •

حل في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

• • •

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنيا^(٤)
إن تنأى أو ادنى فهو للحق ينتصر

• • •

عبرى بشعره عالمي بفكره^(٥)
يعربي بنجره تشرف العرب إن ذكره^(٦)

• • •

-
- (١) من غير : من يأتي في المستقبل . وقد يكون غير بمعنى مضى ، في غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارف الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مداهنتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبرى : منسوب إلى عبر ، ينسب إليها كل شيء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويخلق في ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيرهم .
(٦) يعربي : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والنجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحِيَهُ مُوقِظًا فِيهِ وَغِيَهُ
ما وَرَى فِيهِ وَرِيَهُ قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ (١)

خَطَّ سِفْرًا بِهِ ابْتَغَى غُنِيَةَ الرُّوحِ بِالرُّغْيِ (٢)
جَامِعًا أَفْصَحَ اللِّغَاءَ حَاوِيًا أَكْبَرَ الْعِبَرِ

حَكَّمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ وَتَغَابَى عَنِ الْقَدْرِ (٣)
هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ غَيْرَ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ

شَعْرَهُ شَفَّ عَنْ دَهَا مَالَهُ فِيهِ مُنْتَهَى (٤)
بِنِظَامٍ هُوَ النَّهْيُ وَحُرُوفٍ هِيَ الدُّرَرُ (٥)

شَعْرَهُ شَعْرٌ مُتَّقِنٌ فِيهِ شَكٌّ لِمُوقِنٍ (٦)
فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ (٧)

نَفْسَهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَتْ (غَيْرَ خَاسِرَةٍ) (٨)
كُلَّ دُنْيَا وَآخِرَةٍ وَنَفَتْ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ

- (١) « ما وري فيه وريه » أي لم يقدح شاعر زائد فكر ، ولا أتى بمنزل ما أتى به أبو العلاء من المعاني .
(٢) الرغى ، بضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخير الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئاً من إسماء الناس أو إشقياتهم . يقال : تغابى عن الشيء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو في الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهي : جمع نهي ، وهي العقل . يريد أن نظم أبي العلاء الشعر بحكم إحكامه لا خلل فيه ، كما أن من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن في دينه .
(٧) يريد أن شعر أبي العلاء بهضمه مما يكفر بقوله المؤمن ، ويعضه إيمان خالص ، فهو جامع لمظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يضاب حظاً في دنياه ولا آخرته .

جميل الحق ذوقه باذلاً فيه طوقه^(١)
شاعرٌ ليس فوقه شاعرٌ من بني البشر

شاعر الأرض والسما هو بالفكر مذ سما
أبصر الحق بالعمى لم يضره عمى البصر

هو بالشعر إن شدا يتجلى لك الهدى
مدركاً أبعد المدى بالمانى التى ابتكر

جانِبَ الناسَ واعتزلُ قائلًا إنهم همَلُ^(٢)
شرهم غير محتملٌ خيرهم غير منتظرُ

دينهم من رياتهم وهو فى أغبيائهم
ليس فى أذكيائهم غيرٌ من مان أو مكر^(٣)

ما بهم غير حاسدٍ دائب فى المكابد
مبغى كل واحدٍ منهم الجورُ إن قدرُ

كوكبٌ قد توقدًا فى سماء من الهدى
عند ما غمّه الردى أظلم الجؤ واعتكرو^(٤)

(١) جميل وجدانه زائده فى تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعه .

(٢) همَل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليس للهوتِ عندهُ من تقاريعِ بدهِ (١)
إن عرا الحى رده فاقده الحس كالحجر

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مصيف ولا شتا لا نعيم ولا سقر

* * *

نحن أسرى ذواتنا خشيةً من تماننا
كم وكم فى حياتنا مبتدا ما له خير

ذكرى المآثر التيمورية

وهى من أواخر شعره

« لأحمد تيمور » مآثر لم تزل تشير بتعظيم إليها الأنامل (٢)
شوامخ كالأطوادِ عاليةُ الذرا ولكنها لا تعترها الزلازل
تزيد على كبر الجديدين جددة وتبلى الدواهي دونها والغوائل (٣)
إذا ذكرت فى القوم حلت لها الحبا

وقام لها جمع من القوم حافظ (٤)
هو العالم الخبير الذى كان علمه كأخلاقه فيه التهى والفضائل (٥)
إذا لم يزن علم الفتى حسن خلقه فما هو فى شيء على الناس طائل

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذى بأيدينا ، وقد قرأ : تقاريع ، وهى غامضة

(٢) المآثر : جمع مآثرة ، وهى ما يبنى ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهى المهلكة . وفى الأصل المنقول عنه ، وهى جريدة « البلاد »
التي نشرتها القصيدة : الغوائل . ولعله تحريف .

(٤) الحبا : جمع حبوة ، وهى ما يتد به العربى رجله إلى ظهره من شمة أو عمامة أو نحوها ،
إذا جلس فى ندى قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمر ، يقال للشيء المهم : هذا أمر
تحل له الحبا . والجمع الخافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدت «مصر» العزيزة فاضلا
أقام بها ما فاق في الفضل نيلها
مناضدها لتناهيين معالم
إذا غم أفق العلم أبدت أثارة
عليه سلام الله ما هيب عالم
ولا برحت مصر ينير لها الدجى
له في مغانيها مساع فواضل
خزانة كتب تنتجها الأفاضل (١)
وأسفارها للظامئين مناهل (٢)
تقوم بها للحائرين دلائل (٣)
وعيب ياهمال التعلم جاهل
رجال عظام من بنيتها أمائل

الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأ قوله
صاحب نفس كبيرة شرفت
كان هو انشاعر الذي انتشرت
أوجد للشعر دولة عظمت
من كل معنى أغر موتلق
وربما برق لفظه فبدت
وربما لم تبين مقاصده
يبتكر الشعر مذكيا شعله
فشرفت حله ومرتحله
اشعاره في البلاد منتقله
به فعزت من قبله دوله
في لفظه كالعروس في الحجله
في شعره كل كلمة تمله
لأنها فيه غير مبتذله

• • •

فسائلن عن قريضه حلبا
تخلد ذكرا لسيف دولتها
كم قطقت من زهره خصله
أيام وشي بمدحه خله

(١) تنتجها : تصدها .

(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخزان توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلمها معرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمديح قد صقله

* * *

ليرحاز موسى مضاء عزيمته ما تاه في التيه عندما دخله

وهو الذي اجتازه بيُعمله تحمل منه الهمام لا التكله

قد بات كاقور من جراتها على الموابي بمهجة وجهه

إذا عجزته بالسير عن طلب لا خيله تخشى ولا أبه

فسل به النيل يوم ناقته نغمرت منه وانتحت جبله

كيف أتى مصر كالعقاب لكي يبلغ فيها بشعره أمله

وكيف أحيا بالمدح أسودها ثم وشيكا بهجوه قتله

* * *

في شعره حكمة مهذبة وروعة بالذكاء مشتغله

ونعمة بالشعور صادحة وصنعة بالفنون متصله

قدرته في البيان واسعة ينيه فيها السؤال والسأله

إذا المعاني بشعره ازدحمت ما ربكت في انتقامها حيله

كم شاعر قد قفى له أثرا وناقده راح يبتغى زلله

فأخفقوا عاجزين عن درك لبعض ما كلفه تيسر له

* * *

قل لابن عباد أي منقصة من أجلها كنت مكثرا عدله ؟!

أمن شعره والعصور ما برحت تسعى بكل استجدادة قبله

لكننا زمت من مدائحها ما لم تكن سالكا له سبله

طماعة منك غير واعية وهي لعمرى حماقة وباه

* * *

أكبر من أكبر القريض به وأكبر القاتلين من قتله
يا فانيه لو تعلمون به إذا قتلت نفوسكم بدله
قتلت الشعر والاجادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بهذا القتل من بنى أسد بل أنتم فيه من بنى ورله

لم يزل الدهر بعد مقتله يضرب في الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة بدائع في القريض مرتجله
يصطاد في الشعر كل شاردة من القوافي بفضيلة عجله
فلا تقسه بغيره أدبا ! وهل تقاس المطار بالثقله !

كم شاعر يدعي وليس له من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزء رجعت منه كآكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت فنسقت في بلاغة جماله
وككاهما قصرت قوالبه عن حسن معناه أوسعت خلاله
حسن المعاني بلفظها شوه كحسن حسناء ثوبها سماه

من ذاق في الشعر طعم معجزه فأحمد الشاعر الذي أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت بالشعر يوما ولم يكن بطاله
كان عزيزاً يأتي الهوان فما قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهري

ما أوحته إلى قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية ،
رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري نشرها في صحيفة « البلاد »
وتقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عند ما ناغينا الشاعر العربي العجم الأستاذ « الرصافي » ، أن
يكون له شرف تذكوره وهو في عزائه الموحنة . فكان لنا إلى جانب ذلك
أيضاً شرف ابتعاد شاعريته النذرة ، التي حالت حوائل المرض والامزال
و « النذرة » : دون تمنع المعجزة في شتى الأقطار العربية بتأجيلها .

أما وقد هزرتنا الأسد الرياض الضائق نزحاً بعينه ، انتطوى على نفسه
ألماً وغضباً وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زفيره .

فليضم المتعنون بشعر الأستاذ « الرصافي » هذه التزينة الجديدة إلى
مجموعاتهم ، وهذه « الزفرة » الحارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .
وسلام على « عيش » الداعر المتمرس « بالأولى » ، والافتكر في
« الأخرى » هذا العيش « الحر الطليق » الذي خانتها كلمة « فضلت »
في التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافي » المتفتح نوره عن ذهن المشبوب ، والفكر
الحائر ، والنفس الحائشة ، والسجيشة بفيضها ، والقنب المريج بالمواليف
الزاحرة ، والزاج بصاحبه في شتى الجاهلي .

ذلك « الشعر » الرصافي « الذي أعجبنا ، لأنه لم يكن « جبلاً » مرغمة
« آرائه أفي التنقي والأوخوا » . وذلك « العيش » « الرصافي » ، صاحبه
وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » ، بل
يوحي من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « بعض
الطبيعة » ، وفي بعض الفترات منه يوحي « الضرورة » . وهذه هي عناصر
عظمته عند وفي « جرب » الاستعاب « الرقيق » .

قال الرصافي :

بك الشعرُ لابي أصبح اليومَ زاهراً وقد كنتُ قبلَ اليومِ مثلكَ شاعراً
فأنتَ الذي ألفتَ مقاليدَ أمرها إليه القوافي شرداً ونوافراً
إذا قلتَ شعراً قنته في بداعة فكانَ به المعنى بديعاً وناهما

وإن أنتَ أطلقتَ النفوسَ من الأسَى

بإنشاده يوماً أسرتَ المشاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذروة
وإنك أرقى الناطقين تكلمًا
إذا شيء ظلمت للظلم رادعا
هوى النجم عنها صاغرا متقاصرا
بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
وإن سيء حق قمت للحق ناصرا

• • •

أئن كنت تُنمى للجواهر نسبةً
فماك أبّ بالعلم شيد مجده
ومدّ من الآداب فيه - سرّ ادقا
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا
وقد تبصر الماء الزلال به القذى
لقد كنت تحلو بالبيان جواهرها
وخلد منه في الزمان المآثرا
وأكثر فيه للبنين المفاخرها
أنيق المعاني زاهى اللفظ زاهرا
فتغمض عنه بالإباء النواظرا
ما أوحته إلى قصيدتك :

ألا إني رغم انتباهي لم أزل
تحدث عن ماضٍ حديثا مجمجا
وما كنت مختاراً كما أنت قائل
ولا اخترت عيشاً بين مؤسّطاً
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما
فتجعل ليث الغاب يتلو فرايقا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزا
وما المرء إلا مُجبر في حياته
وُلدنا وعشنا ثم مُتنا وكلُّ ذا
كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وإن ظنّ فيها أنه كان خاطرا^(١)
على غير إذن جاء بل جاء دامرا

• • •

أجل كنت من تين الحياتين آخذا
وجاداني قوم بغير دراية
بواحدة تأبى التسيم للغيرا
ولست أبالي ذا العناد المكابرا

وَأَسْأَلُ قَائِمُنَ بِالْجَوَابِ تَفَضُّلاً
أَنْتَ الَّذِي فَضَلْتَ عَيْشًا مَعِينًا
فَصُرْتَ بِهِ فِي الْقَوْمِ شَاعِرَ مَجْدِهِمْ
إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا مِنْكَ وَقَعَا
عِلَامَ إِذْنٍ تَشْكُو وَشِكْوَالِكُ كُلِّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَعَا فِي النَّاسِ رَاضِيًا
وَلَوْ كَانَ عَيْشَ النَّاسِ وَفَوْقَ اخْتِيَارِهِمْ
سؤالاً عن استعتابي الخيل صادراً
لنفسك حتى كنت فيه المشاوراً
إذا قلت شعراً جئت بالشعر ساحراً
فقد كنت في حسن اختيارك ماهراً
كشكواي تُدْمِي بالبكاء المهاجراً
ومن ذا الذي قدعاش في الناس شاكراً
لما كنت تلقى شاكياً أو مخاطراً

* * *

لِحَى اللَّهِ دُنْيَا كُلُّنَا مِنْ جَرَائِمِهَا
وَنَحْنُ مَدَى الْأَيَّامِ نَشْكُو بَعِيثِنَا
نَرَى وَاحِدًا يَقْتَادُ أَلْفًا لِعَيْشِهِ
وَلَوْ وُزِنَتْ أَعْمَالُهُمْ بِاقْتِدَارِهِ
فَمَا عَاشَ فِي مَحْيَاهُ عَيْشًا مُرَفِّيًا
شَقَاءٌ عَلَى كَرِّ الْجُدَيْدِينَ آخِذٍ
نَحْوُ الرِّزَايَا رَاكِبِينَ الضَّرَائِرِ
فَسَادَ نِظَامٌ يَجْعَلُ السَّكْدَ بَائِرًا
وَيَنْظُرُ لِلْأَلْفِ الْمُسَخَّرِ سَاخِرًا
لَسَكَانِ بِهَا كَيْنُونَةُ الصَّفْرِ شَاغِرًا
مَنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ تَحْيِيلِ مَا كَرَا
بِأَعْنَاقِنَا إِلَّا الْقَلِيلُ الْمَاكِرَا

* * *

وما الشعر بالحبل الذي قد ذكركه
فما الشعر إلا من بروق دوائر
إذا لمعت فوق الطروس فإنها
وقد برأ الله العوالم كلها
نرى كل شيء عائدا نحو بدئه
ولكنه برق تموج دائر
تدور أو إليها لتلق الأواخر
ترد إلى التبر المذاب المهاجر
دوائر فيها حار من ظل فاكرا
إذا نحن حكمتنا النبي والبصائر

* * *

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مُرَغَّمَا
نَعَمْ كُنْتُ فِي تِلْكَ الْأَمَادِيحِ شَاتِمَا
لأوله حتى يلاقى آخرها
زمانا يوالى كل من كان جائرا

وكنت بذاك المدح هاجياً وكنت بذاك الشعر للشعر حاقراً
إذا الدر أمسى كالسحاب مُحْتَرّاً شددت به للنابحات سواجراً^(١)
وما العار في هذا على وإنما على من أضعوا مجدهم والفاخرا

الثناء المخالفة

ألا بلنوا عنى رسالة مُنْشِدِ أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدِ
رسالة من لا يُنْشِدُ الشعرَ مادحاً به الناسَ إلا شاكراً غيرَ مُجْتَدِ
ألا يا بن عيسى بنِ الهمامِ محمدِ وأكرمَ من يُنمى لأكرمِ مُجْتَدِ
سأقرض في شكركى لك الشعرَ خالداً وأرسله نوراً به الناسُ تهتدى
أقيدُه بالمدح والمدح مطلقاً وأطلق فيه الحمد غير مقيّدِ
أرجع في الإنشاد أنعامَ لحنه بصوت كصوت البلبَلِ المتغرّدِ
وأجعلُه شعراً إذا ما تنوشدت قوافيه يوماً أسكنت كلَّ منشِدِ
عليك به أثنى ثناءً مخلاً ومثلك أهلُ للثناء الخلدِ
وقنت من العلياء في خير موقفٍ وشوهدت بالإحسان في خير مشهدِ
وجددتَ مجداً غيرَ بالٍ وإنما بمسعاك زادت جِدَّةُ المتجددِ

* * *

تفقدتني في العيشة الضنك منعماً فيالك في الإنعام من مُتفقِدِ
على حين قد أنسى الرجال زمانهم ذويهم ومن يختصهم بالثودِ
ومدّ أحابيل القطيعة بينهم وأقعدهم للشر في كل مرصدِ
وأغلى غلاء في المعيشة فاحشاً يروح به ذو الإحتكار ويفتدى

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو الفلادة التي توضع في عنق الكلب .

الرصاصى يقرض كتاباً للزهاوى

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطح للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرقى

أيها الأنجم التي قد رأينا عبرا في أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروفا في دياجير طالع منحوس
وسياتى الزمان منه بسعد تنجلي منه داجيات النحوس
شنتقوم ليلا على غير مثل ثم دسوا جسمكم في الرموس
أفكانوا في ظلمة الليل تجرا هربوا اللال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يوارى فعلة السوء منه بالتفليس
شنتقوم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا في ربة الانكليس
فأستحقوا العن الذى كررته خاليات القرون فى ابليس
سيديم الزمان لعنا عليهم شائع الذكر فى بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التي تركتنا فى أسى من مصابها محسوس
فى سبيل الأوطان متم ففرتم بأجل التمجيد والتفديس
وستبقى الذكري لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجرى احترامكم فى مجارى شرف خالد لكم قد موس
ان يوما به نعتم اليينا يوم بؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولاً وشؤماً وبغيا وتلظ بحر نار الجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا في شحوب وغيره وعبوس
إذ سكنا وفي القلوب ارتجاج مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا معربا عن نشيجنا المهوس
ووجعنا حزنا ورب وجوم يتأني من صاحبات النفوس
برأت ذمة المروءة منسا ان نسي يوم شفقكم أو تنوسي

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر حار فكري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عـين ولا أثر
◦ ◦ ◦

يا واحد الذات كثير انسى ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى القرس تسمى خدا أنت تسمى الله عند العرب
◦ ◦ ◦

أول أنت ولكن أول ماله في سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ماله في راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية إليك أزين اليوم بدء خطابي
فإنك أهل للتحيات كلها وما أنا فيما أدعى بمحباب

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيفك فى غمسه فما ذاك من خور أو ملل
ولك كما دهرنا قلب وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها مثل
سيخلد ذكرك فى الناهضين وثنى عليك الضبي والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاسنا فتانه
حيث طارحتها الغرام بيت بالمرايا قد زوقوا جدرانه
فكأنى وقد نظرت لمعراها من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه
ظلت أرنو إلى الجمال بعين يشتميه وتتقى هجرانه
فأريها من الغرام فنونا وترينى من حسنها افئانه
ثم أسامت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتتحدث موهج الحب حتى أصبح القلب صالحا معمعانه

* * *

هناك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة الاحاظ لعوب ذات دل خائفة لثانته
بضه ، نعمة ، ليس ، رداح ، غادة ، أحورية ، بهنانه
ناهد النوداين محطوة المتنين خود رجراجة وركانه

خدانة ساقها مبهمة الخصر كهاب ، براقه ، سيفانه
ذات وجه كأنه بدر تم رقوم كأنه خوط بانه
لو رآها كسرى الملوك تلخى ملكه تاركا لها ايوانه
عمقت شعرها وقد زينته بحلى من تقارس مزدانه
فحكى شعرها على الرأس تاجاً وحكت فى جلالها خاقانه
وتدل قرط بالفتية رصمت فيه ماسة بحجانه
فحكى قرطها بقرب الحيا زهرة الجو قارت زبرقانه
وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيبية ، فينانه
فكان الجبين باقة نسر يسـن ثلاث من فوقها ريحانه

• • •

وقفت فى عـريانه فتقدمت إليها بذلة واستكانه
فتمشت نخاعا وتنتت وتلوت كأنها خيزرانه
ثم صلت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن مجانه
واقعد راعى وزاد فؤادى ولها ما رأيت تحت المانه
ركبا ، كعبا ، عضوضا ، مصوصا ناشرا ، ذا بضاضة وورزانه
مشرف السطح رابثا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريبانه
قد حكى كومة من اللؤلؤ الـرطب وإن كان فائقا أمانه
نعمه العيش أترفته وأختت أسكتيه من الأذى وعجانه
عطر الريح قد تشمت منه إذ تشمته شذى أفعوانه
وشربت الرحيق وهو تجاهى جاشم فأتخذته فنجانه
لو رآه العين يوما لأمسى مبرأ من رخاوة وعنانه

• • •

شغفتنى تلك المديحة حتى
سلست فى انقيادها بعد أن قد
فدعتنى إلى الكفاح بغمز
وغدت فى تجضمّ واعتلاج
واضعا فإى فوقى فيها كل
فخذت فى ارتبازها تتلكا
ثم قالت وقد ذوت مقلتاها
أطعن الطاعنين للضاد من بالضاد
علمتني بكر الهوى وعوانه
أظهرت لى تمنعا وحصانه
كررتة من عينها الوسنانه
بشفاه وردية غيسانه
قد أمضى الضجيج منه لسانه
بكلام لا تستم بيانه
وشكت من فؤادها خفقانه
قد أنطقى الآله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طالع الرجاء
فى دار مولانا النقيب
فأذهب نساك أيها
يشع أنوار السرور
بوجه مولانا الأمير
اليأس الحميم فى الصدور

* * *

ماذا يريد المرجفون
من بعد ما بدت المنى
فى دار مولانا النقيب
بكل بهتان وزور
للقوم باسمة الثغور
بوجه مولانا الأمير

* * *

ماذا يخاف القوم من
بعد اقتران النيرين
فى وجه مولانا النقيب
ميل الزعانف للنفور
الساطعين بكل نور
ووجه مولانا الأمير

* * *

مد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاعب في القوم يلهج بالشرور
وليجي مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

ما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة
بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من اغتصب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهتدي وتقتدى في رأيه الثاقب
والبشر قد لاحت أسايره بمجبة المطلوب وانطالب
زدار شرع الله مردانة في جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب
١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

بذ غاب عنا في المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقى المعاني العربات عن العلي في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

ومحب ذي أدب أتى مستنشداً شعراً أنوه فيه بالعلاف
فأجبتة عبد الكريم مخلق من شعره بقوادم وخواني
فلكم سمعت له قوافي جمة كانت لعمر الله خير قوافي



لارصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الآستانة من الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة . فرأينا أن ثبتت تلك القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفه عند سراغان^(١)

أصبحتُ أَعْدِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانَا عَدْلًا كَنَارِ تَلَطَّتْ فِي « سَرَاغَانَا »
قَصْرٌ أَطْلَّ عَلَى الْبِسْفُورِ مَرْتَعَا إِلَيْهِ يَتَشَخَّصُ طَرْفُ الْعَقْلِ حَيْرَانَا
ذُو زُخْرُفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَتْ حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانَا
رَاقَتْ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً مُسْتَوْفَا صَنْعُهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانَا
كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمَهَا صَنْعًا وَبِنْيَانَا
يَمْشَى الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشَى الْمَقِيدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانَا
يُضْمُّ كَفِيهِ لِلِإِيطِينَ مِنْبَهْرًا مَقْلَبًا فِي الْأَعَالَى مِنْهُ أَجْفَانَا^(٢)
عَرْشٌ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسُ الْجَلَالََةَ إِذْ لِاحِ الْجَمَالِ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانَا
لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقَيْسٍ لَمَا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا
فِيهِ الْحَوَادِثُ أَمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ بِاللِّسَنِ دَلَعَتْهَا فِيهِ نَيْرَانَا^(٣)
فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ وَالرِّيحُ تَصْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أُرْدَانَا^(٤)

(١) « سراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور نخامة في الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك يسمى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليمين إلى الإيطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهدين منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر تأخذه الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أي أن الحوادث قد نطقت في هذا باللسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله داعتها : أي أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجته من فيه .

(٤) الأردنان : جمع ردن ، وهو أصل السكم ، أو طرفه الواسع .

رأيت ملكا كبيرا ثم محترقا يذيب منه لهيب النار عقيانا^(١)
طالت به اللسان للنار تلحسه لحسا يدك قوى البنيان إيهانا^(٢)

* * *

يادرة في ضفاف البحر ضيعها قوم وكان بها البسفور مزدانا
كم قد أضاعت بوجه البحر مشرقة ورصعت من رءوس الهضب تيجانا
يأيها القصر مذ أمست محترقا أبكيت في البحر أسماكا وحيثانا
لم يبق منك لهيب النار باقية ولا لدى القوم أبقى عنك سلوانا
معلول من شواظ النار هادمة ياللعجائب كالأطواد جدراننا^(٣)
قنا أمامك والنيران صائلة تذك منك على الأركان أركاننا
كم هدة لك بين النار تفزعنا حتى نخلك متها صرت بركاننا^(٤)
يهتز فيك لهيب حين نبصره نهتز بالحزن أرواحا وأبدانا
فأنت تملأ صدر الجو أدخنة ونحن تملأ صدر الأرض أحزاننا
ما أشرف القوم لو كانت مدامعهم مطافنا لك تجرى الدمع غدرا
ويل لمرئس قد قام مجتهدا يسعى يجعلك للنواب ديوانا
حتى إذا كنت للنواب مجتمعا بانفت عواقب ذلك السعي خسرا
للنار فيك حسيس كنت أحسبه ضحكا على من بسوء الرأي أبكنا^(٥)
أشكو إلى الله قلبا لا يطاوعني ألا أكون على الأوطان غيرانا
يا قوم إن بصدر الشعر موجدة لا يستطيع لها سترا وكتانا
ما بال نوابنا أمسوا نوابنا إذ لا يبألون مكروها تغشانا

(١) العقيان : الذهب الخالص .

(٢) اللحس : لعق الشيء باللسان ، ولحسا : مفعول مطلق ، والجملة بعده : صفة له . وإيهانا : أي إضعافا ، تمييز محمول عن الفاعل ، والأصل يدك إيهانه قوى البنيان ، أو هو منصوب بنزع الخافض . أو إيهان .

(٣) الشواظ : اللهب الذي لا دخان فيه ، أو حر النار .

(٤) الهدمة صوت وقع جدار أو صخرة أو نحو ذلك . والبركان : جبل النار . وهو من معربات المولدين .

(٥) المراد بالحسيس هنا صوت اشتعال النار وتلهبها .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصورا يتعمون بها
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة
قد ضيعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا
وأحزم الناس من إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلكتها
لا الشعب يجمع أثواب الخول ولا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها
حتى أرادوا اجتماعا في شراغانا
ونحن نطلب للأوطان عمرانا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
على الذي كان منهم بعد ما كانا
وتارك الحزم لا يتفك ندمانا
طرفاً على حدثان الدهر يقطانا
فإننا لم نزل يا قوم عميانا
نوابه يلبسون الصدق قمصانا
ما أسعد الناس في الدنيا وأشقانا

أم الطفل في مشهد الحريق^(١)

ما للديار تراءى وهي أطلال
كانت بها السمرات الخضراء
ما بالها وهي أفاص مبعثرة
هل هدّ بنيانها من فوق صاعقة
هل قد عفتها ولم تترك بها أثرا
شبّ الحريق بها ليلاً مشيدة
أثارت النار في أطرافها رهجاً
حتى حكّت معرّاً خرت بساحتها
هل خفّ بالقوم عنها اليوم ترّحال
واليوم لا سمر فيها ولا ضال^(٢)
تغير فيهن أبكار وأصال^(٣)
أو هدّ بنيانها من تحت زلزال
ريح لها من لبيب النار أذبال^(٤)
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأن النار أبطال^(٥)
صرعى بيوت وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قيلت في حريق شب في حارة الفاعخ من مدينة إستانبول . وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعاً صفصفاً .

(٢) السمرات : جم سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاء . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أي مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درستها وعتمها . (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرُّقها دار الشقاة وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نفعَ غلِّها لحظاً المهجّر إذ يبدو له الآل^(١)
تنهال كالرمل بالنيران أدورها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
ياريحُ مهلاً فلا تدرى الرماد بها إن الرماد الذي تدرين أموال

* * *

قدرحتُ للحَيِّ مذعوراً أيَّمه ولي عن الزمّر الباكين تسأل^(٢)
وفي العِراضِ ديارُ القومِ خاويةً وفي الشوارعِ نسوانٍ وأطفال^(٣)
جلسن والشمسُ فوق الرأسِ دانيةً وللغبارِ بعُرضِ الحَيِّ تجوال
ولا خِمارٍ فيرددن الغبارَ به ولا يقيهنَّ حرَّ الشمسِ سِرِّبال
حتى وقفتُ وقلبي كله جزع وأدمعي لُججٌ طورا وأوشال^(٤)

* * *

ما أنسَ لا أنسَ أمَّ الطفلِ قائلةً وفوق وجنتها للدمعِ تهطال
إني تجرّدتُ من دنياي حاسرةً مالى سوى طفلي الباكي بها مال
أى امرئٍ بعد هذا اليومِ ذى جدّةٍ يعولني حيث لا زوج ولا آل^(٥)
أودى الحريقُ بدارٍ كنت أسكنها وكنتُ من بعضها للقتول أكتال^(٦)
واليوم أصبحت لا دار ولا وزرٌ آوى إليه ولا عمٌّ ولا خال
إن الحريقُ خبّت نيرانه ومضتُ وما خبت في فؤادي منه أوجال^(٧)

(١) المهجر : الذي يسير في الهاجرة . وهي نصف النهار في القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب .
(٢) أيّمه : أتصده .
(٣) العراض : جمع عرصة وهي ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .
(٥) ذى جدّة : ذى غنى ؛ ويعولني : يكفل معيشتي . والآل : هنا بمعنى الأهل .
(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن في بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأنتال بكرائها قوتى .
(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الحوف .

يَا رَبِّ رُحْمَاكَ إِنِّي الْيَوْمَ عَاجِزَةٌ
يَا رَبِّ قَدْ ضُفْتُ ذَرْعًا بِالْحَيَاةِ فَمَا
عَمَّا دَهَا وَبِظَهْرِي مِنْهُ أَثْقَالُ
أَدْرِي حَنَانِيكَ رَبِّي كَيْفَ أَحْتَالُ

* * *

وعند ما قد شجاني من مقاتلتها
دنوتُ منها قليلاً وهي باكية
حتى وقفت وابتئاساً لوحشتها
وقلت يا أختُ لا تستينسي جزعاً
أنجزعين ابتئاساً بين أظهرنا
مالي أراك بعين اليأس باكية
ألست من أمة أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناءً واحدةً
مستعصمين بحبلٍ من أخوتهم
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم
فاستبشري اليوم فيما مس من ظمياً
وأن حقاك عوّل في مساكنهم

لفظ يقطعهُ في البين إغوال
ومن بكأها بقلبي هاج بلبال
حنيتُ رأسي وحنى الراس إجلال
فإنما الدهر إديار وإقبال
وكلنا عنك للبأساء حمال
كان أمرك عند القوم إهمال
قد فكّ عنهنّ بالدستور أغلال^(١)
في المرزئات وهم في الحكم أشكال^(٢)
يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
إذا تصادم بالأهوال أهوال
بأن وردك عند القوم سأسال
وما هم بأداء الحق بحال

* * *

تلك التي قد شجنتني في مقاتلتها
فهل يصدق قومي ما ظننت بهم
فالجهد يدرك مرماه البعيد فتى
وأكثر المال حمداً ما يُعان به
ياقوم هذي سبيل العرف واضحة
ومن تكّ الحال فيها لا تساعده

وكم لها في نساء الحى أمثال
حتى تقوم لهم في الجهد أفعال
رحب الذراعين طلق الكف مفضال
من عضهم من نيوب الدهر إقلال
فليمض فيها بكم وخذ وإرقال^(٣)
«فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»

(١) لا وقع هذا الحريق كانت المملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول ألت من أمة الخ

(٢) وهم في الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .

(٣) الوخذ والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الاثاني (١)

فأها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة

إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

فَعَدَّتْ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ نَنُوحُ^(٢) وَالطِّفْلُ يَجْدِبُ رُدَّهَا وَيَصِيحُ^(٣)

تَبْكِي وَقَدْ ضَحَكَ الحَرِيقُ بِدَارِهَا كَالْبَرْقِ يَضْحَكُ فِي الدَّحَى وَيَلُوحُ

ضَحِيْتُ وَقَدْ قَلَصَ الظَّلَالُ فَوَجَّهَا^(٤) لِلشَّمْسِ فِي وَجَنَاتِهِ تَلُوحُ

جَرَّ الحَرِيقُ عَلَى الدِّيَارِ ذِيولَهُ فَجَرَى لِدَكَ دَمْعُهَا الْمَسْفُوحُ

وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيَالَهَا وَمَدَامَعِي تَسْخُو سَوَى أَنْ العِرَاءَ شَحِيحُ

فَقَدْأُ يُنَقِّنِي الأَسَى مِنْ عَيْنِهَا لِحَظِّ بَرْقَاقِ الدَّمْعِ سَبُوحُ^(٥)

يَا أُمَّأَ أَجْرَى العُدَاةَ دَمُوعَهَا بَيْتٌ بِجَانِحَةِ الحَرِيقِ مَجُوحُ^(٦)

لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنْ بِيوتِنَا مَا لِلْمَلِمْ بِأَهْلِهَا تَسْرِيحُ

أَعْلِيكَ أَنْتِ تَضِيقُ كُلَّ دِيَارِنَا هَذِي وَأَكْثَرُهَا دِيَارٌ فِيحُ^(٧)

فَاقْنِي عِرَاءَكَ فَالحَيَاةُ وَإِنْ أَرْتِ بَعْضَ السَّرُورِ فَكَلِّهَا تَتْرِيحُ^(٨)

قَفْ بِالدِّيَارِ فَقَدْ أَنَاخَ بِهَا البَلَى وَانظُرْ فَقَدْ قَرَعْتَ بَهْنَ السُّوحِ^(٩)

نَزَلَ الحَرِيقُ بِهَا فَشَتَّتَ شَمْلَهَا فَعَدَّتْ عِرَاصًا وَهِيَ قَبْلُ صُرُوحِ

بَكَرِ الشُّوَاظِ بِهَا يَنْضُنُّ السُّنَا مِنْ هَوْلِ مَطْلَعِهَا تَذُوبِ الرُّوحِ^(١٠)

نَشْرَ اللَّهِيْبِ عَلَى البِيوتِ مَلَاءَةً حَمْرَاءَ تَصْفِقُ جَانِبَيْهَا الرِّيحُ

(١) هذه القصيدة قيلت في حريق محلة « إسحاق باشا » في الأستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .

(٢) قارعة الطريق : اعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع السارة .

(٣) ضحيت : أي أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وقلمس الظلال : أي أقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجَّها تلويح : أي تغيير وسفع .

(٤) برقراق الدمع : هو الدمع الذي يتفرق أي يتحرك في العين ولا يسيل .

(٥) الأيم : المرأة التي فقدت زوجها . والجائحة : المنازلة العظيمة التي تحتاج المال ، أي تستأصله ،

ومجوح : أي مستأصل ، وهو صفة لبنت . والمراد أنها أيكأها اجنياح الحريق بينها .

(٦) فيح : جمع فيحاء أي واسعة . (٧) فيح : حنظ : وادخر . والتترح : الإحزان .

(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أي دخلت من الناشية .

(٩) بكر الشواظ : أي أتي بكرة . والشواظ : لهب النار الذي لا دخان فيه . وينضن السنا .

يحركها . والمراد بالسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فَتَعَبَسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ
وَعَلَى الدُّخَانِ عَلَى الْبُيُوتِ سَحَابًا
أَمَّا الشَّرَارُ فَكَانَ وَيْلًا مُنْبِتًا
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ بِجَوْنِ دُخَانِهِ
نَارًا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهَيْبُ يَسِيحَ
بَرَقَ الْمَهَالِكِ بَيْنَهُنَّ لُحُوحَ
نُوبًا بِرَأْحَةِ الدَّمَارِ تَفُوحَ
وَبَدَتْ عَلَيْهَا سَفْعَةٌ وَكُلُوحُ (١)

• • •

يَا قَوْمُ سَاءَ مَصِيرٌ كُمْ فَإِلَى مَتَى
هَلَّا أَخَذْتُمْ لِلخَطُوبِ عَتَادَهَا
هَذَا الْخَرِيقُ وَكُلُّ يَوْمٍ نَارُهُ
فَالنَّارُ مَا بَرَحَتْ تَفُوهَ بِاللِّسَنِ
لِمَ لَمْ تَعُوا مَا قَلَنْ قَبْلُ مَكْرَرًا
نَعْتَمُ إِلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنْ أَتَتْ
وَأَهَمَّكُمْ أَدْنَى الْأُمُورِ وَفَاتَكُمْ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ آتَى
أَمَّا الْخَرِيقَانِ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا
قَدْ أَنْذَرَاكُمْ بِالْخُرَابِ وَأَنْبَأَا
عَجَبِي إِلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ كَيْفَ قَدْ
سَرَعَانَ مَا تَنْسَوْنَ عَظْمَ مُصَابِكُمْ
لَا تَسْتَنْيِمُوا لِلزَّمَانِ فَأَخَذَهُ

لَا تَسْمَعُونَ لِمَا يَقُولُ نَصِيحُ
كَيْلًا يَكُونُ لَهَا بِكُمْ تَبْرِيحُ (٢)
تَعْدُو عَلَيْكُمْ تَارَةً وَتُرُوحُ
ذُرْبُ وَإِنْ كَلَامُهَا لَفَصِيحُ (٣)
أَوْ مَا كَفَاكُمْ ذَلِكَ التَّنْصِرِيحُ
قَتْمٌ كَمَا يَتَمَلَّسُ الْمَذْبُوحُ
نَظَرَ إِلَى الْأَمْرِ الْقَصِيِّ طَمُوحُ
فِيكُمْ بِأَسْرَارِ الزَّمَانِ يَبُوحُ
فَكَلَاهَا شِقُّ لَكُمْ وَسَطِيحُ (٤)
أَنَّ التَّرَاخِيَّ فِي الْأُمُورِ قَبِيحُ
نُسَيْتُ وَلَمْ تَبْرَأْ لَهْنًا جُرُوحُ
وَلَوْ أَنَّ شِقَّةَ مَنْتَهَاهُ طَرُوحُ (٥)
خَلَسَ وَقُوسُ الْحَادِثَاتِ ضَرُوحُ (٦)

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة .
وكلوح : أى عبوس واكفهرار .

(٢) عتادها أى عتتها . وتبريح : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بالسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب
كاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الدئبي .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .